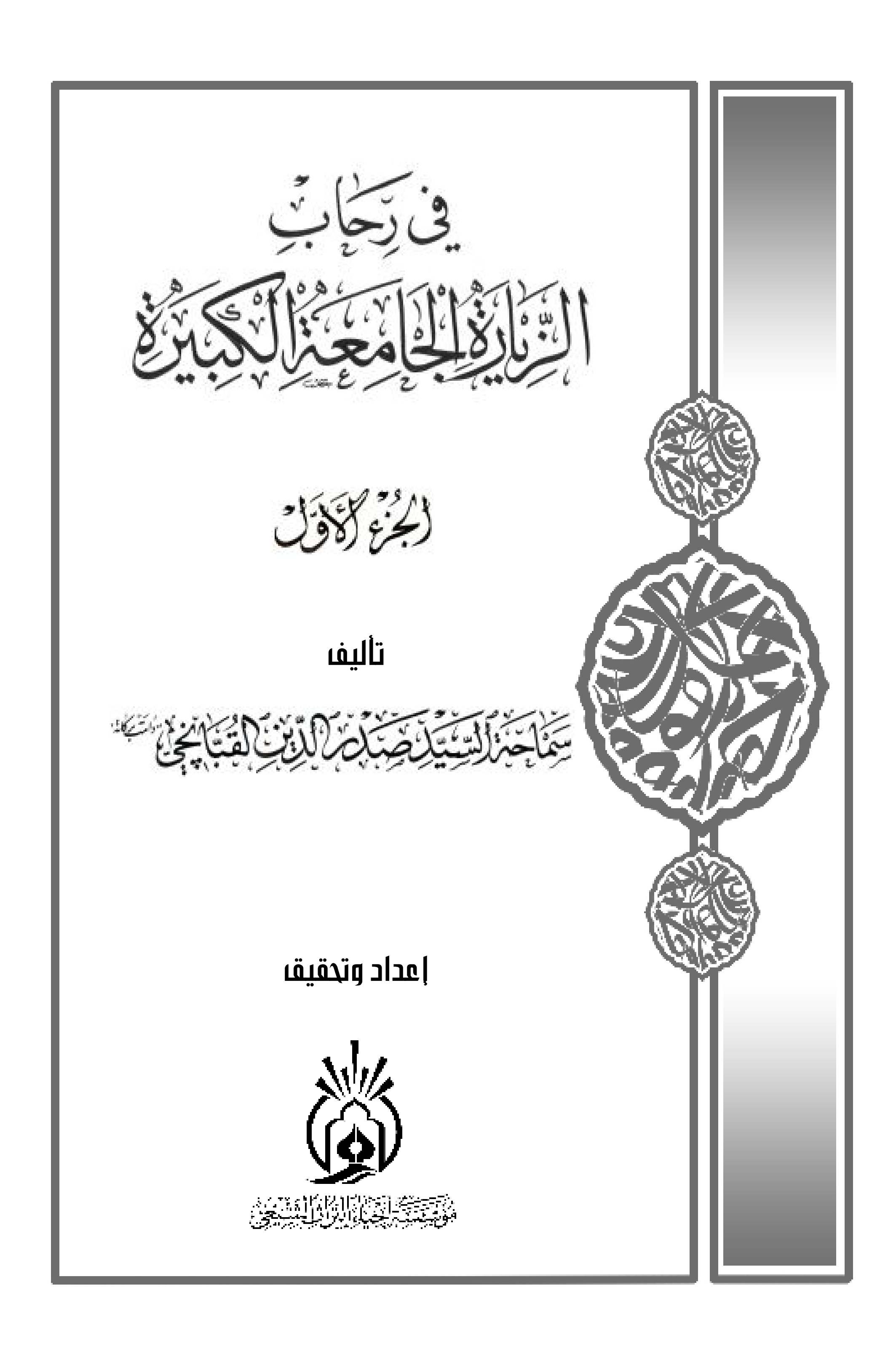

في رحاب
الزيارة الجامعة الكبيرة
الجزء الأول
تأليف
سماحة السيد صدر الدين القبانچي
إعداد وتحقيق



www.turathshiai.com
E-mail:info@turathshiai.com
النجف الأشرف

شارع الرسول ﷺ، محلة الحويش، الزقاق: ٥٤، الدار: ٢
هاتف: ٣٣٢٨١١ و٣٣٢٨١٣
ص.ب ٥٨٨

في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ج ١

السيد صدر الدين القبانجي

إعداد وتحقيق

مؤسسة إحياء التراث الشيعي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة:

لم تَعد الزيارة مجموعة من الطقوس المقدسة تُرتل في حضرة المزور، ولم تَعد هذه القداسة مستوحاةٌ من انكسار النفس الخانعة لاذكارٍ مجردةٍ خالية عن أي وعي أو معرفة.

بل غدت الزيارات ـ الواردة عن المعصومين عليهم السلام ـ ملاحم معرفية تنتظم في سلك سير سلوكه، وتنضيج رؤيته الطامحة لمعرفة أسرار الكون وما يحيط النفس من ألغاز ترتبُ العلاقة المتكاملة بين الإنسان وخالقه.

والحصيف المتتبعُ يستشرف المعارف الواردة في هذه الزيارة من نصوص الأخبار الواردة عنهم عليهم السلام ليعمل على توليفة معرفية ينجزُ من خلالها إحدى المنظومات المعرفية التي ساهمت في إنجازها هذه الزيارات.

والمؤلف ـ سماحة السيد القبانجي ـ واحد من أولئك الذين استوحوا الشيء الكثير من هذه المعارف بعدما أخضع (تجربته) المعرفية لرحاب واسع من الاطروحات الفكرية لأهل البيت عليهم السلام معدن العلم، ومهبط الوحي والرسالة، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وليس ببعيد أن تكون دراسة المؤلف حفظه الله قد حلّقت في فضاء واسع من العطاء المعرفي الذي لا ينضب.

ومؤسسة إحياء التراث الشيعي تنطلق من مسؤولية الوعي والحرص التام في نشر علوم أهل البيت عليهم السلام تعزيزاً لرؤيتها في المساهمة بخدمة

مـذهبهم المعطـاء الـذي تحتـاج دراسـاته فـي مثـل عصـراً اعصوصـبت فيـه قـوى الشـر لتحيلـه إلـى مجمـع مـن التنافسـات المحمومـة التـي لا تقـيمُ للفكـر وزنـاً، ولا لإنسـانية الإنسـان محـلاً. وهـذه الدراسـة تضـافُ إلـى قائمـة مـن الدراسـات التـي ترى المؤسسة فيها جدوى نشرها والحث على مطالعتها ومتابعتها.

والمؤسسـة إذ تقـدم هـذه الدراسـة إلـى القـاري الكـريم تتقـدم إلـى السـيد المؤلـف بالشـكر والتقـدير علـى جهـده المعطـاء، وللقـراء الأعـزاء مزيـداً مـن التوفيق في تحقيق ما يصبو إليه المطالع الجاد من الحصول على معرفة ناضجة.

السيد محمّد القبانجي

مؤسسة إحياء التراث الشيعي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف:

وبَعد..

هـذه مجموعـة محاضـرات ثقافيـة تربويّـة فـي رحـاب (الزيـارة الجامعـة الكبيـرة)[1] لأهـل البيـت عليهم السلام. كنّـا قـد قـدّمناها للمسـتمعين فـي النجـف الأشـرف بـدءاً مـن ١٦ شـوال ١٤٢٤ هـ وفـي ليلـة الجمعـة مـن كـل أسـبوع، وقـد قصـدنا فـي هذه المحاضرات عدة أمور:

الأوّل: تكـوين ثقافـة إسـلاميّة عامـة لـدى المسـتمع، الأمـر الـذي يجعلنـا ننفـتح مـن مقـاطع هـذه الزيـارات علـى مجـالات واسـعة وعديـدة فـي الفكـر الإسلامي قد تبدو خارجة عن محور البحث.

الثـاني: التركيـز علـى البُعـد التربـوي الأخلاقـي، حيـث نعتقـد أن الثقافـة وحـدها غيـر قـادرة علـى بنـاء الإنسـان، ولا علـى مواجهـة التحـديات الحضـاريّة التـي يواجههـا مـا لـم ينضـم إليهـا بنـاء الـروح، وتهـذيب الأخـلاق، وتطهيـر القلـب، ولهـذا فقـد حشـرنا فـي هـذه المحاضـرات المزيـد مـن الأحاديـث الشـريفة والقصص الظريفة، المؤثرة في هذا الجانب.

الثالـث: رعايـة المسـتوى العـام لـدى السـامعين بعيـداً عـن التركيـز العلمـي

(1) وهـي مرويّـة عـن الإمـام علـيّ الهـادي عليه السلام بأسـانيد عديـدة وقـد اعتبرهـا أهـل الحـديث مـن أصـح الزيـارات اعتبـاراً وأقواهـا سـنداً، وأعلاهـا شـأناً، وعكـف جمـع مـن علمـاء المـذهب وكبار المفسّرين على شرحها وتفسيرها.

والضغط الأدبي، لأن الغرض هو مخاطبة الرأي العام، والجمهور العريض وليس النخبة المثقفة وحدها.

* * *

ما تزال هذه المحاضرات بحمد الله تعالى وتوفيقه مستمرة لحين كتابة هذه المقدمة في الخامس من ربيع الثاني لعام ١٤٢٦هـ ولم ننقطع عنها إلا خلال النصف الثاني من شهر (جمادى الآخرة والنصف الأوّل من شهر رجب) حيث تعرّضت النجف الأشرف إلى اشتباكات مسلّحة قاهرة شلّت الحياة في المدينة إلى أن أذن الله تعالى بانتهائها في مطلع رجب الخير ١٤٢٥ للهجرة النبوية الشريف. كما تعطل تقديم هذه المحاضرات في شهر محرم وصفر وشهر رمضان، حيث قدمنا خلال تلك الأشهر محاضرات أخرى في رحاب زيارة عاشوراء وفي رحاب دعاء أبي حمزة الثمالي.

* * *

إن هذا الكتاب يمثل المجموعة الأولى من هذه المحاضرات المتواصلة والتي اختصت بالفصل الأوّل من الزيارة الجامعة، والتي قام الإخوة الكرام في مؤسسة إحياء التراث الشيعي على إعدادها وتنظيمها واستخراج مصادر النصوص فيها، وقمت بإعادة النظر فيها، واجراء بعض التعديلات على فصولها، وأحياناً ضمّ بعضها إلى بعض بما يرتبط بذات المحور الواحد، بأمل أن نوفق بإذن الله تعالى ولطفه لإعداد المجموعة الثانية منها في الجزء الثاني من هذا الكتاب والتي تختص بالفصل الثاني من الزيارة حسب التقسيم الذي أشرنا إليه في (الإيضاح القادم) عن فصول هذه الزيارة.

* * *

ولقد كنت أهدف من تقديم هذه المحاضرات للطباعة والنشر أن أوفر للسادة المبلّغين والعلماء المرشدين موضوعات ثقافية تربوية جاهزة قد تساعدهم في عطائهم الثقافي التربوي الذي يقدمونه للمجتمع.

* * *

وإني لأرجو من سادتي وأئمتي الأطهار عليهم السلام أن يتقبلوا مني هذا التطفل على مائدتهم، والاغتراف من بحرهم، وأن يشفعوا لي عند الله تعالى بالقبول والمغفرة. كما أرجو من كل السادة الكرام والسيدات الكريمات الذين يشاركونني في هذه الجولة العطرة في ربوع الزيارة الجامعة الكبيرة أن يغفروا لي ما يجدوه من خطأ أو نقص، ولا ينسوني من الدعاء بالمغفرة والسداد وحسن العاقبة.

النجف الأشرف

٥/ ربيع الثاني/ ١٤٢٦هـ

السيد صدر الدين القبانچي

إيضاح

فصول الزيارة الجامعة:

إن مراجعة دقيقة لهذه الزيارة الشريفة يُظهر أنها تتألف من خمسة فصول، لكل واحد منها اختصاصه ومقاصده، والزيارة مقسّمة بشكل دقيق إلى هذه الفصول وليس هي مجرد عبارات مكرّرة وجُمَل متناثرة.

لقد خُصّص الفصل الأوّل للتحية وآدابها، ويبدأ هذا الفصل بقوله: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة...».

بينما يختص الفصل الثاني لبيان المعتقد التوحيدي الصحيح للإنسان المؤمن بأهل البيت عليهم السلام ويبدأ من قوله: «أشهد ألاّ إله إلاّ الله».

أمّا الفصل الثالث فقد خُصّص لبيان ما هو موقع أهل البيت عليهم السلام في الأمّة والذي يبدأ من قوله: «من والاكم فقد والى الله...».

وقد خُصّص الفصل الرابع لبيان موقف الزائر وعلاقته بأهل البيت عليهم السلام ويبدأ من قوله: «بأبي أنتم وأمي وأهلي...».

أمّا الفصل الخامس فهو بمثابة الخاتمة الذي خُصّص للدعاء ويبدأ من قوله: «ربنا لا تزغ قلوبنا...».

* * *

الفصل الأوّل من الزيارة:

السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَةِ وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ وَخُزَّانَ الْعِلْمِ وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ وَأُصُولَ الْكَرَمِ وَقَادَةَ الْأُمَمِ وَأَوْلِيَاءَ النِّعَمِ وَعَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ وَدَعَائِمَ الْأَخْيَارِ وَسَاسَةَ الْعِبَادِ وَأَرْكَانَ الْبِلادِ وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ وَأُمَنَاءَ الرَّحْمَنِ وَسُلالَةَ النَّبِيِّينَ وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى وَأَعْلامِ التُّقَى وَذَوِي النُّهَى وَأُولِي الْحِجَى وَكَهْفِ الْوَرَى وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنَى وَحُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأُولَى وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَسَاكِنِ بَرَكَةِ اللَّهِ وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ وَحَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدِلاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالْمُسْتَقِرِّينَ [وَالْمُسْتَوْفِرِينَ] فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلامُ عَلَى الْأَئِمَّةِ الدُّعَاةِ وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ وَالسَّادَةِ الْوُلاةِ وَالذَّادَةِ الْحُمَاةِ وَأَهْلِ الذِّكْرِ وَأُولِي الْأَمْرِ وَبَقِيَّةِ اللَّهِ وَخِيَرَتِهِ وَحِزْبِهِ وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِرَاطِهِ وَنُورِهِ [وَبُرْهَانِهِ] وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

* * *

المحاضرة الأولى:

فلسفة الزيارة وفلسفة السلام

«السلام عليكم يا أهل بيت النبوة»

أهمية الزيارة الجامعة الكبيرة:

الزيارة الجامعة الكبيرة هي الزيارة المروية عن إمامنا الهادي عليه السلام، وهو الإمام العاشر من أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام، والتي يزار بها جميع أئمتنا عليهم السلام ولهذا سميت (الزيارة الجامعة)، وهي كبيرة لأنها مطولة ومفصلة، وفي فضلها وقيمتها يقول بعض الفقهاء: إني لم أزر أحداً من الأئمّة إلا بها لأهميتها وعظمتها. وقال عنها فقهاؤنا بأنها أعظم الزيارات متناً وأصحّها سنداً وأجلّها شرفا.[1]

الغاية من زيارة أهل البيت عليهم السلام:

لماذا نقوم بزيارة أهل البيت عليهم السلام؟

هل على أساس الاعتبار بزيارة القبور؟

أم على أساس ثواب قراءة الفاتحة وتقديم النذور؟

أم على أساس تجديد العهد والبيعة وتأكيد الحضور؟

لماذا دُعينا لزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله في الرواية: «من حج ولم يزرني فقد جفاني»،[2] مع انه بلغ قاب قوسين ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾**[3] عند الله تعالى؟ فهل هو محتاج إلى زيارتنا؟**

هذه الرواية ثابتة لدى الشيعة والسنة، ولهذا حينما يحج المسلمون يقطعون أكثر من ٤٠٠ كم من مكة إلى المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وآله.

هل يزداد النبي صلى الله عليه وآله بزيارتنا مقاماً؟

---

(1) أنظر: شرح زيارة الجامعة/ عبد الله شبر: ٢٩؛ وكذلك مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.

(2) فقه الرضا/ ابن بابويه: ٢٣١؛ عنه البحار للمجلسي ٩٦: ٣٧١؛ كنز العمال ٥: ١٣٥.

(3) النجم: ٩.

إذا وقفتم على باب البقيع حيث مرقد أربعة من الأئمّة الأطهار وهم: الإمام الحسن عليه السلام، والإمام زين العابدين عليه السلام، والإمام الباقر عليه السلام، والإمام الصادق عليه السلام، تجدون لوحة كبيرة كتب عليها الوهابيون: أيها الزائر، إن زيارتك لأهل القبور هي للاعتبار بالموتى والعظام الرميم وتذكر الموت والآخرة لا أكثر، وأما الوقوف والتوسل والبكاء والمشاعر العظيمة التي تنتاب المؤمنين هناك فإنها بدعة محرّمة. أي لا فرق عند هؤلاء بين أن تزور ميتا لا تعرفه قد نخرت عظامه وبُلي جسمه من الصالحين أو الفاسقين، إذ أنك تعتبر بها وبالديار الموحشة وبالقبور الخالية التي لا أهل لها. وبين زيارة النبي صلى الله عليه وآله والإمام المعصوم عليه السلام، فالمسألة عند هؤلاء هي مسألة اعتبار بالموتى والاتّعاظ بالنظر إلى قبورهم!

هل الأمر هكذا؟

هل أن زيارة النبي صلى الله عليه وآله وهو سيد الخلق هي من أجل الاعتبار بالقبور، أو لقراءة الفاتحة لأرواح الموتى وإهداء النذور فإن الموتى يحتاجون للثواب وعمل المستحبات؟

هذا صحيح بشكل عام، فإن الموتى بحاجة لقراءة سورة الفاتحة والقدر وغيرهما، ولصلاة ركعتين وإطعام الطعام، ويصل هذا الثواب إليهم بالفعل وتؤكد رواياتنا استحباب ذلك.[1] ولكن هل أن زيارة النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام بهذا المستوى أم أن لها امتيازاً خاصاً، ودلالة خاصة، وطعماً خاصاً، وهدفاً خاصاً؟

الصحيح أن الهدف هو تجديد العهد والبيعة، وتأكيد حضورنا معهم وبين أيديهم، وهذا هو البُعد الآخر للزيارة، فأنت حينما تزور قبر ميت من الأموات ليس بينك وبينه بيعة ولا عهد ولا معرفة تقول: «السلام على أهل لا إله إلاّ الله من أهل لا إله إلاّ الله، يا أهل لا إله إلاّ الله بحق لا إله إلا الله كيف وجدتم قول لا إله إلاّ الله من لا إله

(1) أنظر: الكافي/ الكليني ٣: ٢٢٩/ باب زيارة القبور/ ح ١ - ١٠.

إلا الله، اللهم بحق لا إله إلاّ الله اغفر لمن قال لا إله إلاّ الله واحشرنا في زمرة من قال لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، عليّ ولي الله؟».[١]

وكان الإمام عليّ عليه السلام _ حسب الرواية _ يقف عند القبور ويحدثهم يقول: «السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة، والقبور المظلمة، يا أهل التربة يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة أنتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق، أما الدور فقد سُكنت، وأما الأزوارج فقد نُكحت _ أي تزوجهنّ رجال آخرون _ وأما الأموال فقد قُسّمت، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟».[٢]

كنا أيام الشباب نزور وادي السلام أيام الخميس حيث يستحب زيارة القبور، ونقرأ ما كُتب على بعض القبور:

يا قارئاً كتابي إبك على شبابي
بالأمس كنت حياً واليوم تحت التراب

نقرأ ذلك ونبكي أحياناً ويستحق ذلك، ويستحب أن تزوروا القبور كل أسبوع أو أسبوعين أو شهر وتستفيدوا كثيراً، وهي سياحة عظيمة لأن الإنسان فيها يسافر سفراً حقيقياً وهو سفر الروح لا البدن، وكنا نقرأ أيضاً:

وفدت على الكريم بغير زاد من الحسنات والقلب السليم
وحمل الزاد أقبح كل شيء إذا كان الوفود على الكريم[٣]

---

(1) هو دعاء كان يدعو به أمير المؤمنين عليه السلام لأهل القبور، راجع البحار للمجلسي ٩٩: ٣٠١.
(2) نهج البلاغة ٤: ٣٠/ ١٣٠.
(3) روي أن هذه الأبيات كتبها أمير المؤمنين عليه السلام على كفن سلمان الفارسي رضي الله عنه، وهو أيضاً مما يستحب كتابته على الأكفان، أنظر: نفس الرحمن للطبرسي: ٥٤٥؛ وكتاب الطهارة للشيخ الأنصاري ٢: ٣٠٧؛ والعروة الوثقى للسيد اليزدي ١: ٤١١.

ويتضمن ذلك معنى جميلا جداً، فالشاعر يقول: ليس عندي شيء، لا قلب سليم، ولا أعمال صالحة، ثم يقول: أنت عند ما تذهب إلى كريم قد فتح مضيفه فهل تحمل معك عشاءك؟ إنه يطردك إذا فعلت ذلك ويعتبره عملاً قبيحاً، إنها لغة جميلة فيها عطف وحنان ومحبة بين الإنسان وبين الله تعالى.

حنان الأم الميتة:

زيارة القبور فيها اعتبار وثواب للموتى، وفي هذا السياق يُذكر أن أحد العلماء الصالحين من ذوي الكرامات زار وادي السلام ذات يوم، وسمع أنيناً من أحد القبور، أقبل إليه وجلس عنده وأصغى إليه فإذا هو أنين امرأة، فسألها عما تريد، فقالت: لي طفلان صغيران وقد مِتّ قبل ستة أشهر وزوجي لا يأتي بهما إلى قبري، فسأل عن اسم زوجها ومكان عمله فأخبرته بذلك، فأسرع إليه وسأله عن زوجته، فقال: إنها توفيت منذ ستة أشهر وتأكد أنه لم يزر قبرها هو وابناه، فسأله عن السبب، فقال: أريد أن أُنسيهما ذكر أمهما كي لا يبكيا عليها، فشرح له القصة وأخبره إنها أرسلته إليه وتدعوه إلى مجيء ابنيها ولعل في ذهابهما تخفيف من عذابها أو حصول الأنس لها أو نزول الرحمة الإلهية عليها ويشملها الله بحنانه، فإنه حنّان منّان، وهما من أجمل أسماء الله تعالى كما في الروايات.

الله يبكي للغريب:

يُحكى أن أهالي إحدى المدن جاؤوا إلى النبي موسى عليه السلام وشكوا لديه من رجل فاسق فاجر كان يؤذيهم، وبعد أن تأكد من ذلك أمر بنفيه إلى قرية أخرى، فجاء أهلها بعد مدّة وشكوه إلى موسى لِما لاقوه من الأذى منه، فأمر بإخراجه من تلك القرية فطردوه إلى قرية ثالثة. وهكذا إلى ان أُخرج إلى الصحراء، فهام على وجهه وحيداً غريباً، وبعد مدة مرض هذا الرجل ولكن لا زوجة له ولا أب ولا ولد ولا أقرباء ولا طبيب، ففقد الأمل بالحياة ولم يجد من يجلب له الماء والطعام، وأخذ يبكي

ويقول: إلهي لو كانت أمي معي لرحمتني، لو كانت زوجتي لرحمتني، لو كان أولادي لرحموني. وما زال باكياً، فرحمه الله تعالى وأرسل له على مثل أمه وزوجته وأولاده فكانوا معه يسلّونه حتّى مات. فأوحى الله إلى موسى عليه السلام بأن يذهب لتغسيله وتكفينه والصلاة عليه، فتساءل موسى متعجباً: كيف يكون ذلك مع أنه رجل فاسق؟ فقال الله: يا موسى إني رحمته وتجاوزت عنه بأنينه في مرضه، بفرقته عن وطنه وعن ولده ووالدته ووالده وزوجته، واعلم يا موسى أنه إذا مات الغريب بكت عليه ملائكة السماء وأهل الأرض رحمةً له.[1]

الشاهد في هذه القصة هو أن الموتى ينتظرون زيارة أحبائهم ساعة بعد ساعة، ويحتاجون حتى إلى الصدقة البسيطة، وفي بعض الروايات أن الميت يخاطب أهله ويطلب منهم بأن يتصدقوا عنه ولو بالعظام التي ترمى للكلاب بأن ينووا ذلك صدقة عنه.

اذكروا موتاكم بالصدقة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يأتي على الميت ساعة أشدّ من أول ليلة، ارحموا موتاكم بالصدقة»،[2] ادفع الصدقة نيابة عن والديك، عمك، فلان بن فلان، اعلموا أن الميت المطلوب فريضة الصلاة يبقى معذبا حتى تُقضى عنه.

هذا في سائر الموتى، ولنرجع إلى أصل السؤال: هل إن زيارتنا للأئمّة الأطهار عليهم السلام هي لحاجتهم إلى قراءة القرآن وسورة الفاتحة التي نقرؤها أو غيرها؟

الزيارة لتجديد البيعة:

صحيح أن ثواب القرآن والفاتحة والصلاة يصل إليهم عليهم السلام، ولكن الأهم هو أننا نحن بحاجة لزيارتهم لتجديد البيعة معهم وتأكيد حضورنا لديهم ونصرتنا لهم.

---

(1) أنظر نص الرواية في كتاب شجرة طوبى للمحدث الحائري ٢: ٤٤٧، نقلاً عن جامع الأخبار.

(2) فلاح السائل/ ابن طاووس: ٨٦.

نقول في زيارة الحجة عليه السلام: «اللهم إني أجدد له في هذا اليوم وفي كل يوم عهداً وعقداً وبيعة له في رقبتي إلى يوم القيامة» إن زيارتهم ليست مثل زيارة باقي القبور، ففي الرواية: من أراد أن يصافحه ١٢٤٠٠٠ نبي فليزر قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام، أي أنه يزورهم، وهناك رواية تقول: «من زار قبر الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء عارفاً بحقه كان كمن زار الله في عرشه».[1] إذن هذه الزيارة ليست كزيارة القبور.

روى صاحب كتاب (كامل الزيارات) _ القائل بأني لا أروي إلاّ عن ثقة يروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله _ رواية يقول فيها لعليّ عليه السلام: «يا علي من زارني في حياتي أو بعد موتي، أو زارك في حياتك أو بعد موتك، أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد مماتهما ضمنت له يوم القيامة بأن أخلصه من أهوالها وشدائدها حتى أصيّره معي في درجتي».[2]

وفي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام قال: إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة.[3]

فضل زيارة الحسين عليه السلام:

وفي رواية عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أهدت لنا أم أيمن لبنا وزبداً وتمراً فقدمنا منه، فأكل ثم قام إلى زاوية البيت فصلى ركعات، فلما كان في آخر سجوده بكى بكاء شديداً، فلم يسأله أحد منا إجلالاً وإعظاماً له،

(1) إقبال الأعمال/ ابن طاووس ٣: ٦٤.

(2) كامل الزيارات/ ابن قولويه: ٤٠/ ٣/ ٣.

(3) عيون أخبار الرضا/ الصدوق ١: ٢٩٢/ ح٢٤.

فقام الحسين عليه السلام وهو طفل وجلس في حجره وقال له: يا أبه قد دخلت بيتنا فما سررنا بشيء كسرورنا بدخولك ثم بكيت بكاءً غمّنا، فما أبكاك؟

قال صلى الله عليه وآله: «يا بني، أتاني جبرئيل عليه السلام آنفا فأخبرني أنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى». يعني إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحمل همّ الحسين عليه السلام وهمّ أولاده أيام حياته، وطالما كان يبكي حينما يتذكر مصارعهم ويتذكر جسد الحسين عليه السلام، وهجوم الخيل على الخيام.

فقال ـ الحسين عليه السلام ـ: يا أبه، فما لمن يزور قبورنا على تشتتها؟ فقال: «يا بني أولئك طوائف من أمتي يزورونكم فيلتمسون بذلك البركة، وحقيق عليّ أن آتيهم يوم القيامة حتى أخلصهم من أهوال الساعة ومن ذنوبهم، ويسكنهم الله الجنة».[١]

فلسفة السلام:

والآن بعد هذا الحديث عن فلسفة الزيارة وأهميتها لننتقل للحديث عن فلسفة السلام، وهو التحية الإسلامية التي يرفعها الإنسان الزائر.

السلام لغة المؤمنين:

إن لغة المؤمنين مشحونة بالسلام والمحبة والود والحنان، وعدم السلام يعني عدم المحبة والمودة والعطف والحنان، فعندما يبعث فلان لك رسالة مليئة بالحب فإنه يعني أن هناك سلاماً، سلام علاقات وصفاء قلوب.

العلاقة التي تربط بين المؤمنين يوم القيامة هي السلام أيضاً كما قال تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً * إِلَّا قِيلاً سَلاماً سَلاماً﴾[٢] انهم يبعثون لنا

(1) أنظر: كامل الزيارات/ابن قولويه: ١٢٦/ ١٤٠/ ٩؛ أمالي الطوسي: ٦٦٩؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٣٤.

(2) الواقعة: ٢٥ و٢٦.

السلام، والملائكة يدخلون على المؤمنين يوم القيامة وتحيتهم ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ﴾،[1] كما إن الله تبارك وتعالى يبعث السلام إلى المؤمنين ويصلي عليهم ﴿هُوَ الَّذي يُصَلّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾.[2]

في رواية رائعة وذات معانٍ جميلة: إن الله سبحانه أوحى إلى نبيّه أن يقول لخديجة: إن الله يقرؤك السلام، ففعل ذلك رسول الله ﷺ. فماذا كان جوابها؟ خاصة وهي في الأيام الأولى من الإسلام وتفاصيل الشريعة غير معروفة بعد؟ لو كنت مكانها لقلت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وهو خطأ، ولكنها قالت ـ في التفاتة مهمة جداً: إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه يعود السلام،[3] فلا معنى لأن نقول ونحن عباده: وعليه منا السلام، فما قيمتنا حتى نبعث له السلام؟ بل الصحيح أن الله تعالى هو السلام، وهو مصدر السلام وإليه يعود السلام.

وهكذا قوله تعالى: ﴿إِنا لله وَإِنا إِلَيْه راجِعُونَ﴾،[4] فإن إلى الله الرجعى وإليه المنتهى، كما إن الحياة منه وإليه، والعلم والقدرة منه وإليه، كذلك السلام.

السلام يعني مكافحة الإرهاب، والإسلام والدين هو السلام، إن أصل الدين ضد الإرهاب، وهذه القضية لو نظرنا إليها فسوف نجد عجبا في عظمة الإسلام ومحتوياته منذ ألف وأربعمائة سنة.

قصة الملائكة مع إبراهيم عليه السلام:

دخل الملائكة على النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾.[5] وكان عليه السلام سيد الكرماء، فأسرع إلى أهله ﴿فَراغَ إِلى

(1) الرعد: ٢٤.
(2) الأحزاب: ٤٢.
(3) تفسير العياشي ٢: ٢٧٩/ ح١٢.
(4) البقرة: ١٥٦.
(5) الذاريات: ٢٥.

أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾،[1] **كان الملائكة أربعة: جبرائيل، ميكائيل، كروبيل وإسرافيل،[2] ومن هذه الآية الكريمة نعرف أن امرأة إبراهيم كانت نشطة فعّالة حيث ذبحت العجل السمين وسلخته وشوته وجاءت به في مدة قصيرة، فقرّبه إبراهيم عليه السلام إليهم وقال: ألا تأكلون، فلم يأكلوا، وقد أشار القرآن إلى ذلك حيث قال:** ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ﴾،[3] **فإن الملائكة إما لم يكن لهم أيد أو لم يمدّوها،** ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ **أي صاحت وضربت وجهها إذ لعل هناك خطراً على إبراهيم من هؤلاء الملائكة، وحينما بشروه بغلام كانت _ كما يبدو _ تسمع قولهم وكان عمرها ٩٩ سنة** ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾، **فكان جوابهم:** ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾.

وفي المقطع الثاني سألهم إبراهيم عليه السلام عن سبب مجيئهم: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً﴾ **أي معدّة ومعلومة** ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ **جاء هؤلاء ليصبّوا العذاب على القرية التي أرسل إبراهيم عليه السلام النبي لوط عليه السلام إلى أهلها، فلم يكن فيهم مؤمن إلاّ لوطاً وبنتيه، فحتّى زوجته ما كانت مؤمنة، قال تعالى:** ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾،[4] **فبقيت الأطلال لتكون آية للذين يخافون العذاب الأليم.**

---

(1) الذاريات: ٢٦.

(2) أنظر الكافي للكليني ٥: ٥٤٦/ ح٦؛ ومجمع البيان للطبرسي ٥: ٣٠٦.

(3) هود: ٧٠.

(4) الآية وما قبلها في سورة الذاريات: ٢٩ - ٣٧.

السلام هو تحية أهل الدنيا والآخرة:

القانون الذي يربط بين المؤمنين، ويربط أهل الآخرة مع أهل الدنيا هو السلام، ولذلك عند زيارة رسول الله ﷺ نقول: «السلام على رسول الله، أمين الله على وحيه وعزائم أمره، الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل والمهيمن على ذلك كله ورحمة الله وبركاته. السلام على صاحب السكينة، السلام على المدفون بالمدينة، السلام على المنصور المؤيد، السلام على أبي القاسم محمّد بن عبد الله ورحمة الله وبركاته»[١] وسوف أشرح لكم ذلك في أحد الأيام، حاولوا حينما تقرأون القرآن أو الزيارات أن تتأملوا في معانيها، فسوف تكتشفون قضايا لطيفة جداً، وتتعجبون كيف أننا نقرؤها كثيراً ولكن لا نفهم معانيها الجميلة.

استمرار الصلة مع الأموات:

العلاقة بيننا وبين الأئمّة الأطهار عليهم السلام الذين انتقلوا من هذه الدنيا إلى الدار الآخرة هي السلام، وهكذا مع المؤمنين الذين ماتوا، حيث نخاطبهم: «السلام على أهل لا إله إلاّ الله». وقد شرحت لكم في حديث سابق أن هناك صلة متبادلة بيننا وبينهم، هم يسلمون علينا ونحن نسلم عليهم كأنهم موجودون بيننا.

قبل يومين رأيت السيد الشهيد الصدر رضي الله عنه في المنام في بيته الذي كان قرب سوق العمارة، حيث دخلت وسلمت عليه وكان على تلك الهيئة نفسها، فقال: يا فلان لماذا لم تحج عني ولم تسجل اسمي؟ فقلت: سوف أكتب اسمك واسم أختك بنت الهدى رضوان الله عليها واسم زوجتك واسم خادمك (حجي عباس) وكان من الطيبين جداً ولا أدري أين هو الآن وما هو حاله؟ هذا يعني أن الأموات أحياء في الحقيقة ويعلمون بواقعنا، حيث كان هذا اليوم هو اليوم الذي يجري فيه التسجيل للحج فجاءني قدس سره في المنام وقال: يا فلان سجل اسمي.

---

(1) مصباح الكفعمي: ٤٧٤؛ البحار للمجلسي ٩٧: ١٤٨.

إن العلاقة بيننا وبين من رحل عنا هي الارتباط الحقيقي، ولهذا حينما نقف عند الاستئذان لزيارة الأئمّة الأطهار عليهم السلام نقول: «اللهم إني وقفت على باب من أبواب بيوت نبيك التي أذنت أن ترفع ويذكر فيها اسمك، وقد منعت الناس أن يدخلوها إلا باذنك وقلت: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[1] اللهم إني أعتقد حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبته كما أعتقدها في حضرته، وأعلم أن رسولك وخلفاءك أحياء عندك يرزقون، يرون مقامي، ويسمعون كلامي، ويردون سلامي». وفي ذلك تحليل فلسفي، فحينما تقول: «أحياء عندك» فإنه يعني في كل الوجود، لأن الله موجود في كل الوجود، ولا يوجد مجال إلاّ وفيه الله سبحانه، إذن هم موجودون في كل مكان ولذا «يرون مقامي، ويسمعون كلامي، ويردون سلامي» ولكن المشكلة أن هناك حجاباً على سمعنا (واللاقطة) لا تعمل جيداً. في الكون ذبذبات عالية جداً لو سمعها الإنسان لتمزّق الغشاء الموجود في أذنه، والله سبحانه رحمة بالعباد جعل في الإنسان قدرة على سماع الذبذبات بين ٢٠ إلى ٢٠٠٠٠ ذبذبة في الثانية، أما إذا كانت الذبذبات أقوى من ذلك فإنه لا يسمعها.

نقول في الزيارة: «وأعلم أن رسولك وخلفاءك أحياء عندك يرزقون، يرون مكاني، ويسمعون كلامي، ويردون عليّ سلامي، وإنك حجبت عن سمعي كلامهم، وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم».[2]

هذه هي علاقات السلام، ولذلك يبعث الله تعالى السلام إلى نوح عليه السلام ويقول: ﴿سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ﴾،[3] رغم أن الفاصل الزمني بيننا وبينه كبير، وهكذا السلام على إبراهيم عليه السلام وآل ياسين في عدد من الآيات القرآنيّة.

---

(1) الأحزاب: ٥٣.
(2) المزار/ ابن المشهدي: ٥٥؛ البحار للمجلسي ٩٧: ١٦٠.
(3) الصافات: ٧٩.

ولاية علي عليه السلام حصن وسلام:

السلام هو مطلق العافية، قال تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾،[1] وهذا ما يكتبه العراقيون على باب دورهم، بينما الإيرانيون يكتبون: «ولاية عليّ بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي»[2] والحصن يعني السلام والأمان أيضاً إذ تشعر بالاطمئنان بعد ولاية عليّ عليه السلام فهو ترجمة أخرى لـ ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ فإن ولاية عليّ عليه السلام هي الأمان والحصن والسلام.

ويزيدنا الإسلام معانيَ أخرى، حيث يقول: إن العلاقة بينكم وبين الرسول وآله ليست مجرد السلام، بل هي علاقة المعرفة بالأحداث والمجريات في واقعكم، إنهم في عالمهم يعرفون أحداث الدنيا، يقول القرآن الكريم: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[3] والمؤمنون هنا ليسوا أنا وأنت، بل هم الأئمّة الأطهار عليهم السلام فالروايات تؤكد أن أعمالنا تُعرض عليهم، تُعرض على إمام زماننا عليه السلام كما تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ما خصص له الحر العاملي صاحب (وسائل الشيعة) بابا في الجزء الحادي عشر من كتابه.[4] ولذا روي عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم...». وفسّر ذلك «بأني خير لكم في حياتي حيث أحدثكم وتحدثوني وأنصحكم وتستأنسون بالحديث معي، وخير لكم في مماتي حيث تُعرض عليّ أعمالكم كل صباح، فما كان من عمل صالح حمدت الله، وما كان من عمل سيء استغفرت الله لكم»،[5] وهذه نعمة بأن يستغفر الرسول صلى الله عليه وآله

---

(1) الحجر: ٤٦.

(2) عيون أخبار الرضا/ الصدوق ١: ١٤٦/ باب ٣٨.

(3) التوبة: ١٠٥.

(4) وسائل الشيعة/ الحر العاملي ١١: ٣٨٦/ باب ١٠١. (ط: بيروت).

(5) وسائل الشيعة/ الحر العاملي ١١: ٣٨٨/ باب ١٠١/ ح٧. (ط: بيروت).

للمؤمنين، ويقول القرآن الكريم في آية اخرى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[(١)] **والإمام عليّ** عليه السلام **والأئمّة الأطهار يستغفرون لنا أيضاً، والملائكة يستغفرون للذين آمنوا ويقولون:** ﴿رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ﴾.[(٢)]

وهناك بيتان من الشعر كنت أقرأهما في زيارة الأئمّة عليهم السلام **وخاصة إذا سافرت لزيارة الإمام الرضا** عليه السلام:

عن حماكم كيف انصرف	**وهواكم لي به شرفُ**
لا بقيت يوماً أرى	**على سوى بابكم أقفُ**[(٣)]

وهناك أبيات أخرى جميلة ينبغي للزائر أن يتمثلها حينما يفد على الأئمّة الأطهار عليهم السلام:

قالوا غداً نأتي ديار الحمى	**وينزل الركب بمغناهُمُ**
فكل من كان مطيعاً لهم	**أصبح مسروراً بلقياهُمُ**
قلت فلي ذنب فما حيلتي	**بأيّ وجه أتلقّاهمُ**
قالوا أليس العفو من شأنهم	**لا سيما عمّن ترجّاهمُ**
فجئتهم أسعى إلى بابهم	**أرجوهم طوراً وأخشاهمُ**[(٤)]

صفات تستدعي سلام الملائكة:

إن سلام الملائكة على المؤمنين يوم القيامة هو: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما

---

(1) النساء: ٦٤.

(2) غافر: ٧.

(3) أنظر هذه الأبيات في منازل الآخرة للشيخ القمي: ٢٨٣.

(4) هذه الأبيات للسخاوي، أنظر: الكنى والألقاب للقمي ٢: ٣١٠.

صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾، **هؤلاء المؤمنين استحقوا هذه التحية بهذه الصفات التي تذكرها سورة الرعد في الآيات: ٢٠ إلى ٢٤.**

الصفة الأولى: الوفاء بالعهد: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾.

الصفة الثانية: صلة الرحم: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾.

الصفة الثالثة: الخوف من الله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.

الصفة الرابعة: الخوف من يوم القيامة: ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾.

الصفة الخامسة: الصبر: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾.

الصفة السادسة: الصلاة: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾.

الصفة السابعة: الانفاق: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً﴾.

الصفة الثامنة: دفع السيئة بالحسنة: ﴿وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾.

فبعد استعراض هذه الصفات الثمان يقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

الحسين عليه السلام والحر:

الإمام الحسين عليه السلام جسّد هذه الصفات الثمانية يوم عاشوراء وطبّقها عملياً على الأرض، ومنها: ﴿وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ **حيث نلاحظ ذلك في قصة الحر الرياحي. إن الحر الرياحي أساء للحسين حينما قطع الطريق عليه وجعله يسير مضطراً نحو كربلاء، طبعاً هي تقديرات إلهية من قبل، ولكن على الأرض هكذا جرت الأمور، الحر حينما اكتشف الخطأ يوم عاشوراء انتقل من قائد في جيش الأعداء إلى قائد في جيش الإيمان خلال دقائق وذلك لشجاعته. هنيئا للحر على هذه الانتقالة العظيمة والسريعة، كان عبداً صالحاً وإلاّ لم يحصل على هذه العاقبة.**

كنت اليوم أذكر شهيد المحراب، فقلت في نفسي إن الموت ينبغي أن

يكون هكذا وإلاً فلا، أن يتقطع الإنسان إرباً إرباً في سبيل الله، هذا هو موت الأبطال والأولياء.

يقول الحر حينما انطلق من بيته: سمعت هاتفا يهتف بأذني: يا حر أبشر بالجنة، فقلت: عجيب، إني خارج لحرب الحسين فما معنى هذا الهتاف، إنها قضية ملغزة.

لقد مرّ على خطئه مروراً سريعاً، ولم يكن خطأ قد استحكم بالقلب واستحوذ عليه الشيطان، بل كان خطأ يمحى بسرعة.

هناك خطأ ينشأ من خبث في السريرة، وهناك خطأ ينشأ عن غفلة فهو قابل للتراجع.

كان خطأ الحر من هذا النمط، كما نقرأ في الدعاء: «إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد ولا لعقوبتك متعرض ولا لوعيدك متهاون، ولكن خطيئة عرضت وسولت لي نفسي وغلبني هواي وأعانتني عليها شقوتي، وغرّني على ذلك سترك المرخى علي، فالآن من عذابك من يستنقذني، ومن أيدي الخصماء غداً من يخلّصني».(١)

انتبه الحر أنه لا بدّ أن يعبر إلى الميدان الآخر، فقال لعبده: هل سقيت فرسك؟ يقول الغلام: ظننت أنه يريد أن ينسحب وينهزم لكنه يخجل فإنه بطل، ولم يعرف الغلام نية الحر، أراد الحر أن يقول له ابتعد عني فإن لي عملاً آخر لا أريد أن تراني، فقال له: إذهب أنت واسق فرسك. ثم أقبل إلى الحسين عليه السلام دفعة واحدة ويده على رأسه وهو يقول: إني تائب يا بن رسول الله، هل لي من توبة؟ قال الحسين عليه السلام: إن تبت تاب الله عليك، رغم إن كل هذه المأساة والتحول في التاريخ الذي كان للحر فيه دور كبير، فقال الحر:

---

(1) من دعاء الإمام السجاد عليه السلام في سحر شهر رمضان، انظر مصباح المتهجد/الطوسي: ٥٨٢.

إئذن لي بالقتال فأذن له، ولما سقط صريعاً أقبل إليه الحسين عليه السلام وهو يقول: أنت حرّ في الدنيا وحر في الآخرة، أنت كما سمّتك أمك. وبعد مصرع القتلى أمر ابن سعد وقال: يا خيل الله اركبي ودوسي صدر الحسين، وكان للحر عشيرة كبيرة فجاءت إلى ابن سعد وقالت: لا نقبل بأن يداس عميدنا الحر بالخيل.[1]

السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى المستشهدين بين يديك ورحمة الله وبركاته.

* * *

(1) أنظر ما ورد في الأمالي للصدوق: ٢٢٣؛ والبحار للمجلسي ٤٤: ٣١٩.

المحاضرة الثانية:

موقع أهل البيت عليهم السلام

«السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة»

حديثنا هذه الليلة عن الفقرة الأولى من الزيارة: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة» وهي تتحدث عن موقع أهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم.

صحة الزيارة الجامعة:

الزيارة الجامعة من الزيارات المهمة جداً المروية عن الإمام الهادي عليه السلام وهو الإمام العاشر من أئمة أهل بيت النبوة، ويقول عنها علماؤنا ومحدثونا ومنهم العلامة المجلسي[(١)] والعلامة السيد عبد الله شبر[(٢)] وهو صاحب تفسير للقرآن الكريم أنها أصح الزيارات سنداً وأقواها اعتباراً. ويقول عنها آية الله العظمى السيد محمّد سعيد الحكيم: إن هذه الزيارة ثابتة مضموناً في جملة كبيرة من الروايات.

والحقيقة أن هناك شواهد كثيرة على أنها صادرة عن الإمام المعصوم عليه السلام لغة ومضموناً، ولا نكاد نصدق أنها صدرت من غير المعصوم، وذلك للمضمون العظيم والأدب الرفيع الذي يتناسب مع أدب أئمتنا عليهم السلام، وكان بعض فقهائنا يقول أنه لم يزر أئمتنا الأطهار إلاّ بهذه الزيارة لشدة أهميتها واعتبارها.[(٣)]

بيت النبوة:

هذه الزيارة لم تقل: السلام عليكم يا أهل بيت النبي، بل قالت يا أهل بيت النبوة، وهناك فرق بين أن يكون الإنسان من أهل بيت النبي وبين أن يكون من أهل بيت النبوة. فإن هذا التعبير يعطي دلالة أعمق وهي بيان منزلة

---

(١) البحار/ المجلسي ٩٩: ١٤٤.

(٢) شرح الزيارة الجامعة/ عبد الله شبر: ٣١ - ٣٣.

(٣) شرح الزيارة الجامعة/ عبد الله شبر: ٣٥.

عظيمة لأهل البيت عليهم السلام، لأن النبوة هي اختيار واصطفاء إلهي، وأهل البيت عليهم السلام هم أهل بيت هذا الاختيار والاصطفاء الإلهي، وليس مجرد كونهم أقرباء النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته، فمن الممكن أن يكونوا أولاده ولكن لا يكونوا أهل بيت النبوة ولا يستحقون هذا الموقع.

إن هذا التعبير يعطي دلالة على أن النبوة نزلت في بيت وليس في فرد، فرغم أن رسول الله صلى الله عليه وآله هو النبي، لكن النبوة ذات امتداد وإشعاع لكل أهل هذا البيت النبوي صلوات الله وسلامه عليهم.

أهل البيت عليهم السلام في القرآن:

وقد جعل القرآن الكريم لهم مصطلحا خاصاً هو (أهل البيت) وليس أهل بيت النبوة ولا أهل بيت النبي.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(١) وهي الآية المعروفة بنزولها في أهل بيت النبوة (محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين)، والمتفق على أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في حديث الكساء المستحب قراءته لما له من الفضل والثواب: «اللهم هؤلاء أهل بيتي». مشيراً إلى من كان تحت الكساء.(٢)

أهل البيت هل يشمل نساء النبي صلى الله عليه وآله؟

وهناك حديث علمي هو أن الآية المذكورة جاءت في سورة الأحزاب في سياق الحديث عن زوجات النبي صلى الله عليه وآله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ

(١) الأحزاب: ٣٣.
(٢) أمالي الطوسي: ٣٦٨/ ح ٧٨٣/ ٣٤؛ ومسند أحمد ٤: ١٠٧.

تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(١) **مما جعل أبناء المذاهب الأخرى يقولون أن هذه الآية تشمل زوجات النبي صلى الله عليه وآله وتثبت العصمة لهنّ.**

نحن نعتقد بمقام نساء النبي صلى الله عليه وآله وشأنهنّ، ولكن لا ندعي العصمة لهنّ ونقول: يختلف الحال بين امرأة وأخرى، فبعض النساء طلقهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعضهنّ ـ كما يقول القرآن الكريم ـ تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وآله (٢) أي تآمرتا عليه، فلا يمكن ولا يتقبل القرآن ادعاء العصمة لهنّ.

ويناقش العلامة شرف الدين هذا الموضوع وباقي علمائنا ويقول: انظروا هذه الآية تجدوا شيئاً غريبا، وهو التحوّل القرآني من نون النسوة إلى ضمير الجمع المذكّر، وهو يشير إلى أن القرآن الكريم لديه قصد في هذا التحويل، فالنصوص السابقة تتحدث بـ (نون النسوة) كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ﴾ ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ﴾ ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ﴾ ﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ﴾ ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ ﴿فَلا تَخْضَعْنَ﴾ ﴿وَقُلْنَ﴾ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ﴾ ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ﴾ ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ﴾ **وفجأة تحولت الآيات إلى ضمير الجمع المذكّر فقالت:** ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ...﴾ **ثم تعود إلى استعمال نون النسوة فتقول:** ﴿وَاذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

علماؤنا يتساءلون: لماذا هذا التحول القرآني في سياق الآيات وطريقة المخاطبة فيها؟ هل حدث ذلك صدفةً؟ أو حدثَ غفلة؟ أو بدون مقصد؟

---

(١) الأحزاب: ٣٢ و٣٣.

(٢) قال تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ﴾ **وكانتا عائشة وحفصة، وهو ما رواه جمهور العامة والخاصة، راجع صحيح مسلم ٤: ١٨٩؛ وجامع البيان/ الطبري ٢٨: ٢٠٦/ ح ٢٦٦٧٤؛ زاد المسير/ ابن الجوزي ٨: ٤٨ - ٥٢؛ تفسير القرطبي ١٨: ١٨٨؛ بحار الأنوار ٢٢: ٢٣١.**

الحقيقة أنه يعجز أي مفسر عن الاجابة الواضحة الصحيحة إلاّ أن يقول برأي هذا المذهب الشيعي الذي يرى أن نساء النبي غير مشمولات بهذه الآية.

هذا التحويل المقصود يعني أن هذه الآية اتجهت اتجاها آخر وكأنها قد حوّلت الخطاب إلى مقصود آخر، فبينما كانت تخاطب نساء النبي ﷺ إذا هي الآن تخاطب مجموعة أخرى تطلق عليها أهل البيت. هذا فضلا عن نصوص النبي ﷺ التي يؤكد فيها أن هؤلاء أهل بيتي حصراً، وتعيين أهل البيت عليهم السلام في أنهم: النبي ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وهذه النصوص ثابتة في روايات الفريقين.[1]

يقول علماؤنا: إن هناك حكمة إلهية قد لا ندركها في حشر هذه الآية بين آيات أخرى تتحدث عن نساء النبي ﷺ، لعل احداها أنها لو جاءت صريحة جداً في عدم الشمول لنساء النبي ﷺ وبدون التباس يقبل التأويل لأسقطها وحذفها أعداء أهل البيت عليهم السلام من القرآن، ولكنهم أبقوا هذه الآية للاستشهاد بها على فضل نساء النبي ﷺ.

وهذا هو نظير السؤال القائل: لماذا لم يرد في القرآن الكريم آية فيها اسم عليّ عليه السلام بشكل صريح؟ ربما لا يدرك السائل أن أعداء أهل البيت عليهم السلام قرروا أن لا يبقوا نصاً لرسول الله ﷺ في أهل البيت عليهم السلام إلاّ وحرّفوه، فلو كان في القرآن اسم عليّ وفاطمة والحسن و... فإنه لم يسلم من التحريف، ولكن مشيئة الله هي أن تُحفظ هذه النصوص بهذه الطريقة.

وجاء مصطلح أهل البيت في سورة هود أيضاً، وذلك حينما نزل الملائكة على النبي إبراهيم عليه السلام ﴿قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ إلى أن تقول الآيات إننا جئنا بالبشرى لك يا إبراهيم... فتعجبت امرأته كيف تلد وهي عجوز، فجاء

(١) لمزيد الإطلاع راجع كتاب مفاهيم القرآن للسبحاني: ١٢٦؛ وتفسير الميزان للطباطبائي ١٦: ٣٠٩.

الخطاب: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّه رَحْمَتُ الله وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾.[(١)] وهنا يلاحظ أيضاً أن القرآن الكريم عدلَ من الخطاب بضمير المؤنث إلى الخطاب بضمير جمع المذكر (عليكم) بينما قال في مطلع الآية: (أتعجبين) مما قد يكون له إيحاء معيّن بأن الرحمة والبركة هي بالأصل على أهل بيت النبوة، وإن كانت زوجة النبي صلى الله عليه وآله مشمولة بهذه الرحمة فهي من باب التبعيّة والالتحاق.

هناك التفاتة قرآنية مهمة في الحديث عن الاصطفاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ﴾[(٢)] لماذا أصبح الاصطفاء يشمل آل إبراهيم، وتحولت الآية في سياقها من الحديث عن النبوة كاستحقاق فردي إلى استحقاق جمعي وعائلي، فأصبحت تقول: آل ابراهيم وآل عمران، بينما قالت قبل ذلك آدم ونوحاً بدون آل. فهل هذا يعني أننا نعتقد بالنظرية الوراثية في الإمامة؟ كلا، إنما هي استحقاقات واصطفاء الهي، حيث جعل الله سبحانه النبوة في هذه الذرية والشجرة الطيبة، وليس على أساس أن هذا ابن ذاك فاستحق هذا الشأن والمقام، ولو كانت نظرية الإمامة وراثية لانتقلت إلى أولاد الحسن عليه السلام في حين أنها انتقلت إلى الحسين عليه السلام.

إن رسول الله صلى الله عليه وآله ورّثهم العلم والحلم والكرم وأخذوا هذه الصفات باستحقاق، ولذا قال تعالى لنوح عليه السلام عن ابنه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ﴾[(٣)] حينما تشفَّع له وقال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾.

السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، لقد كان ذلك شأنهم ومنزلتهم وليس محض كونهم ذرية النبي صلى الله عليه وآله وعشيرته، وإلاّ كان هناك الكثير من عشيرته. نحن أتباع أهل

---

(١) هود: ٦٩ - ٧٣.

(٢) آل عمران: ٣٣ و٣٤.

(٣) هود: ٤٦.

بيت النبوة وشيعتهم، وحسب التفسير الديني القائم على أساس الارتباطات المعنوية نحن ابناؤهم، قال ﷺ: «يا عليّ أنا وأنت أبوا هذه الأمة».[(١)]

بساط الأنبياء عليهم السلام:

نتبرك بهذه الرواية: يقول عليّ بن عاصم الأعمى ـ وهو من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام: دخلت على أبي محمّد العسكري عليه السلام فقال لي: يا علي بن عاصم إنّك على بساط قد جلس عليه الكثير من النبيين والمرسلين والأئمّة ولكنك لا ترى، فقلت في نفسي ليتني أرى هذا البساط، فعلم عليه السلام ما في ضميري وقال: أدنُ مني، فدنوت منه فمسح بيده الشريفة على وجهي فصرت بصيراً، فرأيت في البساط أقداماً وصوراً، فقال عليه السلام: هذا قدم آدم وموضع جلوسه، وهذا أثر هابيل، وهذا أثر شيث، وهذا أثر نوح، وهذا أثر قيدار، وذكر عشرات الأنبياء، إلى أن قال: هذا أثر رسول الله ﷺ، وهذا أثر أمير المؤمنين عليه السلام، وبدأ يعدد الأوصياء واحداً واحداً، ثم قال: أنظر إلى الآثار واعلم أنها آثار دين الله، وإن الشاك فيهم كالشاك في الله، ومن جحدهم كمن جحد الله، ثم قال: أغمض عينيك، فرجعت محجوباً كما كنت، فهويت إلى آثار الأقدام أُقبّلها، وقبّلت يد الإمام وقلت: إني عاجز عن نصرتكم بيدي، وليس أملك غير موالاتكم والبراءة من أعدائكم واللعن لهم في خلواتي، فكيف حالي يا سيدي؟ فقال عليه السلام: حدّثني أبي عن جدي رسول الله ﷺ قال: «من ضعف عن نصرتنا أهل البيت ولعن في خلواته أعداءنا بلغ صوته إلى جميع الملائكة... فإذا بلغ صوته الملائكة استغفروا له وأثنوا عليه وقالوا: اللهم صلّ على روح عبدك هذا الذي بذل في نصرة أوليائه جهده، ولو قدر على أكثر من ذلك لفعل، فإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: يا ملائكتي

(١) معاني الأخبار/ الصدوق: ١١٨/ ح ١؛ بحار الأنوار ٢٣: ١٢٨؛ ينابيع المودة ١: ٣٧٠.

إنّي قد أجبت دعاءكم في عبدي هذا، وسمعت نداءكم وصليت على روحه مع أرواح الأبرار، وجعلته من المصطفين الأخيار».[(١)]

نحن شيعة أهل البيت نتمتع بهاتين الخصوصيتين إن شاء الله، وهما: (الولاية لأهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم) كما يقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[(٢)] المودة بما تستحق من نصرة وفداء وتضحية في ساحات الجهاد. ذلك الإنسان كان أعمى فلا يستطيع أن يفعل شيئا، ولكن أنا وأنت نستطيع أن نفعل شيئا لنصرة ديننا فيجب علينا ذلك.

أسماء الشيعة:

وفي رواية أخرى يقول عبد الله بن الفضل: كنت عند الإمام الصادق عليه السلام إذ دخل المفضل بن عمر (وكان من عظماء أصحاب الأئمّة وله كتاب معروف اسمه: توحيد المفضل) فقال له الإمام عليه السلام: إني أحبك، وأحب من يحبك، يا مفضل لو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان، ... فقال له المفضل: يا بن رسول الله لقد حسبت أن أكون قد أُنزلت فوق منزلتي، فقال عليه السلام: بل أُنزلت المنزلة التي أنزلك الله بها... ثم أقبل عليه وقال: يا عبد الله إن الله تبارك وتعالى خلقنا من نور عظمته، وصنعنا برحمته، وخلق أرواحكم منا، فنحن نحنّ إليكم وأنتم تحنّون إلينا، والله لو جهد أهل المشرق والمغرب أن يزيدوا في شيعتنا رجلا وينقصوا منهم رجلا ما قدروا على ذلك، وإنهم لمكتوبون عندنا بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم وأنسابهم، ولو شئت يا عبد الله لأريتك اسمك في صحيفتنا، ثم دعا عليه السلام بصحيفة ونشرها فوجدتها بيضاء، قلت: سيدي هذه بيضاء ليس فيها أثر من كتابة، فمسح يده عليها فوجدتها مكتوبة وفي أسفلها اسمي، فسجدت لله شكراً.[(٣)]

---

(١) أنظر نص الرواية في البحار للمجلسي ٥٠: ٣١٦.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) أنظر: الإختصاص/ المفيد: ٢١٦.

هـذا الاصـطفاء يمتـد مـن أهـل البيـت عليهم السلام إلـى شـيعتهم، «واصـطفى شيعتهم لهم». كما جاء في بعض الأحاديث.

حكاية في فضل الزيارة الجامعة:

يقـول أحـد المـؤمنين فـي ايـران: قبـل اختـراع السـيارات والطـائرات التحقـت بأحـد قوافـل الحـج، فـالتحق بنـا جماعـة فـي تبريـز _ وكـان الجـو بـارداً والطـرق مليئـة باللصـوص، فقـال رئـيس القافلـة: سـنتحرك قبـل الفجـر، وليجتمـع بعضـكم مـع بعـض، فلـو بقـي أحـدكم وحـده فإنـه سيموت مـن البـرد. ومـن عـادتي أنـي كنـت أتـأخر عـن القافلـة وأتحـدث مـع صـاحبي، وابتعـدت مـرة عنهـا للوضـوء فلـم أجـد جمـاعتي فرجعـت إلـى مكـاني، وكانـت أمـوال الجماعـة عنـدي فبقيـت أفكـر بـذلك وكانـت أغصـان الأشـجار قـد سـقطت عليهـا الثلـوج، فأقبـل علـيّ رجـل قبـل الفجـر، فقلـت لـه: أنـا ضـائع ولا أعـرف الطريـق، فقـال: صـل صـلاة الليـل فصـليتها، فرجـع إلـيّ فقـال: ألـم تهتـد إلـى الطريـق؟ قلـت: لا، قـال: زر زيـارة عاشـوراء، قلـت: لا أحفظهـا، ولكـن بـدأت اقرؤهـا وإذا أنـا حافظهـا، ثـم عـاد إلـيَّ فقـال: لمـاذا لـم تـذهب؟ قلـت: لا أهتـدي الطريـق، قـال: زر الزيـارة الجامعـة، قلـت: لا أحفظهـا، ولكـن بـدأت بالسـلام عليكم يـا أهـل بيـت النبـوة وإذا بهـا تجـري علـى لسـاني إلـى آخرهـا، فأقبـل مـرّة ثالثـة علـيّ وقـال: لِـمَ أنـت هنـا؟ قلـت: لا أهتـدي الطريـق، قـال: اركـب معـي، فـأردفني علـى الحمـار وعنـان فرسـي بيـدي وقـال: أعطنـي عنـان الفـرس، وإذا بالزمـام يطاوعـه وأخـذ يعتـب علـيّ ويقـول: عاشـوراء، عاشـوراء، عاشـوراء، الجامعـة، الجامعـة، الجامعـة، أي لمـاذا يـا شـيعتنا لا تـزورون عاشـوراء والجامعـة؟ وبعـد لحظـات قـال: أنظـر هـؤلاء جماعتـك يتهيـأون للوضـوء والصـلاة، وبينمـا أنـا قـد نظـرت إلـى أصـحابي افتقـدت هـذا الشـخص الـذي دلنـي علـى الطريـق وغـاب عنـي، فتعجبـت مـن يكـون هـذا الشـخص؟ ومـا يصـنع هـذا

الفلاح في القرية قبل الفجر في الظلام والثلوج؟ وكيف قرأت زيارة عاشوراء والجامعة ولم أكن أحفظهما؟! هذه حكاية في فضل الزيارة الجامعة يرويها الشيخ عباس القمي في كتابه المعروف (مفاتيح الجنان).

الحسين عليه السلام يوم عاشوراء:

قال الحسين عليه السلام يوم عاشوراء: «ألا هل من موحّدٍ يخافُ الله فينا»[1] لم يجبه أحد إلاّ امرأة وهب الكلبي، أخذت عمود الخيمة وأقبلت لتقاتل، فالتفت إليها زوجها وقال: يا أمة الله، قبل قليل كنت تمنعينني من القتال، قالت: يا وهب لا تلمني، سمعت الحسين عليه السلام ينادي: ألا هل من ناصر ينصرنا، ألا هل من ذاب يذب عنا، ألا هل من موحّد يخاف الله فينا؟

إنا لله وإنّا إليه راجعون

* * *

(١) اللهوف/ ابن طاووس: ٦٩.

المحاضرة الثالثة:

هبوط الملائكة على أهل البيت عليهم السلام

«وموضع الرسالة ومختلف الملائكة»

حديثنا هذه الليلة عن قوله في الزيارة: «وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة».

معنى الرسالة:

الرسالة هي الإسلام وسائر الأديان الإلهية الأخرى.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ﴾،[1] **ورسالات الله هي شريعته وأحكامه ودينه وذلك هو الإسلام، قال تعالى:**

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾.[٢]

ويمكن القول أن الديانات (اليهودية، المسيحية، المحمدية) ترجع كلها إلى شيء واحد وهو الإسلام.

إن أهل البيت عليهم السلام **هم موضع الرسالة التي هي هدية ورحمة من الله تبارك وتعالى إلى العباد، قال تعالى:** ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾،[3] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾،[4] **إذن نحن المرسَل إليهم، والمرسِل هو الله سبحانه، وهناك رسل هم وسائط يحملون الأمانة وهي الرسالة، وأهل البيت** عليهم السلام **هم موضع الرسالة التي يراد إيصالها للعباد وهم الأمناء على ذلك، وليسوا هم مثلنا فتصل الرسالة إليهم كما تصل إلينا، وإنما يحملون الرسالة التي نزلت في بيتهم.**

---

(1) الأحزاب: ٢٩.

(2) آل عمران: ١٩.

(3) الأنبياء: ١٠٧.

(4) سبأ: ٢٨.

الرسالة تكريم الله للعباد، لقد بعث الله لنا من وراء السماوات والعرش كتابا نقرؤه ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[1] أقرأوا هذه الرسالة التي لا ريب فيها وهي الأمانة من عند الله، وقد شملت هذه الرسالة الجن أيضاً، فالجن والإنس هما الثقلان اللذان بُعث إليهما نبينا ﷺ، والجن منهم من آمن بالله، قال تعالى حكاية عن الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾.[2] القرآن يشرح لنا قصة مجموعة من الجن فوجئت بنزول هذه الرسالة واستقبلوها، ومنهم من كفر، قال تعالى على لسانهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾،[3] بمعنى الكافرون.

نقول في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: «السلام عليك يا أمين الله في أرضه وحجته على عباده»،[٤] ونقرأ في الزيارة الجامعة: «... وأمناء الرحمن وأبواب الإيمان» إنهم أمناء على هذه الرسالة وليس على الذهب والفضة.

«ومختلَف الملائكة»:

هذه الجُملة تعني أن أهل البيت عليهم السلام هم الموضع الذي تنزل عليهم الملائكة وتختلف ذهاباً واياباً على بيوتهم، حيث الاختلاف في اللغة بمعنى تكرّر الدخول والخروج على المكان.

الإيمان بالملائكة:

إن الملائكة يكثرون التردد على أهل البيت عليهم السلام، وهنا سيكون حديثنا طبعاً عن عالم الملائكة، لنلاحظ رؤية الإسلام في ذلك:

---

(1) إبراهيم: ١.

(2) الجن: ١ و٢.

(3) الجن: ١٤.

(4) مصباح المتهجد/ الطوسي: ٧٣٧/ ح ٨٢٩/ ٩٨.

نحن الذين آمنا بالله شرط علينا الإيمان بالملائكة أيضاً. قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ...﴾،[1] إذن الإيمان بالملائكة يساوي الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وهو يساوي الإيمان بالله تعالى.

المخلوقات العاقلة ثلاثة: الإنس والجن والملائكة[*] وهي المخلوقات المكلفة، وما عداها حيوانات برية وبحرية وحجر وشجر وأمثال ذلك، لا تكليف عليها ولا حساب ولا عقاب.

الحقيقة أن التكليف تكريم للإنسان، وكان بعض الصالحين العارفين يحتفل بيوم تكليفه،[2] وبلوغه سن الرشد، ويعتبره يوم كرامته حيث اعتبره الله إنسانا عاقلا أراد منه الصلاة والصوم وغير ذلك.

لقد خلق الله سبحانه الجن من مارج من نار وهي الشعلة المتوهجة من النار، ونحن لا نستطيع تحليل ذلك مادياً.

أما الملائكة فقد جعلها رسلاً ذات أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وليس بالضروري أن تكون ذات جناح مادي كجناح الطير فيه ريش وزغب، إنما ذلك على سبيل التمثيل، فجبرئيل عليه السلام يقطع المسافة بين السماء والأرض في لحظات، والجناح ربما كان إشارة إلى القدرة على التنقل السريع.

أقسام الملائكة:

القسم الأوّل: قسم عام من الملائكة يكون مع كل إنسان، مهمتهم

---

(1) البقرة: ١٧٧.

(*) هذا الموضوع سنبحثه في محاضرات لاحقة باذن الله تعالى، وهناك بحث نظري في أن الشياطين هم مخلوق مستقل أم هم نفس الإنس والجن يتحولون إلى شياطين، هذا ما سنتناوله فيما بعد.

(2) كما روي ذلك عن السيد ابن طاووس قدس سره. أنظر: (المراقبات) للعالم العارف الشيخ ميرزا جواد التبريزي قدس سره.

حفظ الإنسان وكتابة أعماله. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ﴾،[1] فهم يمشون معه ويجلسون معه على المائدة يكتبون اعماله ﴿كِراماً كاتِبِينَ﴾.[٢]

وقال تعالى: ﴿ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ، وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.[3]

القسم الثاني: هم الملائكة الذين يختصون بالمؤمنين المتقين الصالحين، ومهمتهم تأييد المؤمنين وتثبيتهم، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.[4]

إن النموذج الأكمل للمؤمنين هو الإمام عليّ عليه السلام، تقول الروايات: أن الملائكة مع شيعة عليّ عليه السلام ومع أهل البيت عليهم السلام،[٥] ربما لا نسمعهم بآذاننا ولا نراهم بأعيننا، ولكن هذه الاستقامة لدى المؤمنين والاطمئنان إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام والتحمل في طريقهم هي من إلقاء هؤلاء الملائكة في قلوبهم ﴿أَلَّا تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَ...﴾ لقد لاحظنا ذلك في الأسرى العراقيين حينما كنّا نزور معسكراتهم في طهران وأكثرهم من الشيعة الذين دُفعوا دفعاً إلى تلك المعارك الظالمة، فقد كانوا يرددون حينما نلتقيهم:

(إحنه غير حسين ما عدنا وسيلة	والذنوب هواي كفتها ثجيله)
وغداً يبدو لنا سداً منيعا	هذه آراؤنا فيه جميعا

---

(1) الإنفطار: ١٠.

(2) الإنفطار: ١١.

(3) ق: ١٨ و١٩.

(4) فصلت: ٣٠.

(5) عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن في السماء لسبعين صفاً من الملائكة لو اجتمع عليهم أهل الأرض كلهم يحصون عدد كل صنف منهم ما أحصوهم، وإنهم ليدينون بولايتنا». بصائر الدراجات، الصفار ٩: ٨٩/ باب ٦.

وقد صححت لهم هذا المقطع الأخير بالقول: (وغداً يبدو لنا مولى شفيعا) بدلاً من كلمة «سداً منيعاً» وهنا نسأل من الذي ألقى هذا الحب والولاء وهذا الاطمئنان في قلوب هؤلاء الأسرى وهم يذوقون آلام الأسر والغربة سنين طويلة. إن هذا الاستبشار بالآخرة وفي قلوب المؤمنين هو مما تتنزل به الملائكة على قلوبهم ﴿أَلَّا تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

القسم الثالث: المختصون بالأنبياء عليهم السلام وعلى رأسهم جبرئيل عليه السلام وهو سيد الأمناء، وحامل الرسالة، وصديق الأنبياء وقرينهم، ويختصون أيضاً بالأوصياء والأئمّة الأطهار والزهراء عليهم السلام فإنهم مختَلَف الملائكة، والأئمّة لديهم كل الأقسام من الملائكة. وهناك مَلَك أعلى من جبرئيل هو «الروح» على بعض التفاسير، ولذا يقول تعالى ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾،[1] فالروح شيء آخر، فهو أما جبرئيل أو ملك تكون الملائكة امتداداً وإشعاعاً له.[2]

عليّ عليه السلام يرى الملائكة:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ قال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته». ثم قال له: «إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى إلاّ أنك لست بنبي، ولكنك وزير وإنك لعلى خير».[3]

---

(1) القدر: ٤.

(2) عن أبي بصير قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فذكر شيئاً من أمر الإمام إذا ولد، فقال: «استوجب زيارة الروح في ليلة القدر»، فقلت: جعلت فداك أليس الروح هو جبرائيل؟ فقال: «جبرائيل من الملائكة والروح أعظم من الملائكة...». تفسير الميزان/ الطباطبائي ٢٠: ٣٣٥. وسوف نعود إلى هذا الموضوع في محاضرات لاحقة إن شاء الله.

(3) نهج البلاغة ٢: ١٣٧- ١٦٠/ خ ١٩٢.

وثبت في الروايات _ كما يروي الكليني في الكافي وغيره _ أن الزهراء عليها السلام كان يهبط عليها جبرئيل عليه السلام.

تقول الرواية عن الصادق عليه السلام: إن الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فأرسل إليها ملكاً يسلي غمها ويحدثها... فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً، قال: ثم قال: أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون.[١]

في الرواية أن حمران بن أعين دخل على الباقر عليه السلام فقال له: يبلغنا أن الملائكة تنزل عليكم، فقال عليه السلام: إن الملائكة والله لتنزل علينا وتطأ فرشنا، أما تقرأ كتاب الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ...﴾.[٢]

وعن الباقر عليه السلام: «منا من يسمع الصوت ولا يرى الصورة، وإن الملائكة لتزاحمنا على متكآتنا، وإنّا لنأخذ من زغبهم».[٣]

وقال أبو سيار للإمام: ويظهرون لكم؟ قال: فمسح يده على بعض صبيانه وقال: هم ألطف بصبياننا منا.[٤]

ويقول أبو بصير _ وهو من مشاهير الرواة والمحدثين: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ...﴾ قال: يا أبا محمّد: هم الأئمّة من آل محمد تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى: أن لا تخافوا ولا تحزنوا، وهي والله تجري فيمن استقام من شيعتنا وسكن لأمرنا وكتم حديثنا ولم يذعه عند عدونا.[٥]

---

(1) الكافي: ١/ ٢٤٠.

(2) بصائر الدرجات/ الصفار ٣: ١١١/ باب ١٧، والآية في سورة فصلت: ٣٠.

(3) بصائر الدرجات/ الصفار ٨: ١١٢/ باب ١٧ وج ١٢ و١٤.

(4) بصائر الدرجات/ الصفار ٩: ١١٢/ باب ١٧.

(5) بصائر الدرجات/ الصفار ١٩: ١١٢/ باب ١٧، والآية في سورة: ٣٠.

القسم الرابع: ملائكة التدبير، قال تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً... فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾[1] **فالملائكة في الفهم القرآني تدبر أمور الكون وراء القوانين الطبيعية، فالموت مثلاً يتم عبر عملية نزول ملك الموت وانتزاعه للروح** ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾،[2] **ورغم إننا نفهمه بقوانينه المادية، ولكن القرآن يؤكد أن وراء ذلك عملية أخرى هي عملية انتزاع الملائكة للروح.**

القسم الخامس: الملائكة التي تنزل لنصرة المؤمنين في الحروب والشدائد كما حدث في معركة بدر، قال تعالى: ﴿بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.[3]

كرامة لعليّ عليه السلام:

ففي رواية معتبرة يرويها الشيخ الصدوق رحمه الله: إن رسول الله صلى الله عليه وآله طلب ليلة معركة بدر (١٧ رمضان) من المسلمين أن يستقي أحدهم الماء من البئر وكان الوقت موحشاً فلم يقم أحد، فقام علي عليه السلام وقال: أنا يا رسول الله، فأخذ القربة وجاء إلى موقع الماء وإذا هو بئر عميقة، فنزل فيها وملأ القربة، وفي رجوعه عصفت به ريح فمكث حتى هدأت، وهكذا هبت عاصفة ثانية وثالثة، ولما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وحكى له ما جرى، قال صلى الله عليه وآله: أولئك ملائكة الله أرسلهم يسلمون عليك، جبرئيل في ألف من الملائكة، وميكائيل في ألف من الملائكة، وإسرافيل في ألف من الملائكة.[٤]

(1) النازعات: ١ و٥.

(2) النحل: ٣٢.

(3) آل عمران: ١٢٥.

(4) من حديث طويل مسند فيه احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام يوم الشورى. راجع الخصال/ الصدوق: ٥٥٣/ ح ٣١.

وقد نظم شاعر أهل البيت عليهم السلام السيد الحميري في ذلك شعراً:

أقسم بالله وآلائه	والمرء عما قال مسؤولُ
إن عليّ بن أبي طالب	على التقى والبر مجبولُ...
ذاك الذي سلّم في ليلة	عليه ميكال وجبريلُ
ميكال في ألف وجبريل في	ألفٍ ويتلوهم سرافيلُ
ليلة بدر مدداً أُنزلوا	كأنّهم طيرٌ أبابيلُ[1]

الملائكة يوم عاشوراء:

وفي رواية يرويها الشيخ الصدوق في أماليه، وابن قولويه في كامل الزيارات عن الصادق عليه السلام: «إن أربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي عليه السلام فلم يأذن لهم، فرجعوا في الاستئذان وهبطوا وقد قُتِل الحسين عليه السلام فهم عند قبره غبر شعث يبكونه إلى يوم القيامة».[2]

نعم هذا الحسين عليه السلام في وحدته يوم عاشوراء، نادى أصحابه وهم مجزرين كالأضاحي: أين زهير ولا زهير لي اليوم، أين مسلم ولا مسلم لي اليوم، أين برير ولا برير لي اليوم، ما لي أناديكم فلا تسمعون، وأدعوكم فلا تجيبون، أنتم نيام أرجوكم تنتبهون، بلى والله قد حال بيني وبينكم المنون.

يقول الراوي: والله لقد رأينا جثث هؤلاء الأصحاب تتقلب على الأرض كأنها تريد نصرة الحسين عليه السلام، كأنهم سمعوا الكلام، ولو أذن لهم لنهضوا لنصرة الحسين عليه السلام.

(1) الأمالي/ الطوسي: ١٩٩/ ح ٣٣٩/ ٤١.
(2) الأمالي/ الصدوق: ٧٣٧/ ح ١٠٠٥/ ٧، كامل الزيارات/ ابن قولويه: ١٧٢.

نزول الملائكة لا يختص بالأنبياء:

ما يزال حديثنا عن هذا المقطع: «ومختلف الملائكة» ومعناه أنّ الملائكة ينزلون على أهل البيت عليهم السلام كما ينزلون على رسول الله صلى الله عليه وآله، والفرق هو أنّ النبوة انتهت بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا يقول قائل: هل الأئمّة أنبياء؟ فنزول الملائكة تكريم لهم كقوله تعالى: ﴿كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[1] **فلا يعني ذلك أنّ مريم كانت نبية، وكان الإطعام لها يوميا بدليل الآية.**

إنّ عبارة «مختلف الملائكة» يعني أنّ الملائكة يترددون عليهم.

نحن نعتقد بعصمة الملائكة دون استثناء لقوله تعالى: ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾.[2] **الملائكة أقسام: ملائكة النار، ملائكة الجنة، ومنهم الكتّاب وأمناء الوحي وملائكة التدبير.**

مَلَك النار:

في قصة المعراج التقى رسول الله صلى الله عليه وآله بملك مقطّب الوجه منذ خلقه الله تعالى، فسأل جبرئيل عنه، فقال: إنّه خازن النار، لم يضحك لأحد قبلك، ولو كان قد ضحك لأحد لضحك لك.[3]

سؤال: إذا كان الملائكة معصومين منذ خلقهم الله فما هي أفضليتهم على البشر؟

الجواب: إنّها مشيئة الله، كما خلق الله الإنسان أفضل من الحيوان، فإنّ ذلك من لطف الله، ولذلك يتمتع الإنسان بملكات في الدنيا والآخرة بلطف

(١) آل عمران: ٣٧.

(٢) التحريم: ٦.

(3) أنظر: الميزان/ العلامة الطباطبائي ١٣: قصص الإسراء والمعراج.

الله. وهـذا التمييـز لـيس ظلمـاً للحيـوان أو الحجـر، فـإنّ الله هـو الـذي خلـق المـاء مـاءً والحجـر حجـراً والشـجر شـجراً والإنسـان إنسـاناً، وخلـق الملائكـة لا يعصـون أمـراً، كمـا خلـق الإنسـان ذا عقـل وإرادة، خلقـه بصـيراً سـميعاً، وخلـق كثيـراً مـن الحيوانات لا تسمع ولا تبصر.

مَن هو الأفضل الملائكة أم البشر؟

سؤال: في عقيدتنا الإسلامية هل الملائكة أفضل من البشر أو العكس؟

الجـواب: قـد يكـون البشـر أفضـل مـن الملائكـة وقـد يكـون دونهـم، فـلا توجـد حالـة عامـة، ابـن آدم قـد يعصـي ويكـون أتعـس مـن الأنعـام كمـا قـال تعـالى: ﴿إِنْ هُـمْ إِلاَّ كَالأَنْعـامِ بَـلْ هُـمْ أَضَـلُّ سَـبِيلاً﴾.[1] **أراد الله أن يكـرم ابـن آدم، قـال تعـالى:** ﴿وَلَقَـدْ كَرَّمْنـا بَنِـي آدَمَ﴾[2] **حتـى إنّـه أمـر جميـع ملائكـة السـماء أن يسـجدوا لآدم، وهـذه القضـية القرآنيـة تعنـي أنّ الملائكـة دون البشـر المتكامـل، وآدم كـان يمثـل نمـوذج البشـر الكامـل، قـال تعـالى:** ﴿وَإِذْ قـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلائِكَـةِ إِنِّـي جاعِـلٌ فِـي الأَرْضِ خَلِيفَـةً قـالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾[3] **وقال تعالى:** ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَـهُ سـاجِدِينَ * فَسَـجَدَ الْمَلائِكَـةُ كُلُّهُـمْ أَجْمَعُـونَ * إِلاَّ إِبْلِـيسَ أَبـى أَنْ يَكُـونَ مَـعَ السَّـاجِدِينَ﴾[4] **قـال: يـا ابلـيس مـا منعـك أن تسـجد؟ قـال بجـرأة:** ﴿أَنـا خَيْـرٌ مِنْـهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.[5]

---

(١) الفرقان: ٤٤.
(٢) الإسراء: ٧٠.
(٣) البقرة: ٣٠.
(٤) الحجر: ٢٩ و٣١.
(٥) الأعراف: ١٤.

الجـرأة ليسـت أمـراً حسـناً دائمـاً، فإنّهـا تعبّـر أحيانـاً عـن شـجاعة وأدب وأحيانـاً عـن تجـاوز وسـوء أدب، فكانـت جـرأة إبلـيس علـى الله تعـالى سـوء أدب، فقال له: ﴿اخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾.

سؤال: إذا كان الملائكة معصومين، فكيف عصى إبليس ربه؟

الجـواب: القـرآن يجيـب بـأنّ إبلـيس لـم يكـن مـن الملائكـة، نعـم كـان معهم في السماء ولكنه كان من الجن، قال تعالى: ﴿كانَ مِنَ الْجِنِّ﴾.[1]

إنّ ابليس قـام بعمليـة قيـاس واسـتدلال خـاطئ ولـيس اسـتدلالاً علميـاً، بقولـه: خلقتني من نار وخلقته من طين، وباجتهادي وعقلي أن النار أفضل من الطين.

ولهذا يشدد الإمام الصادق عليه السلام على أبي حنيفة (وهو أحد أئمّة المذاهب الأربعة) وقد ابتدع مبدأ القياس، وفيه يقيس مسألة ليس فيها آية أو حديث بمسألة أخرى مماثلة لها، ويستخرج الحكم الشرعي بهذه الطريقة. وليس في مذهبنا القياس، فقال له عليه السلام: إنّ أوّل من قاس هو إبليس، والله تعالى لم يقبل منه ذلك.[2]

دعاء أبي ذر الغفاري:

ويـروي الشـيخ الصـدوق رحمه الله عـن الإمـام الصـادق عليه السلام قـال: إنّ أبـا ذر الغفـاري رحمه الله مـرَّ برسـول الله صلى الله عليه وآله فوجـد عنـده رجـلاً مـن قـيس ولـم يسـلم عليـه لـئلا يزاحمـه، وكـان الجـالس جبرئيـل عليه السلام وكـان يظهـر بصـورة دحيـة الكلبـي أحيانـاً، ثـم انصـرف جبرئيـل وعـاد أبـوذر، فسـأله رسـول الله يـا أبـا ذر مـررت علينـا ولـم تسّـلم؟ فقـال: رأيتـك مشـغولا مـع آخـر فمـا أردت أن أقطـع عليكمـا كلامكمـا، قـال صلى الله عليه وآله: ذاك جبرئيـل يـا أبـا ذر وقـد قـال: أمـا والله لـو سـلّم علينـا لرددنـا عليـه السـلام، ... يـا أبـا ذر كنـت تـردد دعـاء أخبرنـي جبرئيـل أنّـه معـروف

---

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) أنظر: الفصول المهمة: ٢٣٤.

عنـد أهـل السـماء فمـا هـو؟ قـال هـو: «اللهـم إنّـي اسـألك الأمـن والإيمـان بـك، والتصـديق بنبيّـك، والعافيـة مـن جميـع الـبلاء، والشـكر علـى العافيـة، والغنـى عـن شرار الناس».[١]

وهـو مـن الأدعيـة الجامعـة لهمـوم الـدنيا والآخـرة، احفظـوه واقـرأوه فـي القنوت والسجود.

الملائكة يحضرون مجالس القرآن:

أنقل لكم هذه الرواية في فضل قراءة القرآن الكريم: عن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الاّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».[٢]

فـي مجلسـكم هـذا لـو كشـف لكـم الغطـاء لوجـدتم الملائكـة يمـلأون أفـق هـذا المكـان ويتزاحمـون عنـد الـدخول إليـه، إذن لـيس غريبـاً أن تنـزل الملائكـة على الذين نزل القرآن في بيوتهم وهم أهل بيت الوحي والنبوة.

علاقة الإنسان مع غيره:

أحضرت لكم روايتين، الأولى تتعلق بشأن الإنسان وعلاقته مع إبليس، حيث أنّ العلاقة معه تكون صداقة تارة والعياذ بالله، وعداوة تارة أخرى كما يريد ذلك القرآن الكريم، والرواية الثانية تتعلق بشأن علاقة الإنسان مع الملائكة.

الإسـلام يـنظم العلاقـة بـين المخلوقـات، فمـن روائـع الإسـلام أن يبـين ماهيـة العلاقـة بـين الإنسـان وبـين الملائكـة والشـيطان والحيـوان، ولعلّـي سـوف

---

(١) الكافي ٢: ٥٨٧.

(٢) أنظـر: كنـز العمـال ١: ٥١٨؛ مسـند أحمـد ٢: ٢٥٢؛ ونحـوه فـي: الرسـالة السـعدية للحلـي: ١٦٣؛ عوالي اللئالي ١: ٣٧٥.

أشـرح لكـم العلاقـة بـين الإنسـان والطبيعـة والأرض التـي يمشـي عليهـا والقلـم الذي يكتب به والهواء الذي يتنفسه والشجر والمسجد والشارع.

أين يتألم الشيطان وأين يفرح؟

تقـول الروايـة الأولـى وهـي عـن الإمـام الصـادق عليه السلام أن الشـيطان (لعنـه الله) رنّ فـي أربعـة مواضـع وصـرخ مـن شـدة الألـم، إنّنـا طبعـاً لا نسـمع هـذه الرنّـات والصـيحات كمـا يسـمعها رسـول الله صلى الله عليه وآله والإمـام علـيّ عليه السلام حينمـا كـان جالسـاً عنـد رسـول الله صلى الله عليه وآله فسـمع تلـك الرنـة. أولهـا حينمـا لعنـه الله وقـال: ﴿إِنَّ عَلَيْـكَ لَعْنَتـي إِلى يَـوْمِ الـدِّينِ﴾ حيـث صـرخ مـن ألـم اللعنـة، والثانيـة: حينمـا أُهبط إلـى الأرض وقـال لـه تعـالى: ﴿اخْـرُجْ مِنْهـا فَإِنَّـكَ رَجِـيمٌ﴾[1] وخسـر موقعـه مـع الملائكـة وفـي السـماء، والثالثـة: حينمـا بُعـث رسـول الله صلى الله عليه وآله، والرابعـة: حينمـا أُنزلـت أم الكتـاب (سورة الفاتحة)، ففي هذه السورة روح القرآن وجوهره ولبّه ومجمله.

وللشـيطان فرحتـان: الأولـى حينمـا أكـل آدم مـن الشـجرة، والفرحـة الثانيـة حينما أُهبط آدم من الجنّة.[2]

تفسير معصية آدم عليه السلام:

يقول البعض: كيف يعصي آدم مع قولكم أنّ الأنبياء معصومون؟

الجـواب يقدمـه القـرآن الكـريم، حيـث يبـين أنّ الملائكـة قـد أُمـروا بالسـجود لآدم، إذن هـو ذو شـأن عظـيم، والمقـام الـذي يسـتحق سـجود الملائكـة المعصـومين يعنـي أنّـه أشـرف وأفضـل مـنهم. إذن نحتـاج إلـى تحليـل، هـل أنّ مـا صـدر مـن آدم كـان معصـية وارتكـاب الإثـم، أم لـه معنـى آخركمـا فـي قولـه

---

(١) الحجر: ٣٤.

(٢) أنظر: تفسير الميزان ١: ١٣٢؛ مغني المحتاج ١: ١٥٧؛ قرب الأسناد: ١٠؛ الخصال: ٢٦٣.

تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾[(١)] **فإنّها لا تعني أنّ رسول الله ﷺ تقدمت منه ذنوب وتأخرت وأنّ الله سبحانه غفرها، فهذه القضايا يجب أنّ تؤخذ بمقاييسها حسب رأي العلماء.**

رحم الله السيد الحكيم شهيد المحراب وأعلى مقامه كان يطرح هذا الموضوع كلما تشتد علينا الخطوب خاصة قبل أن يسقط الطاغية صدام ونعود إلى العراق، اشتدت الأمور بحيث أخذ البعض يزيغ يمينا والبعض الآخر شمالاً، وكان هو رابط الجأش ثابت القدم ويقول: إنّ طريقنا هو الطريق الصحيح، كان يقول: إذا انتصر الإنسان فإنّ كل سيئاته تتحول إلى حسنات، ولكن إذا لم ينتصر فحتى حسناته تعتبر سيئات، وعليه فإنّ اشكالاتكم هذه _ وهو يناقش بعض الاشكالات التي تذكر ضدّه _ كلها تتحول إلى حسنات، ولكننا في المهجر غير منتصرين وصدام حاكم فمن السهل أن يجمع شخص الاشكالات علينا، ولكن إذا انتصر الإنسان فإنّه يتحقق هذا المعنى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾.[(٢)]

الآية تعني ما يلي: يا رسول الله نحن فتحنا لك فتحاً وبذلك ستُمسح كل السيئات التي سجلتها قريش عليك، وفعلاً قالوا له حينما انتصر وأسرهم في فتح مكة وقال لهم: ماذا تظنون أنّي صانع بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.[(٣)] لاحظوا، هم بالأمس كانوا يقولون عليه ساحر مجنون ولكن اليوم حينما انتصر أصبح كريماً وابن أخ كريم. إنّ الأمر يحتاج إلى صبر وتحمل وقلب واسع يتحمل الكلمات الجارحة من القريب والبعيد والعتب والشدة، إضافة إلى طبيعة المعاناة والهجرة والسجون

---

(١) الفتح: ١ و٢.

(٢) الفتح: ٢.

(٣) أنظر: كتاب الأم للشافعي ٧: ٣٨٢.

والمأساة، يحتاج الإنسان إلى أن ينظر بنور الله بأنّ طريقه صحيح. كنا غير منتصرين فسجلوا علينا الاشكالات، أنتم كم سمعتم من اشكالات وشبهات في الصحافة العالمية والانترنيت، ولكن حينما انتصر السيد الحكيم رحمه الله تحول إلى رجل عالمي مع أنّه ذلك الرجل نفسه.

محل الشاهد أن آدم عليه السلام عصى ربه فغوى، لكنه لم تكن معصيته بمعنى مخالفة الأمر الإلهي وارتكاب الإثم. بل كانت بمعنى فعل ما لا ينبغي فعله، وارتكاب خلاف الأولى.

اسمعوا ماذا يقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

أتحرقني في النار يا غاية المنى فأين بكائي فيك أين مودتي؟
أتيت بأعمال قباح كثيرة فما في الورى عبد جنى كجنايتي

فهل يعني أنّ الإمام عليه السلام غير معصوم ولديه ذنوب كثيرة؟

إنّه عليه السلام يفهم كيف يجب أن يكون الإنسان الكامل مؤدباً بأعلى درجات الأدب بين يدي الله تعالى.

أذكر كلمة للإمام الخميني قدس سره في كتابه (الآداب المعنوية للصلاة) حيث يقول: والله، لو اعتمدنا على المقاييس الطبيعية لكانت صلاتنا من كبائر الذنوب.

إنّه كلام صحيح، فالإنسان الملوث المسود الوجه وصاحب الأهواء الشيطانية الكثيرة والغافل والحقير يقف بين يدي الله ويخطب ويناقش ويدعو، يقال له: ما هي منزلتك أيها الإنسان حتى تقف بين يدي الله؟ إنّ الإنسان مكشوف الآثام والذنوب والأهواء أمام الله تبارك وتعالى، فكيف يقف بين يدى الله ويقول: ﴿الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مالك يَوْمِ الدِّين * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ويقول: سبحان ربي العظيم...

إنّ هذا من كبائر الذنوب إذا أردنا أن ننظر إليه بنظر العارفين، ولذلك

فإنّ الكلام مع الله جسارة وجرأة، وهذا هو المفهوم من إحدى مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام الخمس عشرة، حيث يقول: «إلهي لولا الواجب من قبول أمرك لنزّهتك عن ذكري إياك، على أن ذكري لك بقدري لا بقدرك، وما عسى أن يبلغ مقداري حتى أُجعل محلا لتقديسك...».[١]

مواطن ضحك الملائكة:

الرواية الثانية بغض النظر عن سندها فإنّ فكرتها صحيحة، وهي أنّ الملائكة ضحكوا في ثلاثة مواطن، وبكوا في ثلاثة مواطن: من المواطن التي ضحكوا فيها هو أنّ الرجل يلغو طيلة اليوم ثم يصلي العشاء ثم يلغو بعد ذلك، فتضحك الملائكة وتقول: ألم تشبع طيلة اليوم يا غافل ولم تشبع حتى في الليل؟

الموطن الثاني: هو أن يأخذ الفلاح من أرض صاحبه وجيرانه، فتضحك الملائكة وتقول: إنّك ما شبعت من أرضك وزراعتك أتشبع من هذا؟

الموطن الثالث: هو المرأة غير المحجبة إذا ماتت تسجى في قبرها حتّى يسوى عليها التراب حيث تأخذ زوجها وأقرباءها الغيرة عليها حتّى لا يراها المشيّعون، فتضحك الملائكة وتقول: حينما كانت جميلة لا تتحجب والآن تأخذكم الغيرة عليها؟ هذه في الحقيقة مواطن الاستغراب في حياة الإنسان وتناقضاته.[٢]

لاحظوا هذه الأمور في تصرفاتكم، مثلا ينام الإنسان الليل كله ويوسوس له الشيطان أن لا يستيقظ لصلاة الصبح وهي عشرة دقائق فتضحك منه الملائكة.

يستغيب الإنسان عالماً، صديقاً، جاراً، والملائكة تضحك عليه وتقول له: ألم يكفك الحديث كله في التجارة والسياسة إلاّ أن تأكل لحم أخيك؟

---

(1) الصحيفة السجادية: ٤١٨؛ بحار الأنوار ٩١: ١٥١.

(٢) أنظر: شجرة طوبى ٢: ٤٣١.

مواطن بكاء الملائكة:

أما بكاء الملائكة في مواطن ثلاثة فهو بكاء الألم والحزن وشدة الوقع على القلوب، فالملائكة صورة من صور الرحمة يكون في ثلاثة مواطن ترحماً:

الأول: الغريب إذا خرج يطلب العلم فأدركه الموت.

الثاني: الشيخ والشيخة إذا تمنيا ولداً ورزقهما الله ذلك بعد أن أصبحا كبيرين فرحا به وقالا هو خادمنا في آخر عمرنا وسوف يشيّع جنازتنا ويبكي عند قبرنا، ثم جاء الموت لهذا الولد الصغير أثناء حياتهما، فإن الملائكة تبكي قبل بكائهما على ولدهما.

الثالث: اليتيم إذا استيقظ من منامه وأخذ يبكي لتسرع أمه، وإذا بأمه ميتة والخادمة تصرخ بوجهه فيسكت خوفاً منها ثم يعود باكياً.[1]

يتيمة الحسين عليه السلام سكينة:

أما يتيمة الحسين عليه السلام سكينة فقد أحرقت قلب الملائكة وقلب الحسين عليه السلام، انّها عزيزته، بعد أن ودّع أهله وعياله عاد إلى معسكر القوم وإذا بالصوت من ورائه: أبه، قف لي هنيئة، وقف الحسين عليه السلام، قالت سكينة: أبه، إنزل من على ظهر جوادك، نزل، قالت: امسح على رأسي كما يفعل باليتامى، أجلسها الحسين عليه السلام في حجره وهو يقول:

لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ... مادام مني الروح في جثماني
فإذا قُتلت فأنت أولى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوان

إنا لله وإنا إليه راجعون

* * *

---

(١) أنظر: شجرة طوبى ٢: ٤٣١.

المحاضرة الرابعة:

أهل البيت عليهم السلام معدن الرحمة

«ومعدن الرحمة»

سوف نتناول هذه الليلة بالبحث المقطع التالي من الزيارة، وهو قوله عليه السلام: «ومعدن الرحمة».

هناك بحثان:

الأوّل: في الرحمة الإلهية.

الثاني: في أنّ أهل البيت عليهم السلام هم معدن الرحمة.

الرحمة الإلهية:

نحن أمّة رسول الله صلى الله عليه وآله نسمى بالأمّة المرحومة التي رفع الله عنها العذاب الذي أصاب الأمم السابقة، وشرّفها بأن جعلها هادية الأمم وشاهدة عليها، وأنتم منها إن شاء الله تعالى.

إنّ (الرحيم) من أسماء الله سبحانه التي كثيراً ما أكد عليها القرآن الكريم واستعمله أكثر من ٢٥٠ مرة، ولعله لم يؤكد على اسم من أسمائه تعالى بمثل التأكيد على لفظ الجلالة (الله) و(الرحيم)، ولهذا نقول في صلاتنا وآدابنا وأعمالنا كما علّمنا الإسلام: (بسم الله الرحمن الرحيم) ولا نقول بسم الله القوي الغني أو بسم الله الملك الجبار، إنّك تقول في الركعة الأولى وفي سورة الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم، وهكذا في بداية السورة التي تعقبها وهكذا في الركعة الثانية، ويستحب ذلك عند الأكل وفي كل لقمة وعند شرب الماء والمشي والنوم والاستيقاظ.

مائة رحمة:

في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله تعالى خلق مائة رحمة يوم

خلق السماوات والأرض، كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض، فأهبط رحمة منها إلى الأرض، فبها تراحم الخلق، وبها تعطف الوالدة على ولدها، وبها تشرب الطير والوحوش من الماء، وبها تعيش الخلائق.

وفي رواية أخرى: وادخر تسعاً وتسعين رحمة لنفسه، فإذا كان يوم القيامة ردّ هذه الرحمة، فصارت مائة رحمة يرحم بها عباده.[1]

قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبادي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2] ولم يقل (أنّي شديد العقاب).

إن أصل الخلق هو بواسطة اسم الله الرحمن الرحيم.

إنّ أسماء الله تبارك وتعالى _ كما يقول عرفاء الإسلام _ هي التي تنعكس على هذا الوجود، فالنظام والتدبير العظيم في الوجود هو انعكاس لاسم الحكيم، والقوة في الوجود انعكاس لاسم القوي.

هذا الخلق كله انبسط عليه اسم الرحمن الرحيم، ولولا ذلك لما خلق الله الخلق، والقرآن الكريم ينبؤنا بهذه الحقيقة ويقول: ﴿وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[3] ما خلقهم للعذاب ولا لكي يختلفوا أو يعيشوا المشاكل ويبتلوا، وإنما خلقهم ليرحمهم، فالرحمة هي الغاية من وراء خلق الإنسان.

ولهذا نكثر من اسم الرحيم في أدعيتنا، فعندما تطلب حاجة من شخص يجب أن تستدرّه للعطاء كأن تقول له: يا صاحب المروءة ولا تقول له يا قوي، تقول له: أعطني يا كريم وتأخذ منه الحاجة ولا تقول له اعطني يا كبير أو يا عالم مثلاً، وإنما تتوسل له بالصفة التي تناسب حاجتك.

نحن نريد أن نستدر رحمة الله تعالى فنخاطبه: يا رؤوف يا رحيم، يا حنان يا منان، وليس يا عزيز يا شديد العقاب، فلكل اسم ما يناسبه، فلا بدّ من

---

(١) أنظر هذا النص ونصوص أخرى في كنز العمال ٣: ٩٦؛ ميزان الحكمة/ الري شهري ٢: ١٠٤٨.

(٢) الحجر: ٤٩.

(٣) هود: ١١٨ و١١٩.

مراعاة التناسب، ولهذا كنتم تقرأون في دعاء الافتتاح: «فاسمع يا سميع مدحتي، وأجب يا رحيم دعوتي، وأقل يا غفور عثرتي» فلإقالة العثرة قل: «وأقل يا غفور»، ولكي يسمع الدعاء قل: «فاسمع يا سميع»، ولكي يستجيب الدعاء قل: «وأجب يا رحيم دعوتي».

أسماء الله في كل شيء:

إنّ الأسماء الإلهية لها معنى عرفاني فلسفي عظيم، تقول في دعاء كميل: «وأسألك بأسمائك التي ملأت أركان كل شيء» وهو يعني أنّ في كل شيء في الوجود من الحجر والمدر إلى الإنسان والملائكة إسم من أسماء الله كالكريم، العظيم، القوي، البصير، العليم، الحي، القيوم، الرحيم، الحنان، المنان، فلا يقوم شيء في الوجود الأ وقد تجمعت فيه الأسماء الإلهية بمقدار ذلك الشيء.

يمكن أن نضرب لذلك مثالاً: إن نواة التمر مثلاً تجمع كل خصال التمر الذي يكون ثمراً لنخلة معينة بقدرة الله تعالى، ففيها نسبة الحلاوة وطبيعتها ولونها ونوعها وحجمها... الخ، ونشهد ذلك حينما نزرعها وتكون بعدئذٍ نخلة وتعطي ثمرها، فإن نوع هذه النخلة ونوع ثمرها هو نفس النوع الذي كان موجوداً في النواة، ومعنى ذلك أن جميع خصائص هذه النخلة وثمرها كانت موجودة في النواة. وهكذا نطفة الإنسان التي لا تُرى بالعين حتى تُكبّر آلاف المرات فإنّها تحمل كل خصال ذلك الإنسان الذي تنشأ منه كالطول والعرض والشكل والعينين والأنف والفم واليدين والرجلين وشعر الرأس والقلب والذكاء.

إنّ عبارة «بأسمائك التي ملأت أركان كل شيء»[1] تعني أنّ الحجارة والحصى _ مثلاً _ فيها إدراك وعلم وسمع وبصر وخطاب ولغة ووجدان ولكن لا نفقه ذلك، نظن أنّ هذه الحصى ليس لها سمع ولا بصر ولا نطق ولا

(١) أنظر: دعاء كميل.

إدراك، هذا هو ما تقوله العلوم الماديّة، ولكن ربما بعد عشرات السنين من التطور سوف تكتشف ذبذباتها وانفعالاتها، ويثبت لدى العلوم الحديثة ما كان ثابتاً في الفكر الديني من وجود الإدراك لدى جميع المخلوقات.

إن رسول الله ﷺ يدعو النخلة فتستجيب له، وحينما نزل في غار حراء الذي هبط عليه جبرئيل بـ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[1] كان كل حجر ومدر يمر عليه يقول: السلام عليك يا رسول الله.[٢]

أبواب الجنّة الثمانية:

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: أتى النبي ﷺ رجل يقال له شيبة الهذلي، فقال: يا رسول الله، إني شيخ قد كبرت سني، وضعفت قوتي عن عمل شيء كنت قد عودت نفسي من صلاة وصيام وحج وجهاد، فعلمني يا رسول الله كلاماً ينفعني الله به، وخفف عليّ يا رسول الله. فقال: «أعدها»، فأعادها ثلاث مرات، فقال رسول الله ﷺ: «ما حولك شجرة ولا مدرة إلا وقد بكت من رحمتك، فإذا صليت الصبح فقل عشر مرّات: سبحان الله العظيم وبحمده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن الله عزّ وجلّ يعافيك بذلك من العمى والجنون والجذام والفقر والهرم».

فقال: يا رسول الله، هذا للدنيا، فما للآخرة؟ قال: «تقول في دبر كل صلاة: اللهم اهدني من عندك، وأفض عليّ من فضلك، وانشر عليّ من رحمتك، وأنزل عليّ من بركاتك».

قال: فقبض عليهنّ بيده ثم مضى... فقال النبي ﷺ: «أما إنه إن وافى بها يوم القيامة، لم يدعها متعمداً، فتحت له ثمانية أبواب من الجنّة يدخلها من أيها شاء».[٣]

---

(1) العلق: ١ و٢.

(2) أنظر: عيون الأثر ١: ١١٣؛ الذرية الطاهرة/ الدولابي: ٣٣؛ سيرة ابن كثير ١: ٤٠٥.

(3) تهذيب الأحكام ٢: ١٠٧؛ ثواب الأعمال: ١٥٩؛ أمالي الصدوق: ١١٠.

المكان و المكانة:

انساق الحديث إلى النبي إدريس عليه السلام، قال تعالى عنه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً وَ رَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾.(١)

القرآن يقول أنّ الله رفع مقامه، ولكن بعض الروايات ـ غير الثابتة ـ تقول أنّ إدريس ما زال حياً يعيش في السماء الرابعة، حيث رفعه الله ولم يعد إلى الأرض وهذا معنى ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾**، وهذا طبعاً غير مقبول لدى المشهور من المفسّرين.**

المكان هو الموقع الذي يجلس فيه الإنسان، وقد يكون عليّاً، أمّا المكانة فهي تعني البعد المعنوي، فالعلماء مثلاً أرفع مكانة من الناس العاديين، والمجاهدون فضّلهم الله مكانةً وليس مكاناً على الآخرين.

يقول بعض العلماء: إنّ القرآن قال عن إدريس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ **ولم يقل مكانة عالية، إذن يكون معنى ذلك أن إدريس قد رفعه الله إلى مكانٍ عالٍ، وهو السماء، فهو مرفوع إلى السماء كما أن عيسى قد رفعه الله تعالى.**(٢)

هذا طبعاً تفسير مادي غير مقبول، لأنّ المكان في اللغة يطلق على المكانة والمنزلة أيضاً، كالمكان العلمي والمكان المعنوي.

مكانة الله:

ويتحدث العلماء والعرفاء بحديث يصعب فهمه وهو: «هل الله أعلى مكاناً من العباد أو أعلى مكانة؟» ثم يقولون: انّ الله هو العلي الأعلى لكنه ليس أعلى لا مكاناً ولا مكانة وإنّه أعلى بشكل مطلق، فالله فوق أن تقول أنّه أعلى منا مكاناً، الله موجود في كل مكان، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي

(١) مريم: ٥٦ و٥٧.

(2) أنظر: تفسير مجمع البيان ٦: ٤٣٠.

الأَرْض إِلـهٌ﴾[1] فمـا معنـى أن تقـول: أعلـى مكانـاً أو مكانـة فإنّـه غيـر صـحيح أيضـاً لأن (أعلـى مكانـة) يعنـي أنّ لـك ولـي مكانـة وأنّ الله أعلـى مكانـة منـا، والحقيقـة انّنـا لـيس لنـا أمـام الله مكانـة، وهكـذا لا يجـوز أن تقـول إنّ الله أغنـى منـا فهـل نحـن أغنيـاء؟ نحـن لا نملـك فـي الحقيقـة شـيئاً، نحـن نمثّـل صـفراً، فهـل نقـول إنّ الله أغنـى مـن الصـفر؟ ولهـذا يـذهب العلمـاء إلـى القـول أنـه لا يوجـد غيـره تعـالى لنقـول إنّ الله أعلـى مـن غيـره؟ أينمـا تضـع يـدك فإنّـه الله تعـالى لا إلـه الاّ هـو، تضـع يـدك علـى البحـر أو النهـر أو الجبـل فإنّـه الله فقـط ولا يوجـد شـيء غيـره. إنّ هـذه الأشياء امتدادات وظلال وتجليّات لأسماء الله تبارك وتعالى.

الرحمة العامة والرحمة الخاصة:

إنّ الرحمـــة الإلهيـــة منشـــورة فـــي كـــل الخلـــق حســـب اســـتعدادات كـــل مخلـوق، ومـع ذلـك يقـول تعـالى: ﴿سَـأَكْتُبُها لِلَّـذِينَ يَتَّقُـونَ﴾[2] ممـا يعنـي أنّـه تعـالى يعطـي رحمـة كاملـة لهـؤلاء غيـر الرحمـة العامـة، ولهـذا نقـول: هنـاك رحمـة عامـة شـملت كـل العبـاد والمخلوقـات، ولكـن توجـد رحمـة خاصـة هـي للـذين يتقـون ويؤتون الزكاة ويؤمنون بآيات الله.

نداء إبراهيم عليه السلام بالحج:

في الرواية: لما أذّن إبراهيم في الناس بالحج حين أمره الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِـي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[3] سمع كل الخلائق وهـم في عالم الذر وأصلاب الرجال وأرحام الأمهات نداء إبراهيم: (هلمّ الحج) فالحج لـم

(١) الزخرف: ٨٤.
(٢) الأعراف: ١٥٦.
(٣) الحج: ٢٧.

يخصّص بجماعة، ولم يكن الخطاب موجهاً إلى جماعة، فمنهم من لم يلبّ فهؤلاء لا يرزقهم الله الحج طول عمرهم، ومنهم من لبّى مرة واحدة فيرزقهم الله مرة واحدة، ومنهم من لبّى مرتين فيرزق مرتين، وهكذا.

طواف الوداع:

بعد انتهاء مناسك الحج يستحب للحاج أن يطوف طواف الوداع ويدعو الله أن يرزقه الله الحج في السنة الآتية، والوداع يكون قلبيا وفيه تفاعل ولقاء مع الله.

في إحدى السنين وفي اليوم الأخير من وجودنا في مكّة المكرمة جئت لأطوف طواف الوداع، ولكن لم يحصل عندي توجه قلبي وتحّول وجداني بحيث أشعر بلقاء الله، رجعت إلى مقرّ إقامتنا، ولم يبق لموعد سفر القافلة إلا ساعات فقلت في نفسي أن هذا الطواف غير مقبول فلابد أن أعيده، فرجعت لإعادة الطواف وكان الجو حاراً والشمس محرقة وزحام الناس شديد والطواف متعب ولكنه جميل، انتهيت من الشوط الأوّل والثاني والثالث ولكن مرةً أخرى لم يحصل لدي توجّه قلبي ولقاء حقيقي، فقلت: يا إلهي هل أرجع بدون طواف حقيقي، أعنّي يا إلهي على الاقبال الحقيقي عليك، وأصبحت أبحث عن كلمة ترقق قلبي من هؤلاء الحجيج من حولي وفيهم المصري والأندونيسي والصيني وغيرهم ممن يطوف بقربي، فلما صرت في الشوط الرابع وعند المستجار الذي يستحب للحجاج أن يقفوا عنده ويلتصقوا به ويعترفوا بذنوبهم فيغفر لهم وقرب الركن اليماني وإذا برجل يطوف أمامي كأنه من أبناء البصرة أو الخليج نحيفاً قد جاوز الستين من عمره سمعته يقول كلمة دخلت في قلبي مباشرة وبلا استئذان، سمعته يقول: «عبد واقف على الباب ينتظر مِنَّك الجواب» وهو يطوف ويردد هذه الكلمة ولا يعرف غير هذه الكلمة، خشعت لهذا القول وانفجرت بالبكاء، وأحسست باللقاء مع الله

والإتصال به، أخذت أمشي وراء هذا الحاج وأردد معه ما يقول، وشعرت بأن الله قد استجاب دعائي وأعانني على نفسي وحقق أملي.

لاحظوا كلمة هذا الأعرابي البسيطة جداً «عبد واقف على الباب ينتظر منّك جواب» حقاً هي بسيطة لكنها صادقة وجميلة ومؤثرة.

مناجاة الإمام السجاد عليه السلام:

أذكر كلاماً للامام زين العابدين عليه السلام يقول فيه:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى	فأين رجائي فيك أين محبتي؟
أتيت بأعمال قباح كثيرة	فما في الورى عبد جنى كجنايتي

الإمام عليّ عليه السلام والخضر عليه السلام:

كانت بين أمير المؤمنين عليه السلام والخضر عليه السلام علاقة خاصة، ذات يوم وجد أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يدعو بهذا الدعاء: «يا من لا يشغله سمع عن سمع، ويا من لا يغلّطه السائلون، ويا من لا يبرمه إلحاح الملحّين، أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك»، إلتفت إليه الإمام عليه السلام فإذا هو الخضر يدعو بهذا الدعاء.[1]

الرحمة المادية والمعنوية:

لقد وضعنا الحديث عن (معدن الرحمة) في بحثين:

الأوّل: الرحمة الإلهية، وهو ما تناولناه في الموضوعات السابقة.

الثاني: أهل البيت عليهم السلام هم معدن الرحمة، بمعنى أنهم أصل الرحمة ومركزها.

---

(١) أنظر: أمالي المفيد: ٩٢/ ح ٨.

وهنا سوف ينفتح علينا هذا السؤال: إنّ كونهم معدن الرحمة هل هو استعمال أدبي كما نقول لشخص إنّك سيد العارفين وأبو الكرم، فهل المقصود بكلمة (معدن الرحمة) هو المبالغة بمعنى أنّ أهل البيت عليهم السلام رحماء بشكل كبير، أم أنّ هناك دلالات أعمق؟

الجواب: هناك دلالات أعمق، والمسألة ليست مسألة مجاملة أو مبالغة في مديح أهل البيت عليهم السلام.

فالرحمة مادية ومعنوية.

الرحمة المادية كالمطر والرياح والماء والأرض والطعام قد وسعت كل شيء، إنّها شملتنا وشملت الكافر أيضاً حيث يعطيه الله المال والصحة.

الرحمة المعنوية هي الأصل:

والرحمة المعنوية هي أصل الرحمة، وبدونها لا معنى ولا قيمة للرحمة المادية.

الرحمة المعنوية هي هداية الإنسان إلى طريق السعادة الأبدية وهي الجنة، فالإنسان ربما يكون فقيراً ويتيماً لكنه مهتدٍ إلى سواء السبيل، وهذا أفضل من كل ثروات الدنيا بدون إيمان، لذلك يقول الكافر يوم القيامة: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾.[1]

ويقول الإمام عليّ عليه السلام في روائع كلماته: «ما شرٌّ بعده الجنة بشرّ، وما خيرٌ بعده النار بخير»[2] فالمرض الذي تحسبونه شراً إذا انتهى إلى الجنة فليس بشرّ، وما يحسبه الكافر خيراً إذا كانت عاقبته النار فليس بخير، ولذلك يتمنى أهل النار يوم القيامة أن الله لم يخلقهم.

إن أهل النار يتركون أولادهم وأموالهم يوم القيامة ولا يجدون فيهم أية فائدة،

---

(1) النبأ: ٤٠.

(2) من وصية لأمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسين عليه السلام، أنظر: تحف العقول: ٨٨؛ بحار الأنوار ٧٤: ٢٣٦/ ح ١؛ تفسير الثعلبي ٢: ٣١١؛ ينابيع المودة لذوي القربى ٣: ٤٤٧.

قال تعالى: ﴿...يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْيَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾[1] **إذن هذا كله ليس بخير إذا كان بعيداً عن الرحمة المعنوية.**

الرحمة المعنوية هي الأصل، ونحن أمة رسول الله ﷺ الأمة المرحومة، والقرآن الكريم يقول عن الإسلام والدين والهداية: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2] **فالإنسان ميت بدون إيمان، تعالوا إلى الإسلام لتكونوا أحياء.**

إنّ الرحمة المعنوية هي الأصل وبدونها لا قيمة للرحمة المادية.

إنّ الأنبياء عليهم السلام هم الطريق للرحمة المعنوية إذ أنّ الهدى يأتي عن طريقهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.[3]

إنّ الدنيا المادية لو كانت تعدل جناح بعوضة عند الله لما أعطاها لكافر.

إنّ النبوة وأهل بيت النبوة عليهم السلام هم الأصل والمصدر للرحمة المعنوية ولذلك نصفهم بـ (معدن الرحمة)، إذ أنّ الرحمة الإلهية تتبلور في الرحمة المعنوية التي يحملها أهل البيت عليهم السلام.

الوجود الكوني قائم بالمعاني:

أنقلكم إلى تفسير آخر هو أكثر عمقاً يرتبط بفلسفة الكون يمكن دراسته في بحوث متقدمة في فلسفة وجود الكون.

كيف خُلقت الأرض والقمر وسائر الكواكب والنجوم والمجرات؟ يقول علماء الفلك: إنّ القمر انفصل عن الأرض في لحظةٍ مّا واستقر في مكانه، وهكذا الأرض التي تعتبر قمراً يدور حول الشمس انفصلت عنها، وإذا وصلنا إلى المجرة التي نعيش فيها

---

(1) المعارج: ١١ - ١٣.

(2) الأنفال: ٢٤.

(3) الأنبياء: ١٠٧.

وتسمى بـ (درب التبّانة) والتي تبدو في منتصف الليل وكأنها امرأة تسير وقد تساقط منها التبن.

هناك نجوم كل منها أكبر من الأرض والشمس بكثير وتبعد عنا بمليارات من الكيلو مترات أي بمئات السنين الضوئية. يقطع الضوء المسافة بيننا وبين الشمس وهي ١٥٠ مليون كيلو متراً في ٨ دقائق. المسافة بيننا وبين المريخ حوالي ٥٠ مليون كيلو متراً وقد قطعتها المركبة الفضائية في ٦ أشهر.

ما ذُكر يعني أنّ الأجرام السماوية جيران لنا. نحن نعيش في مجرة هي إحدى ملايين المجرات التي لا تُرى بالعين المجردة، وكل مجرة تحتوي مليارات النجوم، وكل نجم يبعد عنا مئات السنين الضوئية. وقد عثروا أخيراً بالتلسكوبات على فتحة تسمى البالوعة السوداء في عمق السماء وهي تمتص النجوم والمجرات إذا اقتربت منها في ثوانٍ. واذا تطورت التلسكوبات ماذا سيكتشف الإنسان؟ وماذا سنكتشف إذا تجاوزنا الطرق المادية في الاكتشاف واعتمدنا الكشف الروحي.

سؤال: كيف خُلِق الكون؟ هل هو قديم؟

الجواب: هنا جاءت نظرية السُدم (الإنفلاق الأكبر) أو (الإنفجار الأعظم).

يقول الفيزيائيون: إنّ هذا الوجود كان سديماً أي ضباباً وغباراً، وفي لحظة من التوازنات الكيميائية تحول إلى نجوم ومجرات متطايرة. الضباب أصله غيم وبخار ماء تحوّله الرياح إلى مليارات الحبوب المائية السريعة التي تدفعها الرياح السريعة. هكذا تطايرت المجرات وما زالت تسرع في السير.

النظرية الإسلاميّة في خلق الكون:

يقول الإسلام:

١ ـ إنّ خلق الكون نشأ من عملية صنع وخلق وإبداع، وليس عملية انفلاق أعمى بدون وعي وإرادة.

٢ _ إن عملية الحدوث الكوني هي عملية حق وليست باطلاً وعبثاً.

٣ _ إنّها عملية تدبير وقانون، قال تعالى: ﴿ما خَلَقَ اللّهُ السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما إلاّ بِالْحَقِّ وأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[1] **هناك إذن إبداع بحق، وخاضع لتدبير وعناية إلهية مسبقة وفي تأريخ معين.**

إنّ الوجود الكوني شهد عملية إبداع وتدبير وليس عبثاً، ويمكن القول أنّ نظرية السُدم (إذا كانت تنفي وجود إرادة عليا) حسب الآية الكريمة لا يقبلها القرآن الكريم لأنّه يفترض الإرادة الإلهية لسبب من الاسباب (أردت أن أعرف).

إنّ القوانين الكونية تتأثر بالقيم والحق والباطل، فالقانون الفيزيائي يقول أنّ نزول المطر عبارة عن ارتفاع بخار الماء إلى مناطق باردة ثم التحول إلى قطرات ماء.

والإسلام يقبل ذلك كمظهر للقضية كما يحمّر وجه الإنسان حينما يكون عصبياً، أما جوهر القضية فهو العصبية في القلب. الواقع هو وجود القيم والاعتبارات، ولذا تجد أن المطر أحياناً ينزل ببركة الدعاء وبدون الرياح بل بصلاة الاستسقاء.

قال نوح عليه السلام **لقومه:** ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً﴾.[2]

إن ذلك ليس لسبب فيزيائي، بل لقيمة أخلاقية وهي الارتباط بالله سبحانه عن طريق الدعاء.

قال تعالى: ﴿ولَوْأَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ﴾.[3]

وقال تعالى: ﴿لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ ومِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.[4]

وفي المقابل يقول في القيم السلبية: ﴿ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ والْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النّاسِ﴾[5] **فالعراق احترق نتيجة إجرام صدام، واليوم بعد زواله**

---

(1) الروم: ٨.

(2) هود: ٥٢.

(3) الأعراف: ٩٦.

(4) المائدة: ٦٦.

(5) الروم: ٤١.

انتظروا البركات وحتى الأمطار سوف تكثر. الناس تابوا واستغفروا واهتدوا، هذا العطاء الرباني يخضع لتلك القيم.

على هذا الأساس كانت القيم الإيجابية مجموعة في أهل البيت عليهم السلام، والحق فيهم، والعدالة ملخّصة فيهم، وهكذا الكرم والنبل والرأفة والرحمة والإحسان، لأنّهم أسماء الله، وكل ما يوجد من رحمة كونية تنبثق من هذه القيم، ولهذا تقول الروايات: «لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله».(١)

وروي: «... بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الإثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا».(٢)

إنّ وجود الإمام بركة وسكينة، ولولاه لا نعدمت الحياة، لأن الحياة مرتبطة بالأخلاق، والأنبياء هم مركز وخلاصة تلك القيم الأخلاقية، إذن يرتبط المطر بهم وهكذا نور الشمس وضوء القمر، والقرآن يؤكد بأنّه لولا وجود النبي صلى الله عليه وآله فيكم لنزل فيكم العذاب، فلمّا رحل النبي صلى الله عليه وآله بقي الاستغفار.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٣) إذن توجد قيم أخلاقية لدى البشر وهي امتداد للنبي صلى الله عليه وآله، والوجود مستمر لا يتبدل طالما كانت هذه القيم الأخلاقية موجودة.

وهكذا وجودنا وتمركز الأرض فإنّهما مرتبطان بوجود حجة الله وبقية الله في أرضه عليه السلام.

إن عبارة «ومعدن الرحمة» في الزيارة الجامعة، وعبارة «وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض» تعني استقرار الكون بأهل البيت عليهم السلام، وكذلك

(1) الكافي للكليني ١: ١٧٩/ ح ١٢.
(2) الكافي للكليني ١: ٥٣٤/ ح ١٧.
(3) الأنفال: ٣٣.

نقرأ في الزيارة الرجبية: «وبكم يجبر المهيض، ويشفى المريض، وما تزداد الأرحام وما تغيض، وبكم ينزل الغيث».

المريض حينما يتناول حبة الأسبرين يشفى ولكن تحليلنا الديني يقول أنّ هناك إرادة إلهية هي التي أعطته الشفاء وهذه الإرادة مرتبطة بقيم العدل والعدالة ونموذجها الأنبياء فإنّهم يمثلونها ويجسدونها. لهذا نقول: «بكم يجبر المهيض» فالعظم إذا كسر فإنّه يُجبر، والدعاء يقول أنّه إنما يُجبر ببركة قيم العدالة التي يمثلها رسول الله ﷺ.

إن الموازين والقوانين التي نقرؤها في علم الأحياء والفيزياء هي صحيحة طبعاً، ولكنها مظهر القضية، أما جوهرها فهو ما تحدثت عنه من القيم الأخلاقية والمعاني الإنسانيّة.

كنت عام ١٩٧٩م في سجن الأمن العامة في بغداد، وكان معي عدد من السادة العلماء والمشايخ وخيرة شبابنا حيث استشهد أكثرهم.

في بداية اعتقالي في مديرية أمن النجف ضربني أحد الجلاوزة بعصا غليظة على يدي فكسرها، وضربني على رأسي فأُغمي عليّ، وقد أنقذني الله ببركة هاتين الضربتين، وهكذا يحافظ الله على عبده، ثم نقلوني إلى بغداد حيث آلاف السجناء وقد ضاق بهم المكان فوضعوني مع مئات من السجناء في موقف السيارات التابع لمديرية الأمن.

كنت أُطالب بنقلي إلى المستشفى لتجبير يدي فأرسلوني للعلاج وقاموا بجبر الكسر، وأرجعوني إلى السجن، وحيث ضاقت السجون وضعوني في قاعة سينما احتشد فيها السجناء، وكنت أشعر أن الكسر لم يُجبر بنحو طبيعي، فأرسلوني مرة ثانية إلى المستشفى، وهكذا أُرسلت ست مرات إلى مستشفى الرشيد العسكري، كنت في خدمة الشهيد آية الله السيد قاسم شبّر الذي ناهز التسعين من عمره، وكان يعاني من آلام الضرب والجروح الشديدين، وكان سريري قرب سريره في المستشفى.

لقد ذكرت هذه القصة استرسالاً لدى الحديث عن قوله «بكم يُجبر المهيض، ويشفى المريض» حيث أعتقد أن نجاتي وشفائي وخلاصي كان ببركتهم عليهم السلام.

منطلق الإرادة الالهية:

عرفنا أن أهل البيت عليهم السلام هم معدن الرحمة، ليس من خلال ما ذكرناه في التفسير الأوّل فقط وانّما هم منطلق تلك الإرادة الإلهية التي شاءت أن يخلق هذا الكون برحمته تبارك وتعالى إنطلاقا من هذه القيمة: ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِينَ﴾.[1]

تلك القِيَم هم رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

هناك نشأة دنيوية للرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وهناك نشأة أزليّة فيما قبل عالم الدنيا، لقد كانوا في تلك النشأة أنواراً عند العرش قبل أن يهبطوا إلى الدنيا، وكانوا في تلك النشأة هم مصدر الإشعاع الوجودي للخلق. يقول النبي صلى الله عليه وآله: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين».[2]

وقال صلى الله عليه وآله: «إن الله خلقني من نور، وخلق ذلك النور قبل آدم بألفي ألف سنة».[3]

أخلاق الشيعة:

وبمناسبة ذكرى شهادة الإمام الباقر عليه السلام أقرأ لكم هذه الرواية عنه عليه السلام قال:

«إن شيعتنا المتباذلون في ولايتنا، المتحابون في مودّتنا، المتزاورون لإحياء أمرنا، الذين إن غضبوا لم يظلموا، وإن رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروا، وسلمٌ لمن خالطوا».[4]

---

(1) الأنبياء: ١٦.

(2) بحار الأنوار ١٦: ٤٠٢؛ مناقب ابن شهر آشوب ١: ١٨٣.

(3) السابق.

(4) شرح الأخبار ٣: ٥٠٤؛ صفات الشيعة: ١٣.

مصيبة مسلم بن عقيل:

وأما مسلم بن عقيل عليه السلام الذي نعيش ذكرى شهادته فإن له موقعاً خاصاً في قلب الحسين عليه السلام، وفي مظلوميته ما تسيل له الدموع كل مسيل.

حينما بلغ خبر شهادته الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى كربلاء سالت الدموع كل مسيل، يذكر الشاعر هذه الأبيات:

بكتك دماً يا بن عم الحسين	**مدامع شيعتك السافحه...**
لأنّك لم تروَ من شربة	**ثناياك فيها غدت طائحه**
رموك من القصر إذ أوثقو	**ك فهل سلمت فيك من جارحه؟**
وسحباً تُجرّ بأسواقهم	**ألست أميرهم البارحه؟...**
وكم طفلة لك قد أعولت	**وجمرتها في الحشا قادحه**
يعززها السبط في حجره	**لتغدو في قربه سارحه**
تقول مضى عمّ مني أبي	**فمن ليتيمته النائحه؟**

أجلسها الحسين عليه السلام في حجره قائلاً: بنيّه، أنا أبوك، وهؤلاء أعمامك.

لكن من لرقيّة في خربة الشام، إستيقظت من النوم تريد أباها، أقبلوا إليها برأس الحسين عليه السلام وهو موضوع في طشت.

فقالت: لا أريد طعاماً.

ولما رفعوا المنديل رأت رأس الحسين عليه السلام، فانكبت عليه وهي تقول: أبه يا أبه، من الذي قطع رأسك، ثم سكتت الطفلة، فقال زين العابدين عليه السلام: عمّه، نحّوها فقد ماتت.

إنا لله وإنا إليه راجعون

* * *

المحاضرة الخامسة:

علوم أهل البيت عليهم السلام

«وخزّان العلم»

خزّان العلم:

تحدّثنا في الليالي السابقة عن فلسفة السلام، وفلسفة الزيارة، ومعنى آل بيت الوحي، وأهل بيت النبوة، ومختلف الملائكة، وصلنا هذه الليلة في الحديث عن هذه الجملة: «خزان العلم».

أهل البيت عليهم السلام هم خزّان العلم.

العلم علمان:

العلم كما يقول أهل المنطق: علمان: علم حصولي وعلم حضوري، وأنا أقف معكم هذه الليلة دقائق بسيطة في هذا الموضوع، لأن بعضكم ينتظر معلومات إضافية من علم المنطق وعلم الفلسفة وغير ذلك.

المناطقة يقولون: العلم علمان، حصولي وحضوري.

العلم الحصولي هو علومنا نحن البشر، وهي عبارة عن صورة الأشياء تحصل في ذهن الإنسان، فأنت حينما تنظر إلى الشمس فليست الشمس هي التي تأتي في ذهنك وإلاّ كان يحترق الذهن، أو الجبل حينما تراه فلا يمكن للجبل أن يدخل في ذهنك، فما الذي يحصل؟

يقول العلماء: إنّ الذي يحصل في الذهن هو عبارة عن صورة الأشياء تحصل في ذهن الإنسان، مثل انطباع الصور في جهاز التصوير، هذا العلم نسمّيه علماً حصولياً.

وهناك علم اسمه: علم حضوري.

العلم الحضوري هو عبارة عن أنّ نفس الشيء يحضر عندك وليس صورة الشيء، أنت حينما تشعر بالألم وتشعر بالجوع وتحس باللّذة فهنا ليس صورة الألم

حصلت في ذهنك، بل نفس الألم، ألم المعدة أو ألم العين أو أي مرض حضر عندك، فحينما تعلم مثلاً بأنّك مألوم فإن نفس الألم حاضر عندك، وحينما تعلم أنّك عطشان فإن نفس العطش حاضر عندك، هذا يسمّونه علماً حضورياً.

وحينئذٍ يقولون أن الله تبارك وتعالى علمه بالأشياء، بالكون، بكل الموجودات ليس مثل علمنا علماً حصولياً، يعني ليس صورة الشمس والقمر تنطبع في ذهن الله تعالى، لا، نفس القمر والشمس والموجودات كلّها هي حاضرة عند الله تعالى وموجودة بوجوده، مثلاً الألم موجود بوجودك، واللذة موجودة بوجودك، والعطش موجود بوجودك، هكذا كل هذا الكون الفسيح موجود بوجود الله تعالى، وهذا حديث واسع مفصل وأكتفي بهذا المقدار معكم.

علم تعليمي والهامي:

وهناك تقسيم ثانٍ للعلم: علم تعليمي، وعلم إلهامي.

علم تعليمي: مثل أستاذ يعلم الطلاب، أب يعلّم ابنه، هذا علم تعليمي.

كل العلماء في الدنيا إنما علومهم عبارة عن علوم تعليمية، درسوا عند هذا الأستاذ، وقرأوا ذاك الكتاب فكانت علوماً تعليمية، ولكن هناك نوع ثان من العلوم نسميه علماً إلهامياً وليس علماً تعليمياً.

كل الكائنات تعلم طريقة حياتها منذ أن تولد، هذا فرخ الدجاج بمجرد أن ينقشع عنه قشر البيضة فليست أمّه هي التي علمته أن يلتقط الحب، أو ينقر بالمنقار، أول ما يخرج هو ينقر بالمنقار فسبحان الذي هداه، وهكذا تجد أن كلّ رعيل من الكائنات الحيّة يمشي وراء أمّه وأبيه ولم يعلمه أحد، وإنما هذا إلهام، والحديث في هذا واسع وأنتم تعرفون معنى الإلهام.

الله تعالى ألهم الإنسان والحيوان من العلوم أكثر مما يحصل عنده من التعليم، ما عند البشر وما عند الكائنات الحية من المعلومات التي رُزقتها بالإلهام هي الأساس

وهي الأصل لكل المعلومات التي تأتي بعدها، هذا الطفل أحياناً تلاحظونه يريد أن يسقط من مرتفع ولكنه سرعان ما يتمسك بأي شيء حوله من أجل أن لا يقع. من علّمه ذلك؟ هو يعرف أن السقوط خطر، هذا إلهام.

هذه العلوم نسميها علوم إلهامية وليست علوماً تعليمية.

علوم أهل البيت عليهم السلام:

نحن نعتقد أن أهل البيت عليهم السلام خزّان العلم بكلا الطريقين بالعلوم التعليمية وبالعلوم الإلهاميّة، طبعاً العلوم الإلهامية بداياتها هذه العلوم الفطريّة، لكن قد تتعمّق وتتعمّق إلى أن تنكشف الحقائق بالعلوم الإلهامية كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾.

هذه الآية نزلت في الخضر الذي هو أستاذ موسى عليه السلام وتلميذه يوشع، حيث قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾[1] **الخضر كانت عنده علوم ليست تعليمية، بل هي (من لدنّا) يعني مباشرة من عند الله تعالى، العلماء يسمّون هذا العلم علم (لدنّي) يعني من عند الله تعالى، أو يمكن أن نصطلح عليه باصطلاح أخص ونسمّيه إلهامياً. وكذلك قوله تعالى:** ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[2] **الله تبارك وتعالى أعطى يحيى وعيسى كليهما وهما في الصبا الحكم والنبوة، هل حضرا عند أستاذ؟ لا، هذا العلم اسمه (علم إلهامي).**

إن أهل البيت عليهم السلام علمهم علم تعليمي وعلم إلهامي بأعلى مستويات التعليم وبأعلى مستويات الإلهام، ولهذا ومن باب الكلام يجر الكلام نجد إمامنا زين العابدين عليه السلام قال لزينب عليها السلام بعد مقتل الحسين: «عمّه زينب أنت بحمد الله عالمة

(1) الكهف: ٦٥.
(2) مريم: ١٢.

غير معلّمة، فهمة غير مفهّمة»[١] يعني أنت عندك علوم ليست من القسم الأوّل علوم تعليمية، وإنما عندك علوم إلهامية لدنية من عند الله تبارك وتعالى.

وعلى مستوى التعليم أيضاً نجد أهل البيت عليهم السلام كان أستاذهم هو سيد الأساتذة وسيد العلماء وسيد الخلق على الاطلاق وهو رسول الله صلى الله عليه وآله.

أمير المؤمنين عليه السلام ماذا يقول في الحديث الثابت الصحيح؟ يقول: «علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب يُفتح لي من كلّ باب ألف باب»[٢] هذه رموز في الحقيقة، إن باب يعني رمزاً، كل رمز يفتح له معلومات لا حدّ لها، علّمني رسول الله ألف باب، ليس ألف مسألة، بل ألف باب من العلم، وكل باب يفتح له ألف باب، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله فيما هو الثابت عنه يقول: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».[٣]

هذا الحديث الثابت عند الفريقين أن مدينة العلم ومدينة كل العلوم هو رسول الله صلى الله عليه وآله، والباب والمدخل إلى تلك العلوم هو الإمام عليّ عليه السلام كما نقرأ في دعاء الندبة:

«وأودعه علمه وحكمته فقال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد المدينة والحكمة فليأتها من بابها... وأحلّ له من مسجده ما حلّ له، وسدّ الأبواب إلا بابه، وقال: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي...».

لهذا أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماوات فأني أعلم بها من طرق الأرض».[٤]

---

(1) بحار الأنوار ٤٥: ١٦٤.

(2) انظر: الكافي ١: ٢٣٩؛ دلائل الإمامة: ٢٣٥؛ مناقب ابن شهر آشوب ١: ٢٠٤.

(3) الخصال: ٥٧٤؛ أمالي الصدوق: ٤٢٥؛ الإختصاص: ٢٣٨.

(4) بحار الأنوار ٣٩: ١٠٨؛ ينابيع المودة ٣: ٢٠٨.

قصة آية النجوى:

وكان عليّ عليه السلام يقول: إنّ في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي قط، ولا أحد عامل بها بعدي قط مشيراً بذلك إلى آية النجوى، وهي قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً﴾[1].[2]

وحاصل القصّة في هذه الآية أن الله تبارك وتعالى حكم على المسلمين أن إذا أرادوا أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله مسألة من المسائل أن يقدّموا صدقة قبل أن يدخلوا على النبي، يعني عمليّة تنظيم الدخول والورود على رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى يعرفوا أهميّة هذا الإنسان، ما كان المسلمون يعرفون أهمية رسول الله صلى الله عليه وآله، كانوا يقفون راء الجدار يصيحون يا محمّد أخرج إلينا عندنا شغل معك جهلاً منهم أوسوء أدب، القرآن نزل يقول: ﴿إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً﴾ **وكان هذا امتحان عسير، أكثر القوم قالوا الحمد لله نحن لا نعطي الصدقة ولا نريد المسألة،... بقي رسول الله جالساً وحده حتّى نزل قوله:** ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾.[3]

في التاريخ ثابت أنه لم يدخل بعدها على رسول الله صلى الله عليه وآله قط إلاّ عليّ عليه السلام، فكان قد اقترض ديناراً باعه بعشرة دراهم، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مرّات.

عجيب هي علاقة الإمام مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى كان الإمام عليّ يقول: «وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة، فيخليني فيها أدور معه حيث دار، ... وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني وأقام عني نساءه. فلا يبقى عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في

---

(1) المجادلة: ١٢.

(2) الاحتجاج ١: ١٨٢؛ بحار الأنوار ١٧: ٢٩.

(3) المجادلة: ١٣.

منزلـي لـم تقـم عنـي فاطمـة ولا أحـد مـن بنـيّ، وكنـت إذا سـألته أجـابني، وإذا سكت وفنيت مسائلي ابتدأني...».[(١)]

عشر دراهم قدّمها الإمام عليّ فدخل دخولاً تعليميّاً على رسول الله ﷺ والقوم في غفلة، ومن المفيد أن نعرف هنا تقييمنا لأولئك القوم حينما يعترض علينا بعض الناس أنّه أنتم كيف تقيّمون بعض الصحابة تقييماً سلبياً، نقول: لا غرابة في هذا، القصة هذه هي واحدة من المفردات، لقد هجروا رسول الله وتركوا المسائل كلها من أجل أن لا يقدّموا صدقة، هذا هو مستوى التعامل مع النبي ﷺ، ولقد نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾.[(٢)]

لقـد نسـخت آيـة النجـوى بالاجمـاع بعـد أن امتحـنهم الله تعـالى واختبـرهم واكتشـف مقـدار مصـداقيّتهم فـي التعامـل مـع النبـي ومـع القـرآن، وأعطـى لعليّ عليه السلام امتيازاً عظيماً رفع الحكم ونسخه بعد أن أقام الحجة على الناس.

أحيانـاً يكـون الغـرض مـن الموقـف هـو أن تكتشـف بعـض الحقـائق، مـن قبيل مثلاً سورة براءة.

سورة براءة حينما نزلت أعطاها رسول الله ﷺ بيد الخليفة الأول (أبي بكر) حتى يذهب ويقرأها على قريش، رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: «اذهب واقرأها في الحجيج» وبعد أن مضى بها أبو بكر أوحى الله تبارك وتعالى إلى النبي ﷺ أن لا يقرأها إلاّ أنت أو واحد منك، فأرسل رسول الله ﷺ سريعاً إلى أبي بكر وسحب منه سورة براءة.

نعود إلى آية النجوى، كان عمر بن الخطاب يقول:

«ثلاثـة كـنّ لعلـيّ لـو أنّ لـي واحـدة منهـا أحـب إلـيّ مـن حُمـرِ الـنِعَم» حُمـر

---

(1) الكافي ١: ٦٤؛ بحار الأنوار ٢: ٢٣٠.

(2) الحجرات: ٤.

الـنِعَم يعنـي عبـارة عـن النيـاق الصـفراء كانـت محبوبـة جـداً عنـد العـرب وأفضـل مركـوب عنـدهم وأفضـل ثـروة عنـدهم هـذه حُمـر الـنعم، «تزويجـه بفاطمـة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى...».[١]

هـذه إحـدى امتيـازات الإمـام علـيّ عليه السلام ذكرناهـا فـي سـياق قولـه: «علّمنـي رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب يفتح لي من كل باب ألف باب».

علم الكتاب:

القـرآن الكـريم يقـول: ﴿قـالَ الَّـذي عِنْـدَهُ عِلْـمٌ مِـنَ الْكِتـابِ أَنَـا آتِيـكَ بِـهِ قَبْـلَ أَنْ يَرْتَـدَّ إِلَيْـكَ طَرْفُـكَ﴾[٢] في قصـة سـليمان وعـرش بلقـيس قـال ذاك الـذي عنـده (علـمٌ مـن الكتـاب)، أهـل اللغـة يقولـون: هـذه (مِـن) للتبعـيض يعنـي عنـده شـيء مـن علـم الكتـاب، هـذا الشـخص اسـتطاع أن يـأتي بعـرش بلقـيس مـن هـذه المسـافة التـي ربّمـا تزيـد علـى أكثـر مـن ألـف كيلـومتر فـي طرفـة العـين ﴿قَبْـلَ أَنْ يَرْتَـدَّ إِلَيْـكَ طَرْفُـكَ﴾، حينئـذٍ أئمتنـا عليهم السلام يقولـون: ذاك كـان عنـده علـم مـن الكتـاب أمّـا نحـن لدينا علم الكتاب كله[٣] ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ في إِمامٍ مُبِينٍ﴾.[٤]

الإمـام الصـادق عليه السلام يقـول: «قـد ولـدني رسـول الله صلى الله عليه وآله وأنـا أعلـم كتـاب الله، وفيـه بـدء الخلـق، ومـا هـو كـائن إلـى يـوم القيامـة، وخبـر مـا كـان وخبـر مـا هـو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي، إن الله يقول: ﴿تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[٥]».[٦]

---

(1) راجع مناقب آل أبي طالب ١: ٣٤٦؛ بحار الأنوار ٣٥: ٣٧٧.
(2) النمل: ٤٠.
(3) أنظر: الكافي ١: ٢٢٩، و٢٥٧؛ بصائر الدرجات: ٢٥١؛ بحار الأنوار ٢٦: ١٧٠، و١٩٥.
(4) يس: ١٢.
(5) النحل: ٨٩.
(6) الكافي ١: ٦١.

فإذا كان القرآن تبياناً لكل شيء وأهل البيت عندهم كل الكتاب إذاً هم يعلمون بكل شيء.

الإمام الصادق عليه السلام يقول في رواية أخرى: «قال الذي عنده علمٌ من الكتاب، ثم فرّج الإمام الصادق بين أصابعه فوضعها على صدره، ثمّ قال: «والله عندنا علم الكتاب كلّه».[(١)]

الإمام عليّ عليه السلام يقول: «يا كميل هلك خزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة. إنّ ها هنا لعلماً جمّا (وأشار إلى صدره)، لو أجد له حملة...».[(٢)]

هذا كله حول العلم التعليمي، هذا علم تعليمي، اليوم هذا جهاز الكمبيوتر ممكن تخزن به عشرات آلاف الكتب تخزنه في (قرص سيدي) واحد، إذا كان هذا ممكناً عند الإنسان البسيط فلماذا لا يكون ممكناً لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يعطي رموز العلوم والمسائل كلّها لعليّ عليه السلام ثم علي يعطيها لأهل البيت عليهم السلام ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[(٣)] الله تبارك وتعالى يقول إنّ المسألة توارثية، طبعاً ليس بمعنى التوارث الجسمي، لا، بل ميراث إلهي ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ يعني بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هناك أيضاً أناس أورثهم الله تبارك وتعالى علم الكتاب، وهم علي وآل عليّ.

ولهذا نحن نقرأ أيضاً في زيارة الجامعة: «وعندكم ما أتت به رسله وهبطت به ملائكته، وإلى جدّكم بعث الروح الأمين، آتاكم الله ما لم يؤتِ أحداً من العالمين».

---

(1) الكافي ١: ٢٢٩/ ح ٥؛ بصائر الدرجات: ٢٣٢.
(2) نهج البلاغة ٤: ٣٦/ ح ١٤٧.
(3) فاطر: ٣٢.

قصة في زمن عمر:

في قصّة تاريخية: يُروى أنّ عمر بن الخطاب في زمانه حدثت مسألة وهي عبارة عن أنّ خمسة من الأشخاص ارتكبوا جريمة الزنى (والعياذ بالله)، فحكم عليهم عمر بن الخطاب جميعاً بالقتل، وجاء علي وخطّأه، قال: يا عمر ما هذا حكم الله فيهم.

قال: كيف وقد ارتكبوا هذه الجريمة؟

قال: لا.

قال: ما هو حكمهم؟

قال: الأوّل يُقتل، والثاني يُرجم، والثالث يُجلد مائة جلدة، والرابع يُجلد خمسين جلدة، والخامس يُعزَّر. تعجّب المسلمون وقالوا: يا علي كيف ذلك؟ خمسة ارتكبوا فاحشة واحدة كيف صار لهم خمسة أحكام؟

قال: نعم أمّا الأوّل: فهو ذمّي يعني مسيحي أو يهودي داخل في أمان المسلمين وفي ذمّة المسلمين، وأحد شروط الذمّة والمعاهدة بين المسلمين وبين الكتابي أن لا يفجر بمسلمة، فإذا فجر بمسلمة خرج من الذمّة وحكمه القتل.

الثاني: يُرجم، بمعنى يضرب بالحجارة حتى يموت لأنّ هذا مسلم محصن يعني عنده زوجة ويذهب يفجر بامرأة أخرى، وهذا حكمه ليس هو التأديب والجلد وإنّما حكمه أيضاً القتل بالرجم.

الثالث: يجلد، لأنه مسلم ولكن ليس عنده زوجة وهذا حكمه أخف ويجلد مئة جلدة.

الرابع: نصف الحد، بدل المئة جلدة خمسون جلدة لأن هذا عبد والعبد حكمه نصف حكم الحر، إذا كان الحر يضرب مئة جلدة فالعبد خمسين جلدة.

وأما الخامس: فمغلوب على عقله وهو مجنون لكن لا يعفى عنه مطلقاً وإنّما يعزّر ويؤدّب تأديباً آخر غير المئة جلدة باختيار الحاكم ممكن جلدة

واحدة وممكن سجن ساعتين وممكن أشياء أخرى من هذا القبيل، هذا مجنون والمجنون ليس له حكم العاقل في الإسلام، فهؤلاء خمسة في مسألة واحدة حكم فيهم الإمام علي عليه السلام خمسة أحكام.[1]

الحديث في هذا الشأن طويل، ولهذا كنت أفكر أنّي أجعل القسم الثاني من هذا الحديث في ليلة أخرى: كيف كان الأئمّة عليهم السلام خزّان العلم؟

هذا هو العلم التعليمي، وهناك علم إلهامي وعلم لدنّي أو لَدُنّي من الله تبارك وتعالى، وعندهم خبر ما كان وما يكون إلى قيام الساعة.

ولهذا سوف تسألونني سؤالاً لا بدّ أن نجيب عنه: هل هذا هو من علم الغيب؟ وقد قال تعالى: ﴿لا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً﴾.[2]

الجواب السريع: إن هذا ليس من علم الغيب لأن الغيب يخصه القرآن الكريم في أمور أربعة كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.[3]

الإمام علي عليه السلام يختصر علم الغيب في هذه المسائل، وما عداها إنّما هو من التعليم.

أربع مسائل القرآن يجعلها في علم الغيب، واحدة منها قيام الساعة، حيث لا يعلم بها أحد أبداً حتى رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يعلم أحد ما في الأرحام شقي أم سعيد، ذكي أم غبي، طويل العمر أو قصير العمر، جميل أم قبيح، حسن الأخلاق أم سيّء الأخلاق، عصبي أم... وقس على ذلك، ولا يقل أحد أن العلوم اليوم تستطيع أن تكتشف أنه ذكر أم أنثى، صحيح ليس فقط العلوم اليوم بل حتى في ذلك الزمان أيضاً كان البعض يعرف بطريقة من الطرق،

---

(1) أنظر نص الرواية في: الكافي ٧: ٢٦٥؛ تهذيب الأحكام ١٠: ٥٠.

(2) الجن: ٢٦.

(3) لقمان: ٣٤.

وحتّى القابلات ممكن أن يعرفن هل الجنين ذكر أم أنثى، أو على الأقل بالحدس القوي وببعض العلامات، هذا ليس علم غيب، العلم الذي يذكره أمير المؤمنين مشيراً إلى قوله: ﴿وَيَعْلَمُ ما فِي الأَرْحامِ﴾، أنّ هذا الذي في الرحم هل سيكون ولياً من أولياء الله، أو سيكون شقياً من الأشقياء؟ هل سيكون شهيداً سعيداً أم يكون تعيس الحظ؟ أم هل سيكون عالماً مفيداً نافعاً أم يكون من الهمج الرعاع؟ لا يعلم هذا الأمر إلا الله تبارك وتعالى. وهكذا لا تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأيّ أرضٍ تموت.

هذا أولاً.

ثانياً: القرآن الكريم يقول: ﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ﴾[1] صحيح أن الله هو عالم الغيب، لكن الله تبارك وتعالى يُطلع على غيبه من ارتضى من رسول، إذاً ما هي المشكلة في أن الله تبارك وتعالى يعطي تلك العلوم الغيبية إلى أهل البيت عليهم السلام وإلى أنبيائه لكن على سبيل التعليم أو على سبيل الإلهام؟

على كل حال نحن لا ندّعي أن لديهم (أهل البيت عليهم السلام) علم الغيب، وإن كان ثمّة علوم فهي بتعليم الله تبارك وتعالى لقوله: ﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ﴾.

قصة ميثم التمّار:

ميثم التمّار كان عبداً صالحاً، وكان من خلّص شيعة عليّ عليه السلام، وكان من أبطال الكوفة.

إن هؤلاء يستحقّون التمجيد حتى نعرف شخصيّاتنا وتاريخنا، وهؤلاء الأبطال أشرق التاريخ بذكر أسمائهم.

---

(1) الجن: ٢٦ و٢٧.

هـذا ميـثم التمّـار كـان عبـداً مـن العبيـد أيضـاً لبنـي أسـد، وأميـر المـؤمنين اشتراه واعتقه، قال له: ما اسمك؟

قال: سالم.

قال: حدّثني رسول الله ﷺ أن اسمك عند العجم: ميثم.

قال: نعم أنا اسمي ميثم.

فقـال أميـر المـؤمنين: اتـرك سـالم وارجـع إلـى اسـمك، فعـاد إلـى اسـمه ميثم، وكنّى نفسه بأبي سالم.

ميثم التمّار له حكايات وبطولات رائعة ولامعة.

يـذكر التـاريخ أن أميـر المـؤمنين عليه السلام أخبـره _ وهـذا لـيس مـن علـم الغيـب، بـل مـن العلـم التعليمـي، قـال: «أخبرنـي رسـول الله ﷺ أنّـك تؤخـذ بعـدي وتصلب وتُطعن بحربة، فإذا كان اليوم الثالث سال منخراك دماً فانتظر ذلك».

ثـم أراه تلـك الشـجرة التـي يُصـلب عليهـا _ وكانـت الشـجرة علـى بـاب دار عمـرو بـن حريـث، فكـان ميـثم التمّـار يتعاهـدها بالسـقي ويـأتي يصـلّي عنـدها وهـو مسـرور بهـا فكـان يقـول: «لـكِ خُلقـتُ ولـي غُـذّيتي» وكـان يقـول لعمـرو بـن حريـث يـا عمـر: يومـاً مـا سـأجاورك فأحسـن جـواري، فيقـول لـه عمـرو بـن حريـث _ وهـو لم يعرف ما يقصده ميثم _ هل سيكون بيتك بهذا الجانب أم بهذا الجانب؟!

ميـثم التمـار مـن أهـل الكوفـة ومـن أبطـال الكوفـة، ذهـب إلـى الحـج فـي السـنة التـي قُتـل فيهـا، ذهـب يسـأل عـن الحسـين عليه السلام، فـدخل علـى أم سـلمة زوجة النبي ﷺ وهي من النساء الصالحات.

قال لها: يا أم سلمة أين الحسين أريد أن أسلّم عليه.

قالـت: إنّـه فـي الحـائط (الحـائط يعنـي بسـتان) فقـال: أخبريـه أنـي قـد أحببـت السـلام عليـه، ونحـن ملتقـون عنـد رب العـالمين، هـو يعـرف جيّـداً أن الملتقـى فـي هـذه السـنة، وميـثم التمـار قُتِـل قبـل الحسـين بعشـرة أيّـام كـان سـجيناً

هو والمختار بن عبيد الله الثقفي، وهذا أيضاً بطل من الأبطال، وأيضاً كان ابن زياد قد سجنه قبل خروج الحسين، هؤلاء سجنوا، ومن جملة من سُجِن رشيد الهجري، ومن جملتهم ميثم التمّار والمختار.

ميثم يقول للمختار: أنت سوف تخرج وسوف تنتصر، ولهذا كان المختار على ثقة بانتصاره، لمّا صارت ثورة التوّابين بقيادة سليمان بن صرد كان المختار وهو قائد عسكري وله حنكة عسكرية أكثر من سليمان بن صرد كان المختار يضحك ويقول لأهل الكوفة: إليّ إليّ أنا صاحبكم.

على كل حال، فبعد أن قُتِل سليمان بن صرد قاد الثورة المختار وعنده يقين أنّه سينتصر، وكان الإمام عليّ عليه السلام قد أخبر بأن المختار سينتصر.

وقبل أيّام من مقتل ميثم التمار قال للمختار: أنت ستخرج وسوف تنتصر وسأُصلب على شجرة عاشر عشرة أقربهم إلى المطهرة يعني أقربهم إلى الماء، وبالفعل لما ساقوهم إلى القتل جاء كتاب يزيد يعفو عن المختار فأُطلق سراحه، وأمّا ميثم التمّار فقد ساقوه إلى القتل.

فلما أُدخل ميثم أسيراً على ابن زياد.

قال له ابن زياد: أين ربّك؟

قال: إنّ ربّك لبالمرصاد، لكلّ الظلمة وأنت أحد الظلمة فاستغرب ابن زياد من هذه الجرأة وأمر بقتله، فقال: أخبرني سيدي ومولاي أمير المؤمنين بأنّك ستقتلني وتصلبني على شجرة عاشر عشرة أقربهم إلى المطهرة، وإنّك ستقطع يديّ ورجلّي ولساني.

قال: والله لأكذّبنّ سيّدك، اقطعوا يديه ورجليه واتركوا لسانه.

فصلبوه على تلك الشجرة، ثم بقي مصلوباً ثلاثة أيّام وهو يتحدّث بفضائل أهل البيت عليهم السلام، فوصل الخبر إلى ابن زياد أنّه إذا بقي هذا حياً

افتضح أمرك، فأمر ابن زياد بلسانه فَقُطع، وكان أوّل مسلم ألجم في الإسلام، يعني: قُطع لسانُه.[١]

قصة عمّار بن ياسر:

عندنا أيضاً أوّل مسلم ضُرب في الإسلام وأغمي عليه، هو أيضاً واحد من أبطال شيعة أهل البيت عليهم السلام، وهو عمار بن ياسر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «عمار تقتله الفئة الباغية»[٢] هذا عمار في مشادة حدثت بينه وبين عثمان بن عفّان الذي يسمّونه ذي النورين نزل إليه عثمان بن عفّان من المنبر فرفسه في بطنه حتّى أغمي عليه ثلاثة أيّام ونقلوه إلى بيت أم سلمة،[٣] وكان هذا أول تعذيب في الإسلام! على يد الخليفة!

علم الإمام الجواد عليه السلام:

إمامنا الجواد عليه السلام وهو ابن ثمان سنوات تولّى أمر الإمامة إمامة المسلمين بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام، وقد جمع له المأمون العباسي فطاحل العلماء من المذاهب الأخرى لكي يحاجّوه، وكان المأمون يريد أن يُغلب الإمام الجواد عليه السلام ولا يريد أن يثبت أحقيّته عليه السلام.

وكان أحدهم قاضي القضاة، يعني المرجع الأعلى عندهم، المرجع الأعلى يقف أمام صبي من حيث العمر، بعمر ثمان سنوات، ولا يمكن الموازنة بين مرجع أعلى قاضي القضاة وهو يحيى بن أكثم وبين صبي عمره ثمان سنوات، ومع ذلك الإمام الجواد عليه السلام أفحمه بالجواب في المسألة الأولى، واضطر يحيى ابن أكثم للاعتراف والتراجع أمام الجواد عليه السلام.[٤]

---

(1) أنظر: الإرشاد ١: ٣٢٤؛ بحار الأنوار ٤٢: ١٢٤.

(2) بحار الأنوار ٣٣: ١٢؛ مسند أحمد ٣: ٢٢.

(3) أمالي المفيد: ٧١/ م ٨/ ح ٥؛ البحار ٣١: ٤٨٢.

(4) أنظر: دلائل الإمامة: ٣٩١؛ بحار الأنوار ١٠٠: ٢٧١.

هـذا هـو العلـم الإلهـامي، وأنـا لسـت بصـدد سـرد قصـة الإمـام الجـواد عليه السلام، هذا العلم هو علم إلهامي من الله تبارك وتعالى.

يحيى و عيسى عليهما السلام:

والقـرآن الكـريم يشـير إلـى هـذا العلـم فـي موضـعين، الأوّل: فـي قصـة نبـيّ الله عيسى، والثاني: في قصة نبي الله يحيى.

فـي قصـة عيسـى يقـول: ﴿فَأَشـارَتْ إِلَيْـهِ قـالُوا كَيْـفَ نُكَلِّـمُ مَـنْ كـانَ فـي الْمَهْـدِ صَـبِيًّا﴾ **عيسـى عليه السلام وهـو فـي المهـد يعنـي فـي اليـوم الأوّل مـن ولادتـه لأن مـريم بمجـرّد أن أتـت بـه إلـيهم شـكّوا بهـا واتّهموهـا قـالوا:** ﴿لَقَـدْ جِئْـتِ شَـيْئاً فَرِيًّـا * يـا أُخْتَ هـارُونَ مـا كـانَ أَبُوكِ امْـرَأَ سَـوْءٍ وَمـا كانَـتْ أُمُّكِ بَغِيًّـا * فَأَشـارَتْ إِلَيْـهِ قـالُوا كَيْـفَ نُكَلِّـمُ مَـنْ كـانَ فـي الْمَهْـدِ صَـبِيًّا﴾. **هنـا نطق عيسـى** ﴿قـالَ إِنّـي عَبْـدُ اللَّـهِ آتـانِيَ الْكِتـابَ وَجَعَلَنـي نَبِيًّـا * وَجَعَلَنـي مُبارَكـاً أَيْـنَ مـا كُنْـتُ وَأَوْصـانِي بِالصَّـلاةِ وَالزَّكـاةِ مـا دُمْـتُ حَيًّـا * وَبَرًّا بِوالِدَتِي﴾[1] **هذا عيسى عليه السلام.**

مثـل هـذه العبـارات جـاءت مـع فـرق بسـيط علـى لسـان يحيـى عليه السلام قـال: ﴿يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

خلاصــة القصــة أنّ زكريــا عليه السلام ســأل الله تعــالى أن يهــب لــه ولــداً، قــال: ﴿قـالَ رَبِّ إِنّـي وَهَـنَ الْعَظْـمُ مِنّـي وَاشْـتَعَلَ الـرَّأْسُ شَـيْباً وَلَـمْ أَكُـنْ بِـدُعائِكَ رَبِّ شَـقِيًّا * وَإِنّـي خِفْـتُ الْمَـوالِيَ مِـنْ وَرائـي وَكانَـتِ امْرَأَتـي عـاقِراً فَهَـبْ لـي مِـنْ لَـدُنْكَ وَلِيًّـا * يَرِثُنـي وَيَـرِثُ مِـنْ آلِ يَعْقُـوبَ وَاجْعَلْـهُ رَبِّ رَضِـيًّا * يـا زَكَرِيّـا إِنّـا نُبَشِّـرُكَ بِغُـلامٍ اسْـمُهُ يَحْيـى لَـمْ نَجْعَـلْ لَـهُ مِـنْ قَبْـلُ سَـمِيًّا * قـالَ رَبِّ أَنّى يَكُونُ لـي غُـلامٌ وَكانَـتِ امْرَأَتـي عـاقِراً وَقَـدْ بَلَغْـتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّـا * قالَ كَذلِكَ قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَـيْئاً * قـالَ رَبِّ اجْعَـلْ لـي آيَـةً قـالَ آيَتُـكَ أَلاّ تُكَلِّـمَ النّـاسَ ثَـلاثَ لَيـالٍ سَـوِيًّا * فَخَـرَجَ عَلى قَوْمِـهِ

(1) مريم: ٢٧ - ٣٢.

مِنَ الْمِحْرابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكاةً وَكانَ تَقِيًّا﴾.[١]

على كل حال هذا نموذج من العلم الإلهامي، حيث لم يخضع يحيى وهو صبي إلى تعليم معلّم، إنما شاء الله تعالى أن يكون يحيى وأن يكون عيسى موضع عناية خاصّة فوهبهما الحُكم والحكمة والنبوّة.

العلم الرمزي:

هناك طريق ثالث للعلم يمكن أن نسمّيه بالعلم الرمزي، ويمكن أن نسمّيه بالعلم الاسمي، ويمكن أن نسمّيه العلم بواسطة الاسم الإلهي.

اسم الله تعالى إذا علم به الإنسان ذلّ وخضع له كلّ شيء، لأنّ اسم الله تعالى يقوم به كل شيء في الوجود ولا يوجد شيء في الوجود، بدون اسم الله تعالى. لكن لنتحدّث هذه الليلة عن الأسماء الإلهيّة.

أسماء الله:

نحن كلّنا نعرف أنّ أسماء الله ﷻ عديدة مثل: الله، الرحمن، الرحيم، الباري، الخالق، المصوّر، ذو الجلال والإكرام، الملك، الحي، القيوم، السميع، البصير، وغير ذلك، حتّى أنّ الروايات تقول: إنّ لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً، أحد تلك الأسماء الذي هو يكمل به المئة أخفاه الله تبارك وتعالى وحجبه عن الخلق أجمعين وهو اسم الله الأعظم.[٢]

الله هو اسم من أسماء الله، والرحمن اسم من أسماء الله ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى﴾[٣] **ولكن هناك اسم تقول عنه الروايات الثابتة**

---

(1) مريم: ٤ - ١٣.
(2) الكافي ١: ١١٢ - ١١٤؛ الخصال: ٥٩٣؛ ...
(3) الإسراء: ١١٠.

أنّه الاسم الأعظم «اللهم إنّي أسألك باسمك العظيم الأعظم الذي إذا دعيت به على مغالق أبواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت، وإذا دعيت به على مضائق أبواب الأرض للفرج انفرجت، وإذا دعيت به على العسر لليسر تيسّرت»[1] اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أحد استجيب له، يعني إذا استطاع الإنسان أن يدعو الله تعالى بذلك الاسم، ولكن ذاك الاسم لا يعرفه أحد، ولهذا فالروايات والأدعية التي نتعلّمها من أئمتنا عليهم السلام في الوقت الذي تقول: «اللهم إنّي أسألك يا رحمن يا رحيم يا حي يا قيوم» تقول: يوجد اسم آخر غير هذه الأسماء وذاك هو الاسم الأعظم، حيث أن الله تبارك وتعالى حجبه عن الخلق واستأثر به لنفسه، ولهذا نقرأ في أدعية الصباح:

«اللهم إنّي أسألك باسمك المخزون المكنون الطاهر الطهر المبارك، وأسألك باسمك العظيم وسلطانك القديم».

لاحظوا قوله: «باسمك المخزون المكنون» ذاك هو الاسم الأعظم، هذا الاسم الأعظم حتّى الأنبياء عليهم السلام حتّى نبيّنا صلى الله عليه وآله قد حجب ذلك الاسم الأعظم عنه، ولهذا نقرأ في الأدعية الرجبيّة قوله: «وباسمك الأعظم الذي خلقته فاستقرّ في ظلّك فلا يخرج منك إلاّ إليك»[2] فهو إذن لا يعرفه أحد أبداً، هذا الاسم الأعظم الذي صار به الوجود كل الكون ما يُرى وما لا يُرى ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، هذا الوجود كلّه كان بالاسم الأعظم، هناك حقائق كونيّة لكن خفيّة عن أنظار الأعيُن إلاّ أنّ القرآن الكريم والمعارف الإلهية العظيمة تتحدّث عنها، هناك شيء اسمه العرش، هناك شيء اسمه القلم، هناك شيء اسمه الكرسي، هذه أشياء عظيمة. في غاية العظمة، عرش الله، اللّوح، ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[3] ما هو اللوح؟

(1) دعاء السمات.
(2) مفاتيح الجنان/ عباس القمي: أدعية شهر رجب.
(3) البروج: ٢٢.

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(1) **ما هو القلم؟**

الكرسي، العرش، هذه مفاهيم تشير إلى حقائق كونيّة كبرى، هذا الوجود المادي الذي بمرأى العين كلّه يتلاشى عند تلك المعاني العظيمة، هذه المجرّات الكونيّة المتلاطمة هذه كلّها لا شيء بالنسبة إلى العرش، وبالنسبة إلى الكرسي، وبالنسبة إلى اللوح، وبالنسبة إلى القلم.

هناك شيء أعظم من كل هذه الأمور هو الاسم الأعظم، قبل العرش، قبل الكرسي، قبل اللوح، قبل القلم، قبل الأنوار، قبل الملائكة، قبل الأنبياء، قبل الأرواح، قبل السماوات، قبل الأرضين، قبل أن تشيّأت الأشياء وتكوّنت الأكوان، كان هناك أوّل ما ابتدأه الله تعالى هو الاسم الأعظم، هذا الاسم الأعظم كان منه كلّ الوجود.

أنا أقرأ مقاطع من دعاء من الأدعية حتّى ترون الأئمّة عليهم السلام في هذا الدعاء المعروف من أدعية ليالي عرفة كيف ينقلوننا إلى عميق المعاني.

تعالوا وانظروا إلى أدعية الأئمّة عليهم السلام ماذا يعلّموننا، قبل أن ينزلوا إلى حاجاتهم الدنيويّة أو الأخرويّة يتحدّثون أوّلاً مع الله العظيم ثمّ ينتقلون إلى عالم المؤانسة والملاطفة والمناجاة مع الله تعالى، ثمّ بعدئذ يطلبون بعض الحاجات.

لاحظوا ماذا يقول هذا الدعاء في ليالي عرفة: «وباسمك الذي رفعت به السماوات بلا عمد وسطحت به الأرض على وجه ماءٍ جَمَد، وباسمك المخزون المكنون المكتوب الطاهر الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سألت به أعطيتَ، وباسمك السبّوح القدّوس» عجيب هو اسم الله لكنه نفسه سبّوح قدوس لأنّه خلقٌ مِن خلقِ الله، «وباسمك المخزون المكنون المكتوب الطاهر الذي هو نور على نور ونور من نور يضيء منه كل نور إذا بلغ الأرض انشقّت وإذا بلغ السماوات فتحت وإذا بلغ العرش اهتز». العرش العظيم أمام اسم الله

---

(1) القلم: ١.

يهتز «وباسمك الذي ترتعد منه فرائص ملائكتك، وأسألك بحق جبرئيل وميكائيل» إلى أن يقول: ... وبالاسم الذي مشى به الخضر على قلل الماء _ قلل _ يعني أمواج الماء _ الخضر مشى على الماء ليس بسفينة ولا مركب وإنّما باسم الله كما مشى به على جُدد الأرض _جدد الأرض _ يعني الأرض اليابسة المشقّقة إلى شوارع وطرق، «وباسمك الذي فلقت به البحر لموسى» هذا البحر انفلق فكان كل فرقٍ كالطود العظيم «وأغرقت فرعون وقومه وأنجيت به موسى بن عمران ومن معه، وباسمك الذي دعاك به موسى بن عمران من جانب الطور الأيمن فاستجبت له، وباسمك الذي أحيى به عيسى بن مريم الموتى وتكلّم في المهد صبيّاً» يعني أصبح يتكلّم بالحكمة والنبوة، وأبرأ الأكمه والأبرص باذنك «وباسمك الذي دعاك به حملة عرشك وجبرئيل وميكائيل وإسرافيل» إلى أن يقول: «... وباسمك الذي دعاك به ذو النون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين، وباسمك العظيم الذي دعاك به داود وخرّ لك ساجداً فغفرت له، وباسمك الذي دعتك به آسية امرأة فرعون إذ قالت ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة، وباسمك الذي دعاك به أيّوب إذ حلّ به البلاء فعافيته وآتيته أهله ومثلهم معهم، وباسمك الذي دعاك به سليمان...».[1]

وهكذا نجد أنّ كلّ الأنبياء ومعاجزهم وما جرى على أيديهم إنّما كان توسلّهم ودعائهم بالاسم الأعظم.

«اللهم إنّي أسألك باسمك العظيم الأعظم الأعز الأجل الأكرم الذي إذا دعيت به» وهذا هو دعاء يوم الجمعة.

هذا الاسم العظيم المحتجب عن الخلائق تقول الروايات كما عن

---

1 اقبال الأعمال ٢: ٥٠.

الإمام الباقر عليه السلام وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّ ذلك الاسم على ثلاثة وسبعين حرفاً ليست من هذه الحروف ألف باء جيم دال... إنّما هذه الحروف إشارة إلى رموز، وإلاّ فإن ذلك الاسم أيضاً ليس هو كلمة بحيث يمكن أن نرتب مجموعة حروف يخرج منها الاسم الأعظم لا... ليس كذلك.

الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام وأخرى عن الإمام الصادق عليه السلام تقول:

«إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّما عند آصف منها حرفٌ واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، فتناول السرير بيده ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده».[١]

أمّا الإمام الصادق عليه السلام فيقول:

«إنّ الله عزّ وجلّ جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً، وأعطى نوحاً منها خمسة وعشرين حرفاً، وأعطى إبراهيم منها ثمانية أحرف، وأعطى موسى أربعة أحرف، وأعطى عيسى حرفين وكان يحيي بهما الموتى ويبرئ بهما الأكمه والأبرص، وأعطى محمّداً اثنين وسبعين حرفاً واحتجب حرفاً واحداً لئلاّ يعلم ما في نفسه ويعلم ما في نفس العباد».[٢] إذن هناك علم من نوع ثالث وبسبب ثالث ونسمّيه العلم الرمزي، ونسمّيه العلم بالاسم، مثلاً أنت إذا دخلت مدينة من المدن الكبرى مليئة بالشوارع والأحياء إذا كانت بيدك خارطة المدينة بالسنتمترات وبأسماء الشوارع إذن أنت بيدك دليل وإذا اتبعت الدليل تستطيع أن تمشي بطرق وشوارع تلك المدينة وتصل إلى مقصودك بدقة لأنّه عندك دليل.

---

(1) أنظر: الكافي ١: ٢٣٠؛ بحار الأنوار ٤: ٢١٠، و٢٧: ٢٥.

(2) بحار الأنوار ٤: ٢١١، و١١: ٦٨؛ تفسير الميزان ٨: ٣٦٦.

الأئمّة عليهم السلام إذا كان عندهم الاسم الأعظم إذن هذا هو الدليل يستطيعون به أن يعرفوا ما كان وما يكون إلى قيام الساعة لأنّ الخارطة بيدهم، كل الوجود خارطته موجودة في الاسم الأعظم، فإذا كانت الخارطة بيدهم متى ما أرادوا علموا.

ولهذا _ والكلام يجر الكلام _ قد يقول القائل منكم: إنّه أحياناً بعض الأئمّة لا يعلمون شيئاً من الأشياء، فكيف نفسّر ذلك؟

نعم الروايات هكذا تقول: متى ما شاءوا علموا.

الإمام عليّ عليه السلام يقول:

والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه وآله ألا وإنّي مفضيه إلى الخاصّة ممن يؤمن ذلك منه.

والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ما أنطق إلاّ صادقاً وقد عهد إليّ بذلك كلّه، وبمهلك من هلك، وبمنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى _ يعني رسول الله _ شيئاً يمرّ على رأسي إلاّ أفرغه في أذني وأفضى به إليّ.[1]

الناس ثلاثة:

يا كميل إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، اسمع منّي ما أقول...

هذا كميل من التلاميذ المقرّبين للإمام عليّ عليه السلام، كان الإمام عليّ يأخذه ويخرج معه خارج المدينة في الصحراء ويحدّثه بأحاديث خاصّة.

وكان من جملة الأحاديث الخاصّة: «يا كميل الناس ثلاثة فعالم ربّاني، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق... لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق».[2]

---

(1) نهج البلاغة ٢: ٨٩؛ بحار الأنوار ٤٠: ١٩٠/ ح ٧٥.

(2) نهج البلاغة ٤: ٣٥/ ح ١٤٧.

قصة رشيد الهجري:

بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كان عندهم علم المنايا والبلايا، كان من جملة هؤلاء رشيد الهجري، وهو من خيرة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن أبطال الشيعة، هؤلاء إن أخذتهم في مجال العلم لا نظير لهم، وإن أخذتهم في مجال البطولة هم في البطولة فوق الوصف، هذا رشيد الهجري صاحب علم البلايا والمنايا، وكان مطلوباً لابن زياد في الكوفة حينما بدأ ابن زياد يلاحق شيعة عليّ عليه السلام في الكوفة واعتقال هؤلاء الأبطال وقتلهم قبل مجيء الحسين، وكان من جملة من ألقي القبض عليه رشيد الهجري.

هذا رشيد الهجري بينما كان جماعة جالسين في الكوفة على باب الدار وكان رشيد الهجري تلاحقه قوّات الأمن، وإذا هو دخل في أحد الأزقّة وهؤلاء الجماعة جالسون على باب دار واحد من شيعة أهل البيت يسمّونه (أبو أراكة) لكنه من الشيعة المساكين ومن السواد الأعظم، وإذا برشيد الهجري تخطّى هؤلاء الجالسين ودخل بيت أبي أراكة، نظر أبو أراكة لرشيد الهجري دخل بيته، فقال في نفسه الآن بيتي سوف ينهدم، الآن ابن زياد سوف يعتقلني ويعتقل كل أقربائي، دخل إلى رشيد قائلاً: يا رشيد هدمت عليّ داري، أهلكتني، أهلكت عيالي، أنت تعلم أنّك مطارد لماذا أتيت إليّ، أنا لا أقبل، فقال له رشيد: يا أبا أراكة لم يرني أحد من هؤلاء، قال: عجيب كلّهم نظروا إليك مثل ما رأيتك أنا، قال: أخرج واسألهم، فخرج إلى أصحابه وسألهم هل رأيتم رجلاً دخل في البيت؟

قالوا: لا، لم نر شيئاً.

فلم يطمئن، ورجع مرّة أخرى أحكم القفل على رشيد وقال: أريد أن أذهب لقصر ابن زياد لأرى هناك ماذا يتحدّثون.

جاء أبو أراكة إلى مجلس ابن زياد، وسلّم وجلس مع الناس يسمع بماذا يتحدّثون لعلّهم يتحدثون عن رشيد حتّى يعترف ويعطيهم الخبر، وبينما هو جالس

وإذا رشيد الهجري أقبل على بغلة فدخل إلى مجلس ابن زياد وقام له الناس باحترام، وأجلسه ابن زياد إلى جانبه قائلاً: كيف أنت يا أخا أهل الشام؟ متى جئت؟ وهو يحدّثه ويؤانسه كأن لم يكن شيئاً مذكوراً، فأُسقط بما في يدي أبو أراكة وقال: قد انتهيت لأنّه خرج من بيتي وجاء إلى ابن زياد فلا بدّ أنهم سوف يعذّبونه ويقول كنت في بيت أبي أراكة، لكنه فوجئ عندما رأى أنه جلس إلى ابن زياد وابن زياد يوقّره ويتحدّث معه دقائق، ثم انصرف رشيد الهجري على بغلته.

جاء أبو أراكة إلى ابن زياد فقال: من يكون هذا الشيخ؟ قال: هذا رجلٌ من أصدقائنا من أهل الشام.

اطمئن أبو أراكة ورجع إلى البيت فرأى رشيد في نفس الغرفة ونفس القفل.

قال له: يا أبا أراكة نحن لو أردنا لفعلنا هكذا، لكن نحن لا نريد، نحن هذا مقامنا وهذه منزلتنا، يا مسكين أنت تخاف على بيتك لكن لله قدراً كان مقدوراً.[١]

ميثم وحبيب:

ميثم التمّار وحبيب بن مظاهر تلاقوا في زقاق من أزقّة الكوفة والناس جالسون في الزقاق، وإذا ميثم على فرس وحبيب على فرس حتى تعانق رأسا فرسيهما، فأصبحوا يتحدّثون بأحاديث سرّية خاصّة لكن الناس يسمعون.

حبيب قال لميثم: كأنّي برجلٍ أصلع يصلب على خشبة تقطع يداه ورجلاه ولسانه ويشير بذلك إلى ميثم التمار، ميثم قال له: وكأني بشيخ أصفر له ضفيرتان ينصر ابن بنت رسول الله فيُقتل ويعلّق رأسه على فرس فهي تطوف به في البلاد.

الناس يسمعون هذه الأحاديث وهي ليست أحاديث بشر عادية، فلما انصرفوا بعد لحظات جاء رشيد الهجري فقال لهؤلاء الجلوس: هل مرَّ عليكم حبيب وميثم؟

---

(1) أنظر هذه القصة بالنص في: الإختصاص: ٧٨؛ بحار الأنوار ٤٢: ١٣٩.

قالوا: بلى الآن مرّ علينا اثنان ما رأينا أكذب منهما.

قال لهم: كيف ذلك؟

فحدّثوه بما قالوا.

فقال رشيد وهو يعلّق على نبوءة ميثم التمّار: ونسي ميثم، ويُزاد في عطاء من يأتي برأس حبيب مئة درهم. قال الجالسون: والله هذا أكذب من صاحبيه.

هذا جهل الناس فهم همج رعاع، أين أصحاب الأئمّة وأين الناس؟ وبم يفكرون؟

الإمام عليّ عليه السلام يقول لرشيد: كيف بك إذا دعيت للبراءة منّي تُقطع يداك ورجلاك ثمّ لسانك، قال: ومن وراء ذلك الجنّة يا عليّ؟ قال: بلى أبشر أنت من أهل الجنّة، وإذا الأيّام مرّت سريعاً يُلقى القبض على رشيد الهجري من قبل ابن زياد.

قال له ابن زياد: ابرأ من أميرك، فامتنع رشيد الهجري.

قال: إذن اختر أيّ قتلة تريد أن أقتلك فيها.

قال: أخبرني أميري أمير المؤمنين عليه السلام أنّك تقطع يديّ ورجليّ وتقطع لساني.

قال والله لأُكذّبنّ أميرك، اقطعوا يديه ورجليه واتركوا لسانه.

تقول ابنته: وحينما قطعت يداه ورجلاه حملناه، فسألته: يا أبة كيف تجد ألم الجراح عندك؟ قال: يا بنّي ما هو إلاّ كزحام الناس، وبدأ يحدّث الناس ويقول: إن شئتم أخبرتكم بما كان وما يكون إلى قيام الساعة، والناس مذهولون.

وصل الخبر إلى ابن زياد أنه: إن كان لك في الكوفة رغبة فاقطع لسانه، فإنّه سوف يفضحكم.

أرسل إليه فقُطع لسانه.

هذا رشيد الهجري صاحب علم المنايا والبلايا.[1]

---

(1) أنظر: روضة الواعظين: ٢٨٧؛ بحار الأنوار ٤٢: ١٣٧، و٤٥: ٩٢؛ شجرة طوبى ١: ٨١؛ مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٤٣.

كيف كان له هذا العلم؟ بمعرفة رمز للعلوم وهو اسم الله، هو رمز للعلوم، رمز لكل الوجود، به يُمشى على قُلل الماء كما يمشى به على جدد الأرض.

حج البيت:

الله يرزقكم حجّ بيته الحرام، في أوّل طواف تطوفون في البيت الحرام توجد أدعية لكل جدار من جدر الكعبة الأربعة.

أوّل ما تبدأ من الحجر الأسود تقول: «اللهم إنّي أسألك باسمك الذي يُمشى به على طَلَل الماء كما يُمشى به على جُدد الأرض، وأسألك باسمك الذي يهتزّ له عرشك».[١]

الحج أيضاً عجيب في جماله وفي روعته.

كنت في يوم من الأيام أثناء رمي الجمرات من مناسك الحج، ورمي الجمرات له سرّ وفلسفة، وهو أنّ ابراهيم عليه السلام هنا رأى ابليس عند الجمرة الأولى والثانية والثالثة، ففي كل مرّة كان إبراهيم يرى إبليس يرميه بسبع حصيات، ثمّ اختفى إبليس وانتهى، وهذه صارت سنّة بالنسبة لنا أن نرمي الجمرات التي تمثّل إبليس حتى نتعلّم رمي العدو الأكبر وهو الشيطان.

الزحام لا نظير له، الحرّ أشدّ الحر في الصيف، الناس قد جمعوا الحصى على اختلاف أصنافهم دكتور وفيلسوف وغني وفقير ومرجع ديني ومهندس وحمّال كلّهم سواء، كل واحد منهم يبحث عن الحصيات، على كل حال فبينا أنا في الطريق إلى الجمرات رأيت شاباً مصرياً مبتهجاً مسروراً يضحك وهو ذاهب إلى الجمرات، سألته: أنت كثيراً مسرور، قال: نعم، قلت له: ماذا يوجد هنا سوى الحر والأزدحام والوساخة، ولا يوجد منظر جميل ولا ماء ولا خضار، فما هذا الاستئناس؟

---

(1) الكافي ٤: ٤ - ٦/ باب الطواف واستلام الركن/ ح ١.

قال: وهل في الوجود أجمل من هذا الشيء!

هذا هو جمال الحج، جمال عجيب، ولهذا فإن الأعداء يمنعون الناس من الحج، وخاصّة الشباب لأنّه سوف يحدث لهم انقلاب وتحول روحي عجيب.

على كل حال فإن الأحاديث كما قلت لكم واسعة مطوّلة لكن لا بدّ أن نختصر.

قصة هشام بن الحكم:

عن يونس بن يعقوب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام فقال: إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أو من عندك؟

فقال: من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عندي.

فقال أبو عبد الله: فأنت إذا شريك رسول الله؟

قال: لا.

قال: فسمعت الوحي عن الله عز وجل يخبرك؟

قال: لا.

قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: لا.

فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إليّ فقال: يا يونس بن يعقوب هذا قد خصم نفسه قبل ان يتكلم ثمّ قال: يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته.

قال يونس: فيا لها من حسرة، فقلت: جعلت فداك انى سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأصحاب الكلام يقولون، هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنما قلت: فويل لهم ان تركوا ما اقول وذهبوا إلى ما يريدون. ثم قال لي: اخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلمين فادخله؟

قال: فأدخلت حمران بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الاحول وكان يحسن الكلام وادخلت هشام بن سالم وكان يحسن الكلام، وأدخلت قيس بن الماصر وكان عندي أحسنهم كلاما، وكان قد تعلم الكلام من عليّ بن الحسين عليهما السلام فلما استقر بنا المجلس ـ وكان أبو عبد الله عليه السلام قبل الحج يستقر أياما في جبل في طرف الحرم في فازة له مضروبة ـ قال: فأخرج أبو عبد الله رأسه من فازته فإذا هو ببعير يخب فقال: هشام ورب الكعبة.

قال: فظننا أن هشاما رجل من ولد عقيل كان شديد المحبة له.

قال: فورد هشام بن الحكم وهو أوّل ما اختطت لحيته وليس فينا إلاّ من هو أكبر سناً منه، قال: فوسع له أبو عبد الله عليه السلام وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه ويده، ثمّ قال: يا حمران كلم الرجل، فكلمه فظهر عليه حمران، ثمّ قال: يا طاقي كلمه فكلمه فظهر عليه الاحول، ثمّ قال: يا هشام بن سالم كلمه، فتعارفا، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام لقيس الماصر: كلمه فكلمه فأقبل أبو عبد الله عليه السلام يضحك من كلامهما مما قد أصاب الشامي.

فقال للشامي: كلم هذا الغلام ـ يعنى هشام بن الحكم ـ فقال: نعم.

فقال لهشام: يا غلام سلني في إمامة هذا.

فغضب هشام حتّى ارتعد ثمّ قال للشامي: يا هذا أربك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم؟

فقال الشامي: بل ربي انظر لخلقه.

قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟

قال: أقام لهم حجة ودليلا كيلا يتشتتوا أو يختلفوا، يتألفهم ويقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربهم.

قال: فمن هو؟

قال: رسول الله ﷺ.

قال هشام: فبعد رسول الله ﷺ؟

قال: الكتاب والسنة.

قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا؟

قال الشامي: نعم.

قال: فلم اختلفنا أنا وأنت وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا إياك؟

قال: فسكت الشامي.

فقال أبو عبد الله عليه السلام للشامي: ما لك لا تتكلم؟

قال الشامي: إن قلت: لم نختلف كذبت، وإن قلت: ان الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت، لأنهما يحتملان الوجوه وان قلت: قد اختلفنا وكل واحد منا يدعي الحقّ فلم ينفعنا إذن الكتاب والسنة إلاّ ان لي عليه هذه الحجة.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: سله تجده مليا.

فقال الشامي: يا هذا من انظر للخلق أربهم أو انفسهم؟

فقال هشام: ربهم أنظر لهم منهم لأنفسهم.

فقال الشامي: فهل أقام من يجمع لهم كلمتهم ويقيم أودهم ويخبرهم بحقهم من باطلهم؟ قال هشام: في وقت رسول الله ﷺ أو الساعة؟

قال الشامي: في وقت رسول الله ﷺ والساعة من؟

فقال هشام: هذا القاعد الذى تشد إليه الرحال، ويخبرنا باخبار السماء [والأرض] وراثة عن أب عن جد.

قال الشامي: فكيف لى ان اعلم ذلك؟

قال هشام: سله عما بدا لك.

قال الشامي: قطعت عذري فعلي السؤال.

فقال أبو عبد الله عليه السلام يا شامي: اخبرك كيف كان سفرك؟ وكيف كان طريقك؟ كان كذا وكذا.

فاقبل الشامي يقول: صدقت، اسلمت لله الساعة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: بل آمنت بالله الساعة، ان الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون.

فقال الشامي: صدقت فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وأنك وصى الأوصياء.[1]

والحمد لله رب العالمين

* * *

(1) أنظر نص الرواية في: الكافي ١: ١٧١؛ الإرشاد ٢: ١٩٥؛ الاحتجاج ٢: ١٢٢؛ ...

المحاضرة السادسة:

رؤية في القِيَم الأخلاقيّة

«ومنتهى الحلم، وأصول الكرم»

حديثنا في هذه المحاضرة عن الحلم في قوله: «ومنتهى الحلم» بمعنى أن أهل البيت عليهم السلام يمثلون أعلى مرتبة من مراتب الحلم.

الحلم والحليم:

ما هو الحلم؟ وكيف كان أهل البيت عليهم السلام منتهى الحلم؟

الحلم يفسره الإمام الحسن عليه السلام بأنّه: «كظم الغيظ وملك النفس»[1] أي كظم الغيظ عند الغضب.

يعتقد البعض بأنّ الحليم هو رقيق القلب، فالكثير من الناس يقول إن قلبي رقيق ويعتذر بذلك عن الجهاد والأمر بالمعروف والمواساة، الحليم هو الذي يملك نفسه عند وساوس الشيطان.

والحليم هو اسم من أسماء الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.[2]

الحسن والقبح:

هناك مسألة فلسفية أنقلكم إلى جانب منها:

طلبة الحوزة العلمية يدرسون بحث الحسن والقبح، ويقولون: إن اعتبار الظلم قبيح والعدل حسن هل هو مسألة عقلية أم شرعية؟ وكذلك حينما نقول: الصدق أمر حَسَن، والكذب أمر قبيح، هل المسألة عقلية أم شرعيّة.

لا شك أنّ الشرع يقول: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[3] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ

---

(1) تحف العقول: ٢٢٥؛ بحار الأنوار ٧٥: ١٠٢.

(2) البقرة: ٢٣٥.

(3) التوبة: ١١٩.

لِلْعَبِيدِ﴾[١] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[٢] فالشرع يعطي قِيماً أخلاقية، فهل كان ذلك خضوعاً للأمر العقلي، أم هو من إبداع الشرع؟

الحلال والحرام من القضايا التي لا يتدخل فيها العقل، فالشرع هو الذي يقول إنّ البيع حلال والربا حرام، ولو تركنا المسألة للعقول فمن الممكن أن تتردّد وتقول ليس في الربا ضرر، لكن لا يوجد عاقل يقول أنّ الكذب أو الظلم جيد مسيحياً كان أو اسلامياً، عربياً أو أعجمياً، لأنّها أمور عقلية، وهذه هي نظرية الحسن والقبح العقليين. ابن البادية يفهم أنّ الكذب عملية خيانة مع إنّه لم يدرس ولا يقرأ ولا يكتب، ويفهم أنّ السرقة خيانة والشريف لا يقبل بهذه الأعمال.

وهناك نظرية تقول: إنّ الحسن والقبح أمران شرعيان، أي العقل ليس له دخل، بل الشرع هو الذي يقول هذا حسن وهذا قبيح.

نظرية علماء الشيعة من أتباع أهل البيت عليهم السلام تقول: إنّ العقل يحكم قبل الشرع بهذه القيَم الأخلاقيّة، فحتى الطفل يعرف أن السرقة قبيحة والأذى قبيح وهكذا، حينئذ نعتقد بأنّ القيم الأخلاقية التي هي عبارة عن الكرم والصدق والعدالة يتصاعد فيها الإنسان بمقدار ما يكون عاقلاً متشرعاً لأنّها مدلول العقل والشرع، وحيث أن الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام هم سادات العقلاء والمتدينين والمتشرعين، فهم إذن منتهى الكرم والصدق والجود والحلم والاحسان.

رموز خمسة:

أوحى الله سبحانه لنبي من الأنبياء بأنّك إذا استيقظت صباحاً فعليك أن تأكل أوّل شيء تجده أمامك، وتدفن الشيء الثاني، والشيء الثالث اهرب منه، والشيء الرابع احفظه، ولا ترد الشيء الخامس.

---

(1) فصلت: ٤٦.

(2) النحل: ٩٠.

استيقظ هذا النبي وخرج من البيت صباحاً فرأى جبلا ماثلاً أمامه، فقال: لا بدّ أن أتوكل على الله لكي آكله، وبدأ يتقدم إليه.

اتجه النبي إلى الجبل وبدأ الجبل يتصاغر، وكلما كان يتقدم النبي يصغر الجبل، ولما وصل إليه أصبح بحجم اللقمة، فقال: الحمد لله يمكن ابتلاعها وإن كانت من حجر، مدَّ يده إلى الحجر ورفعه فتحوّل إلى قطعة حلوى لذيذة فأكلها.

كان هذا هو الامتحان الأوّل.

مشى وإذا به يرى طشتا مملوء ذهباً ولكنه مأمور بأن يدفنه، فقال في نفسه إنّ مسؤوليتي هي أن ادفنه، حفر الأرض ودفنه ومشى، ثم انتبه إلى الأرض قد أخرجته، فقال إنّي غير مسؤول ومكلف لدفنه مرة أخرى، كان هذا هو الامتحان الثاني.

ثم مضى ماشياً، وبينما هو يمشي رأى جيفةً ميتةً، فقال إني مأمور بأن أهرب منها فهرب منها، ومضى ماشياً. وكان هذا هو الامتحان الثالث.

وبينما هو يمشي رأى صقراً يتبعُ حمامة، فلم تجد مخبأ تلجأ إليه إلاّ هذا النبي فلجأت إليه، فحفظها بكمّه وقال إني مأمور بحفظها، وكان هذا هو الامتحان الرابع، ومضى ماشياً فأخذ الصقر يحوم حول النبي وهو يقول: يا نبي الله إنّ هذا الطير كان فريستي ولا أملك طعاماً سواه، فإمّا أن تعطيني إياه وإمّا أن تطعمني. وهنا لا يستطيع النبي أن يعطيه الطير لأنه مأمور بحفظه، ولا يستطيع أن يردّ الصقر لأنه مأمور بتلبية طلبه، فعمد في هذا الامتحان العسير إلى فخذه وقطع جزءاً منه وأعطاه للصقر، وكان هذا هو الامتحان الخامس.

فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: أتدري يا نبي الله ما هذه الأمور الخمسة؟

إنّها رموز، أما الرمز الأوّل وهو الجبل وقد كنت مأموراً أن تأكله فإنّه الغضب، وقد لاحظت أيها النبي كيف أن الحلم وهو كظم الغيظ وملك النفس يحوّل الجبل إلى قطعة حلوى.

أمّا الثاني وهو الطشت المملوء ذهباً فهو العمل الصالح، اعمل عملاً صالحاً ولا

تخبر به أحداً وادفنه واجعله سراً، والله قد أقسم بعزته وجلاله أن يظهر ذلك العمل الخير الذي يعمله الإنسان فعليك أن لا تكون مرائياً، وهذا بخلاف ما قد نتصور في أنّ عملنا يجب أن نقوله ونبيّنه ليعرفه الناس. الصحيح أنّ الله هو الذي يسخر كل الإعلام لك إذا عملت عملا صالحا لله تعالى. كنموذج لذلك: آية الله العظمى السيد السيستاني الذي يسكن في أزقة النجف دون إعلام وصحيفة ولا مكتب إعلامي ولا يتصل باذاعة، ولكنه عمل عملاً لله فسخّر له الإعلام العالمي.

وأمّا الرمز الثالث وهو الجيفة فهي إشارة إلى الغيبة، يجب أن تهرب منها كما تهرب من الجيفة الميتة.

وأمّا الرمز الرابع وهو الحمامة فهي إشارة إلى الأخ المؤمن ينتصر بك، فلا بدّ أن تنصره وتحفظه.

وأمّا الرمز الخامس وهو الصقر فهو إشارة إلى صاحب حاجة يسألك فلا ترده.[١]

كان محل الشاهد في هذه القصة هو الحلم، وكيف من خلاله يتحول الجبل إلى قطعة حلوى وتتحول العداوات إلى محبّة والشدائد إلى يُسر.

حلم إبراهيم عليه السلام:

نرجع إلى بحثنا.

لقد وصف القرآن الكريم إبراهيم عليه السلام بأنّه (أواه حليم) وهي صفة اختص بها هذا النبي، وهكذا يحيى حيث قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾.[٢]

لقد كان من حلم إبراهيم عليه السلام وكظمه للغيظ أن الملائكة حينما نزلوا لكي ينزلوا العذاب بقوم لوط التمس الله تعالى أن لا يعذبهم رغم كفرهم

(1) أنظر نص الرواية في: عيون أخبار الرضا ٢: ٢٤٩؛ الخصال: ٢٦٧؛ بحار الأنوار ١٤: ٤٥٧.

(2) الصافات: ١٠١.

وعدائهم للدين، ولذا قال عنه تعالى: ﴿يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾.[١]

وهكذا كان مع عمه آزر، حيث كان آزر غليظاً شديداً وقال لإبراهيم: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾[٢] **ومع ذلك فقد كان إبراهيم معه عطوفاً رقيقاً، حتى انّه كان يستغفر له ولا يقابله بالمثل.**

يقول بعض المفسرين: إنّ آزر كان عمه، لأنّ آباء الأنبياء مثال للطهر والنقاء، ولا يمكن أن يكون أبو النبي كافراً.

ويفسّر القرآن الكريم كيف أنّ إبراهيم كان يستغفر لآزر رغم أنه ممنوع على المؤمن أن يستغفر للكافر بقوله تعالى: ﴿وما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيّاهُ فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[٣] **فقد قال إبراهيم له: سوف أستغفر لك لأنك وعدتني بالإيمان.**

الجدال والاعتراض:

هل يصح أن يجادل النبي الله سبحانه كما كان يفعل إبراهيم؟

الجواب: هناك فرق بين الجدل مع الله وبين الاعتراض على الله، فالجدل جائز والاعتراض ممنوع ومحرم، ولا يمكن الاعتراض على قدر الله وقدرته، ولكن المجادلة والحوار المفتوح ممكن.

فمثلاً: لما عرج بنبينا ﷺ إلى السماء شرَّع الله سبحانه الصلاة خمسين صلاة في اليوم، فلما هبط رسول الله ﷺ التقى بموسى عليه السلام فسأله: بماذا كلفك ربك؟

قال: كلّف أمتي بخمسين صلاة.

---

(1) هود: ٧٤ و٧٥.

(2) مريم: ٤٦.

(3) التوبة: ١١٤.

قال له: ارجع إليه وقل انّ أمتي ضعيفة لا تقدر على ذلك، فرجع وطلب التخفيف عن أمته فخفف، وهكذا في المرة الثانية والثالثة حتى جعلها خمس صلوات وقال: هذه خمسة بخسمين،[1] أي نحن نصلي خمس صلوات وبرحمة الله سبحانه تصبح خمسين صلاة.

جدل آدم عليه السلام:

وقد جادل آدم عليه السلام الله سبحانه بقوله: «الهي سلّطت عليّ ابليس وأجريته مني مجرى الدم في العروق فقوّني عليه» إنّه عدو مسلح بكل الأسلحة، وقادر على النفوذ من كل الطرق، والعباد ضعفاء أمام هذا العدو.

فقال الله بعد هذا الجدل: «إني فتحت لك ولذريتك باب التوبة، من مات قبل موته بسنة غفرت له وإن ذلك كثير.

من تاب قبل موته بشهر غفرت له وإن ذلك كثير.

من تاب قبل موته بيوم غفرت له وإن ذلك كثير.

من تاب قبل موته بساعة غفرت له وإن ذاك كثير.

من تاب قبل أن يعاين الموت وتبلغ روحه ها هنا (أي بلغت الحلقوم) غفرت له».[٢]

جدل الملائكة:

وقد دخل الملائكة في جدل مع الله سبحانه لأنه قال لهم: ﴿إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾[٣] هذا حوار مفتوح يسمح به الدين وهو غير الاعتراض، فقد كان

(1) راجع بحار الأنوار ٣: ٣٢٠/ ح ١٧.
(2) راجع: بحار الأنوار ٦: ١٥، في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾.
(3) البقرة: ٣٠.

إبليس في صفوف الملائكة، فطلب الله منه أن يسجد لآدم فاعترض وقال: ﴿خَلَقْتَني مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ﴾،[1] **إنّ الاعتراض على التكليف الشرعي وعلى إرادة الله حرام، أمّا المناقشة والمجادلة فليس فيها شيء.**

حلم يوسف عليه السلام:

وكان يوسف عليه السلام غاية في الحلم رغم أنّ اخوته عزموا على قتله، وبعد أن صار ملك مصر جاء اخوته يطلبون متاعاً، فقال لهم: ﴿ائْتُوني بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنّي أُوفي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلينَ﴾[2] ﴿قالوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنَا يُوسُفُ وَهذا أَخي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنينَ﴾[3] **إنّها معانٍ عظيمة في هذه الآيات،** ﴿قالوا يا أَبانا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنّا كُنّا خاطِئينَ﴾.[4]

فقال لهم يوسف: ﴿لا تَثْريبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾.[5]

هذا حلم، فقد عزموا على قتله وعندما صار سلطاناً عفا عنهم.

كان الإمام علي عليه السلام غاية في الحلم عند ما ضربه ابن ملجم وألقي القبض عليه وأصبح أسيراً، فقد أوصى به بقوله: «أطعموا أسيركم واسقوه» هذا هو حلم أئمتنا الأطهار عليهم السلام إنهم في منتهى الحلم.

لقد كان إبراهيم عليه السلام صاحب هذا الامتياز وهو شيخ الأنبياء والإسلام ينتمي إليه.

هذا النبي تجد فيه الصبر والتضحية، وكان مهاجراً وعراقياً هاجر لأوّل مرة من قريته إلى أور ثم إلى فلسطين ومصر ومكّة المكرمة هو وزوجته

---

(1) الأعراف: ١٢.
(2) يوسف: ٥٩.
(3) يوسف: ٩٠.
(4) يوسف: ٩١.
(5) يوسف: ٩٢.

وذلـك لا بـلاغ كلمـة الله، وبنـى قواعـد البيـت مـع ابنـه إسـماعيل وأمـه هـاجر، وقـد تركهـا فـي وادٍ غيـر ذي زرع فـي مكـة حيـث لا بشـر ولا زرع ولا مـاء، فوضـع لديها تمراً ثم ودعهما، فقالت له: يا إبراهيم لمن تتركني؟

وكـان يجـر نفسـه منهـا وهـي تـركض وراءه، قـال: أتركـك لله، فقالـت: «إن الله لا يضيع أهله».

تقـول الروايـة: لمّـا كبـر إسـماعيل وتـزوج جـاء إبـراهيم إلـى مكـة ولـم يجـد إسماعيل وكان قد خرج للرعي فسأل زوجته: كيف حالك؟

قالت: في شدة.

قال: إذا جاء زوجك إسماعيل فاقرئيه السلام وقولي له: غيّر عتبة بابك.

رجـع إسـماعيل فأخبرتـه بقـول إبـراهيم، قـال لهـا: أنـت عتبـة داري، اذهبـي لأنك اشتكيت، ثم طلّقها وتزوج غيرها.

وجاء إبراهيم بعد عام وسأل زوجة إسماعيل الثانية عن إسماعيل وعيشه، قالت: نحن بخير وبركة، فأوصاها إذا جاء زوجك اقرئيه السلام وقولي له: اثبت عتبة بابك، وذهب، فلما رجع إسماعيل أخبرته بما قال إبراهيم فأبقاها عنده.(١)

وربمـا يسـأل أحـد عـن تفسـير هـذا الموقـف مـن إبـراهيم وإسـماعيل ولمـاذا هذه السرعة في طلاق الزوجة؟

والجـواب: ان الزوجـة التـي تسـتقبل الضـيوف بالشـكوى والتبـرّم لا تصـلح ان تكـون زوجـة لنبـي يسـتقبل النـاس، ويفـتح بيتـه وصـدره لهـم، ان الزوجـة يومئـذ هـي بمثابـة المـدير الخـاص لمكتـب النبـي عليه السلام ويجـب ان تكـون بمسـتوى عـالٍ من الأخلاق واستقبال الواردين.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(1) أنظر: بحار الأنوار ١٢: ١١٢/ ح ٣٨؛ تفسير مجمع البيان ١: ٣٨١؛ صحيح البخاري ٤: ١١٥.

المحاضرة السابعة:

سياسة أهل البيت عليهم السلام

«وقادة الأمم»

سنضع حديثنا هذه الليلة في ثلاثة بحوث ترتبط بقوله: «وقادة الأمم» والذي يشير إلى اختصاص موقع الإمامة بأهل البيت عليهم السلام.

البحث الأوّل: الإمامة هل هي ضرورة اجتماعية؟

وهذا بحث سياسي وعقائدي تناوله علماء الاجتماع والسياسة كما تناوله علماء العقيدة الإسلاميّة.

الإسلام _ وفق نظرية أهل البيت عليهم السلام _ له رأيه في هذا المجال، ويرى أن الإمامة ضرورة لا يمكن للمجتمع الإنساني الاستغناء عنها.

البحث الثاني: شروط الإمام وصفاته من العلم والعدالة والأخلاق، وعلى أساس توفر هذه الصفات كان أهل البيت هم الأولى بموقع الإمامة.

البحث الثالث: العالمية لموقع أهل البيت عليهم السلام، فإنّهم ليسوا قادة العرب فقط بل قادة الأمم، وهذا الحديث سيجرنا للحديث عن الأممية والعالمية والعولمة.

ما الفرق بين الإسلام والغرب، فكل منهما يدعو للعولمة أو العالمية؟

إن اختصاص موقع الإمامة العالمية لأهل البيت عليهم السلام جاء التأكيد عليه في أكثر من موضع من مواضع هذه الزيارة الجامعة كما في قوله: «السلام على الأئمة الدعاة والقادة الهداة».

وجاء في موضع آخر: «وشهداء على خلقه» أي مشرفون على خلقه، قال تعالى: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾.[1]

البحث الأوّل: ضرورة الإمامة والإمام:

فالمجتمع يحتاج إلى قائد سواء أكان إسلامياً أم غير إسلامي، فهل

---

(١) البقرة: ١٤٣.

يمكن أن يكون المجتمع بدون قائد وزعيم؟ لا يمكن ذلك. ولا توجد دولة ليس فيها وزير أو رئيس أو ملك، فالمجتمع يحتاج إلى مدير ومدبر وإلى إمام حسب المصطلح الإسلامي، ولكن هناك طائفتان تعتقدان بعدم حاجة المجتمع إلى ذلك وهم: الخوارج والشيوعيون.

قال الخوارج حينما خرجوا على أمير المؤمنين عليه السلام ودعوا إلى التخلص من الحاكم الإسلامي، قالوا: إنّ الحاكم هو الله، وإن الحُكم لله ولا حاجة إلى زعيم ديني وسياسي، والأمة قادرة على تدبير أمورها بدون ذلك الزعيم.

هكذا تقول الفلسفة الماركسية أيضاً: إذا تطور المجتمع ستدار الشؤون الاجتماعية إدارة ذاتية في المجتمع الذي تقوده الطبقة العمالية ويُقضى فيه على الطبقة البرجوازيّة.

لا تبقى أنانية ولا سرقة ولا خيانة ولا غش، فلا حاجة إلى وزير ولا قضاء ولا رئيس جمهورية.

ولكن هذه فرضية غير واقعية؛ فحتى إذا تحول المجتمع إلى مجتمع ملائكي فإنّه يحتاج إلى مدير لكي يخطط وينظم، فلا بدّ من قرار نهائي وهذا هو عمل المدير والرئيس، وهذه هي نظرية الإسلام.

المجتمع في الإسلام يحتاج إلى إمام، قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[2] **إنّها سُنَّة إلهية، وعالم البشر بحاجة إلى إمام كسنّة الزوجية فإنّ الجميع يشتركون فيها، انّ الإمامة والقيادة سنَّة عامة تمنع الفوضى، وهي سنّة كونية حتى في غير المجتمع الإنساني، فالشمس هي**

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) الرعد: ٧.

بمثابة الإمام للأرض فإنّها تدور حولها، وهكذا الكواكب في الكون فانّها تتحرك في مسارات ثابتة وبصورة منتظمة.

إن قضية القيادة موجودة في عالم الحيوانات أيضاً، حيث تلاحظ في مشهد الطيور وهي تقاد من قبل احداها في مثلث هندسي رائع، فسبحان الذي خلقها وعلّمها، وهكذا الأمر في النمل والنحل وغيرها.

المجتمع يحتاج إلى أمير، وهنا قال أمير المؤمنين في مناقشة الخوارج: «نعم إن الحكم لله، ولكن لا بدّ للناس من أمير» هذه الظاهرة مطلوبة في كل تجمع مهما كان صغيراً، وبدون ذلك تكون الفوضى والاضطراب.

البحث الثاني: شروط القائد:

لقد وضعت النظرية الإسلاميّة مجموعةً شروط ومواصفات للإمام القائد، ويمكن إجمال تلك الشروط بما يأتي:

١ _ معرفة القانون والتشريع الإسلامي بشكل كامل والإحاطة بالإسلام، وهذا هو المعبّر عنه بـ (الفقاهة والاجتهاد)، إنّ العرف الدولي اليوم يستوجب أن يكون رئيس الجمهورية عارفاً بقانون الدولة بدرجة عالية، وإنّ قانوننا هو الإسلام ولذلك يشترط في إمام المسلمين أن يعرف قانون الإسلام بدرجة عالية، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدى﴾.[1]

هل يمكن لمن يريد أن يهدي الناس للطريق الصحيح أن لا يعرف الطريق؟ فلا بدّ إذن من المعرفة والفقاهة، ويجب أن يكون الإمام بمستوى متقدم جداً من العلم بالشريعة.

٢ _ الالتزام بالقانون، وهذا هو ما يصطلح عليه العدالة، أي يجب أن

(١) يونس: ٣٥.

يكون الإمام عادلاً، ولا يخالف القانون، وهذه قضية فطرية تؤمن بها كل الشرائع والأعراف الدوليّة.

٣ _ الأخلاقية العالية، فلابد أن يكون الإمام قدوة وأسوة حسنة للناس، فمن صفات الأنبياء كما يذكر القرآن الكريم: ﴿صادِقَ الْوَعْدِ﴾ **(مريم: ٥٤)** ﴿وَبَرًّا بِوالِدَتِي﴾ **(مريم: ٣٢)** ﴿وَبَرًّا بِوالِدَيْهِ﴾ **(مريم: ١٤) ومن صفات عباد الرحمن:** ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾ **(الفرقان: ٦٣) ومن صفاتهم:** ﴿إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾ **(الفرقان: ٦٣)** ﴿وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً﴾ **(الفرقان: ٦٧) أنّهم غير مبذّرين وليسوا بخلاء قال الله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ **(الفرقان: ٦٨) هذا هو الإسلام.**

دين الإنسانية:

جاء نصراني إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال: انّي نصراني ودخلت في الإسلام.

فقال عليه السلام: ما الذي رأيت في الإسلام؟

قال: قوله تعالى: ﴿وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ﴾[1] **فقال عليه السلام ثلاثاً: اللهم اهدِه، ثم قال: هل عندك سؤال؟**

قال: المشكلة إني مسلم وأبي وأمي وإخواني نصارى، فهل أستطيع أن آكل معهم؟

قال عليه السلام: هل يأكلون الخنزير؟ قال: لا، قال عليه السلام: كُلْ معهم، وإذا رجعت إلى أمك فقربها وكن باراً بها، وإذا ماتت تولَ أمرها ولا تدع غيرك يتولّى ذلك.

رجع الشاب من الحج إلى أهله في الكوفة، وأخذ يخدم أمه خدمة عظيمة، فتعجبت وقالت: أراك تصنع بي من الأخلاق ما لم تكن تصنعه؟! هل أصبحت مسلماً؟

قال: إنّ شخصاً دعاني إلى أن أكون بارّاً بك.

قالت: هو نبي؟

---

(١) الشورى: ٥٢.

قال: لا هو ابن نبي.

قالت: يا بني، نعم ما أوصاك به، أعرض عليّ دينك.

قال: تشهدين أن «أن لا إله الاّ الله، وأن محمداً رسول الله» ثم علّمها الصلاة، فأسلمت وصلت الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فلما صار الليل مرضت، فقالت: أعد عليّ ما علّمك به الصادق عليه السلام، فعلّمها وتشهدت وماتت، ولما ماتت حضرها المسلمون وتولّوا أمرها.(١)

إسلام اللاعب السويدي:

كنت في السويد في أحد المواسم الدينيّة، فأخبرني العراقيون هناك أن لاعباً سويدياً شهيراً قد دخل الإسلام وأعلن عن ذلك، مما يعني أنّ جيلاً من الشباب سيدخلون الإسلام، وقد أجروا معه ثلاثة لقاءات صحفية، ولما سُئل عن سبب إسلامه قال: مرضت بالأنفلونزا الشديدة، وكدت أموت، وقد تركني الجميع ولم يبق معي أحد، وبقيت وحدي ولم يصلني إلاّ شاب تركي، وهو لاعب مسلم في نفس الفريق الرياضي، وكان يزورني يومياً ويخدمني، فقلت له: إنّك تصنع بي من الأخلاق ما لم يصنعه أقرب الناس.

فقال: الإسلام علّمني المحبة والحنان والرحمة والإنسانية بأعلى درجاتها.

قلت: أتسمح لي أن أكون مسلماً؟

قال: نعم.

قلت: كيف؟

قال: انطق الشهادتين فتصبح مسلماً.

إنّ سوء الأخلاق مع الوالدين والجيران هو خلل في الدين. والأخلاق والعدالة

---

(١) أنظر: الكافي ٢: ١٦٠؛ نتائج الأفكار: ٩٠؛ مستدرك الوسائل ١٥: ٢١١.

والقدوة الحسنة هي مطلوبة من الجميع، وتكون مؤكدة لدى الإمام في الإسلام، وعلى هذا الأساس قال الحسين عليه السلام حينما دُعي إلى بيعة يزيد: «ومثلي لا يبايع مثله» فإمام المسلمين يجب أن يكون قدوة حسنة، وفي درجة عالية من النبل.

كان الإمام الحسين عليه السلام في الدرجة الأولى من الكمال، وكان يزيد في الدرجة الأولى من السقوط.

الزيارة الجامعة تحتوي على هذه الشروط حينما تقول: «وخزّان العلم ومنتهى الحلم، وأصول الكرم وقادة الأمم» حيث جمعت في سطرين كل الشروط التي جعلت الأئمّة قادة الأمم. صاروا كذلك لأنّهم قمة في العلم والأخلاق والالتزام بالقيم الإسلامية.

نقول في الزيارة: «بأبي أنتم وأمي ونفسي كيف أصف حسن ثنائكم وأحصي جميل بلائكم، وبكم أخرجنا الله من الذل وفرّج عنا غمرات الكروب وأنقذنا بكم من شفا جرف الهلكات ومن النار» «وصيتكم التقوى، وفعلكم الخير، وعادتكم الإحسان، وسجيتكم الكرم».

البحث الثالث: العالمية الإسلامية:

حينما تقول الزيارة: «وقادة الأمم» فذاك يعني القيادة العالمية دون الاختصاص بأمة دون أخرى.

كان من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله بلال من الحبشة، وأبو ذر من غفار، وصهيب من الروم، وسلمان من فارس، وكلهم دخلوا الإسلام.

ورد في الحديث النبوي الشريف: «لا فضل لعربي على عجمي إلاّ بالتقوى».(١)

واليوم تجدون عند الحج في المسجد الحرام مختلف القوميات، هذه

(١) تحف العقول: ٣٤؛ بحار الأنوار ٣١: ٣٥.

هي عالمية الإسلام، والغرب اليوم يطرح العالمية حينما عرف أنّ الإسلام قوي بعالميته، فطرح العولمة تنافساً مع الإسلام.

ما هو الفرق بينهما؟

الفرق بين الإسلام والغرب هو أن العالمية تعني إخضاع البشر لفكر واحد وقيادة سياسية واحدة.

تقول الولايات المتحدة: لقد بلغت منتهى الحضارة فيجب أن تكون القيادة العالمية لي، ولذا تعطي وصاياها اليوم إلى الدول العربية في قضية الديمقراطية وغيرها.

أمّا الإسلام فهو يدعو إلى الخضوع للشريعة الإلهية وليس على أساس الاستعمار، والإخضاع إلى قومية من القوميات هو استعمار، أمّا الإخضاع لقيادة إلهية وليست قيادة قومية تحريفية فهو عالمية إنسانية وليس استعماريّة.

والحمد لله رب العالمين

* * *

المحاضرة الثامنة:

النعمة الإلهية الكبرى

«وأولياء النعم»

حديثنا هذه الليلة عن هذه الجملة من الزيارة وهي قوله عليه السلام: «وأولياء النعم»، حيث تحدثنا في المحاضرة السابقة عن معنى: «وقادة الأمم»، وحديثنا هذا اليوم عن قوله: «وأولياء النعم».

ما معنى أولياء النعم؟

«أولياء النعم» في المصطلح اللغوي له معنى، وفي المصطلح الفقهي له معنى آخر، هذه الزيارة تتحدث عن المعنى اللغوي وليس عن المصطلح الفقهي.

في المصطلح الفقهي في باب المواريث يقال أن الانسان إذا مات يرثه أبوه، ابنه، أخوه، خاله، عمه، حسب طبقات الورثة، ولكن إذا لم يكن له أي وارث، ليس لديه أب ولا أم ولا أخ ولا عم ولا خال، هناك يقال يرثه ولي نعمته، المقصود في هذا الاصطلاح الفقهي (ولي النعمة) هو المولى إذا كان هذا الانسان الميت هو عبد من العبيد، يومئذ العبيد يُشترون ويُباعون من خلال الحروب التي كانت تحدث بين المسلمين وبين الكافرين، إذا اشترى المسلم عبداً كافراً ثم اعتقه وقال له أنت حر لوجه الله، هذا المسلم بالمصطلح الفقهي يسمّونه (ولي النعمة) يعني هو متفضّل على هذا العبد أن جعله بعد العبودية حراً، هنا يقال في باب الميراث أنه إذا مات هذا العبد ولم يكن لديه أب أو ابن أو عم وما شاكل ذلك من طبقات الميراث فإن الذي يرثه هو ولي نعمته، يعني أن الاسلام وجزاءاً ومكافأة لذاك المسلم الذي اعتق هذا العبد يقول له أنت ترث أموال هذا العبد ويكون بمثابة أبيه، هذا يسمونه ولي النعمة في المصطلح الفقهي.

لكن حديثنا هنا في الزيارة الجامعة الكبيرة عن المصطلح اللغوي، حين نصف أهل البيت عليهم السلام بأنهم قادة الأمم وأولياء النعم.

أولياء النعم بالمعنى اللغوي يعني أنهم عليهم السلام أصحاب النعمة علينا، فكأنك قلت في الزيارة: «السلام عليكم يا أصحاب النعمة علينا» هذا معنى أولياء النعم.

وحينئذٍ هنا مجموعة بحوث:

البحث الأول: عن معنى الولاية.

البحث الثاني: في معرفة ما هي النعمة؟

البحث الأوّل: معنى الولاية:

وهذا بحث توحيدي مهم، حيث نعتقد أن الولاية هي لله تبارك وتعالى، وأن التوحيد لا يسمح باعطاء الولاية ونسبتها لغير الله تعالى، فكيف نصف أهل البيت عليهم السلام بأنهم أولياء؟ الحقيقة أن هناك فهم عميق للتوحيد، وهناك فهم سطحي ساذج متحجّر للتوحيد.

الفهم المتحجّر الساذج للتوحيد يقول: إنك لو قبّلت القرآن فإنك مشرك، أو قبّلت ضريح إمام من الأئمة يقال هذا شرك، الحقيقة هذا فهم ساذج للتوحيد، أما الإسلام فإنه يعطي معنى عظيماً وواسعاً للتوحيد، كيف؟

نحن نعتقد أن الله تعالى هو ولي المؤمنين ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾[2] فلو سألك سائل: من هو مولاك؟

تقول: الله مولاي، لكن اذا قلت: رسول الله أيضاً مولاي، والإمام عليّ أيضاً مولاي، فإن ذلك ممكن وصحيح، وليس شركاً كما يقول الوهابيون.

الإسلام وفق مذهب أهل البيت عليهم السلام يقول هناك ولاية مصدريّة وهي

(1) البقرة: ٢٥٧.

(2) آل عمران: ١٥٠.

لله تعالى، وهناك ولاية امتدادية، يعني الله تعالى هو الولي المطلق، وهو الولي الأوّل والآخر، وهو مصدر الولاية ومصدر القدرة والعطاء ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لكن في نفس الوقت هناك ولاية وحقوق امتدادية، تمتد من ولاية الله تعالى إلى ولاية رسول الله ﷺ، ومن رسول الله امتدت الولاية للأئمة الأطهار عليهم السلام.

في الشرع الإسلامي الولاية امتدت الى الأب والجد، وإلى الفقيه المجتهد، ولهذا فإن القرآن الكريم من ناحية يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] ومن ناحية يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[2] عجباً هل هذا شرك؟، طبعاً لا.

ولاية الله تعالى هي الأصل، وهي الأولى والمصدر لكل ولاية أخرى، ولهذا يمكن أن نسميها الولاية الابتدائية الأزلية الأبدية، لكن يوجد ولايات امتدادية فرعيّة، الولاية بمعنى حق الطاعة بمعنى الإمامة، فنحن حينما نقول: الله ولينا ذلك صحيح، ورسول الله ولينا أيضاً وهذا صحيح، وليس شركاً، لأن هذه الولاية الثانية هي امتداد للولاية الأولى، ولهذا القرآن نفسه يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

القرآن نفسه يقول ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[3] لا توجد مشكلة، هذه الولاية نسميها ولاية امتدادية.

الأب هو ولي أمر الطفل.

مدير المدرسة هو ولي أمر الطالب.

هل هذا يعني شركاً؟ طبعاً لا، إذن من الناحية التوحيدية ومن الناحية العقائدية حينما يكون الله تعالى هو ولي المؤمنين، هذا لا ينافي ان المؤمنين

---

(1) آل عمران: ٦٨.

(2) المائدة: ٥٥.

(3) التوبة: ٧١.

لهم ولي امتدادي مأخوذة ولايته من الله تعالى وهم الأنبياء والأوصياء، ولهذا كان الأئمة عليهم السلام هم أولياء النعم.

هذا هو البحث الأوّل.

البحث الثاني: ما هي النعمة؟

أما البحث الثاني: في معرفة ما هي النعمة التي كان أهل البيت عليهم السلام أولياءها.

إن مصدر كل نعمة هو الله ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾،[1] لكن إذا قلت في يوم من الأيام لأحد من أصدقائك كان قد تفضّل عليك بهدية أو أوصلك الى بيتك مجاناً، أو بنى لك بيتك، لو قلت له: أنت متفضّل عليّ وأن لك عليّ فضل كبير، هذا ماذا يعني؟

لا يقول قائل: إن الفضل هو كله لله ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[2] هذا صحيح، ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ لكن فضل الآخرين هو أيضاً من الله تبارك وتعالى.

يعني الأب حينما يربّي ابنه، هذا فضل للأب على الابن، إذا قلت لأبيك يا أبي أنت تفضّلت عليّ كثيراً، فليس هذا شرك لأن هذا ليس تفضلاً ابتدائياً، بل هذا فضل من الله تعالى، إذا كان الأب عنده أموالاً فهي من الله، وعنده عافية وقدرة وتربية فهي من الله تعالى، صاحب الفضل المطلق هو الله تعالى، لكن هنا فضل فرعي، المدرس عنده فضل فرعي والمدير عنده فضل فرعي، والذي يعلّمك كلمة حسنة أيضاً له فضل عليك، هذا هو الفهم العميق للفضل والنعمة ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ لكن في نفس الوقت النبي له نعمة علينا، والإمام له نعمة علينا، والأب له نعمة علينا، بدليل صريح القرآن الكريم حين يقول مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ

(1) النحل: ٥٣.

(2) البقرة: ١٠٥؛ آل عمران: ٧٤؛ الأنفال: ٢٩؛ الحديد: ٢١ و٢٩؛ الجمعة: ٤.

عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾[1] سوف أحدثكم عن قصة هذه الآية، لكن أين محل الشاهد، محل الشاهد أن القرآن الكريم أعتبر أن الله له نعمة على الإنسان، ورسول الله له نعمة، قال: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ وأنت يا رسول الله أيضاً «أنعمت عليهم» اذن هاتان نعمتان نعمة من الله على هذا الإنسان، ونعمة من رسول الله، هذا ليس شركاً.

قصة زيد بن حارثة:

قصة هذه الآية أنها نزلت في زيد بن حارثة وزوجته زينب بنت جحش، هذه زوجة زيد هي بنت عمة النبي ﷺ على الروايات التاريخية، وكان رسول الله ﷺ قد خطبها الى زيد بن حارثة فتزوجها، لكن مرت الأيام وأصبح هناك سوء علاقة بين زيد بن حارثة وزينب زوجته لسبب من الأسباب.

جاء زيد بن حارثة إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أريد أن أطلق زوجتي.

قال له رسول الله ﷺ: «أتّقِ الله أمسك عليك زوجك»، يعني اصبر لا تسرع بالطلاق، هذا جانب من القصة.

لكن في جانب آخر من القصة أن الله تبارك وتعالى كان قد أوحى الى نبيه ﷺ أنك في يوم من الأيام سوف تتزوج هذه المرأة، وأن زينب بنت جحش من النساء اللاتي سوف يحشرن معك في الجنة، وكان الله تبارك وتعالى قد أعطى أسماءهن للنبي، منهنّ خديجة بنت خوليد، وأم سلمة، وكان أحد الأسماء زينب بنت جحش، وكان ذلك أمراً عجيباً عند رسول الله ﷺ، لأن زينب هذه هي زوجة زيد بن حارثة، فكيف يقول جبرائيل أنها من زوجاتك في الجنة.

بعد مدة جاء زيد بن حارثة يقول: يا رسول الله أنا أريد أن أطلقها، وكان رسول

---

(1) الأحزاب: ٣٧.

الله يعلم وبوحي من الله تعالى أنه سوف يطلقها زيد، وسوف تصبح بعد ذلك زوجة رسول الله ﷺ، لكن الأصول الأخلاقية والشرعية لا تسمح لرسول الله ﷺ أن يشجّع زيداً على طلاق زوجته، لذا قال له: «أمسك عليك زوجك واتق الله» هنا القرآن يخاطب رسول الله يقول: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أنت يا رسول الله هذه القضية تخفيها، لكن الله تعالى في يوم من الأيام سوف يظهرها.

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾[1] تخشى من الناس أن ينتقدوك اذا تزوجت زوجة زيد بن حارثة، لكن عليك أن لا تخشى من الناس، فالقضية شرعية قد أحلّها الله تعالى، والله أحق بأن تخشاه وتخضع لشريعته.

هنا سوف أوضّح لكم التفاتة أخرى في التشريع الاسلامي، هذا زيد بن حارثة كان ابن رسول الله بالادعاء، حيث يوجد ابن حقيقي ويوجد ابن ادعائي، يومئذ كان هناك شخص ليس لديه ابن وآخر عنده الكثير من الأولاد يقول اعطني أحد أولادك أربّيه، الآن أيضاً في بعض البلاد تذهب إلى دار الأيتام وتريد أن تتقرب إلى الله تبارك وتعالى تقول هذا يتيم بدل أن يكون في دار الأيتام فلآخذه وأربيه، أو ابن شهيد من الشهداء تأخذه وتربيه، هذا ليس ابناً حقيقياً، هذا نسميه ابناً بالادعاء ويسمونه (تبنّي) يعني تجعله ابناً لك بالادعاء وليس ابناً حقيقياً.

زيد بن حارثة كان ابناً لرسول الله بالادعاء، وكان من أوائل الذين اسلموا، حيث كان أولهم عليّ عليه السلام، والثاني زيد بن حارثة، فهو كان متربياً في بيت رسول الله، فلما هبط الوحي كان أوّل من أسلم عليّ عليه السلام وبعده زيد بن حارثة وكانوا يصلون ثلاثة خلف رسول الله (عليّ وزيد بن حارثة وخديجة بنت خويلد) باعتبار أن زيد بن حارثة هو ابن رسول الله بالادعاء والتبني، هنا لدينا حكم شرعي وهو أن الأب لا يجوز له أن يتزوج زوجة ابنه الحقيقي، هذا الحكم الشرعي هل يسري على الابن بالادعاء أم لا؟

---

(1) الأحزاب: ٣٧.

قريش كانت تقول أن الابن الادعائي هو ابنك لا يجوز أن تتزوج زوجته إذا مات أو إذا طلقها، لكن الإسلام قال إن الابن الحقيقي لا يجوز للأب أن يتزوج زوجته إذا طلقها، أما الابن الادعائي إذا طلّق زوجته فإنه يجوز للأب أن يتزوج منها مثل حالة زيد بن حارثة، فزيد ليس ابناً حقيقياً لرسول الله، فلمّا طلقها جاءت المسألة الشرعية أن رسول الله من حقه أن يتزوج هذه المرأة أو ليس من حقه؟ قريش والعرف التقليدي يومئذ لا يسمح بذلك، لكن الإسلام يقول يجوز لأن هذه في الحقيقة ليست زوجة ابن حقيقي بل هي زوجة ابن غريب، زيد بن حارثة غريب عن رسول الله ﷺ، هنا نزل قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ إلى أن يقول ﴿ لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾[1] الإسلام أراد أن يعطينا تشريعاً، والنبي ﷺ كان يطبّق هذا التشريع حتى يكون سُنة للآخرين، هذا التشريع ممكن أن يكون النبي غير محتاج له لكنه يريد أن يكسر الطوق التقليدي.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ هذه هي قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش.

لكن بعض الروايات الكاذبة المفتعلة تتهم رسول الله ﷺ باتهامات نحن لا نقبلها بحق شريف من الشرفاء فكيف نقبلها بحق النبي ﷺ. لقد اتهموا النبي ﷺ بأنه عشقها وأحبها وبعد ذلك شجّع زيداً على طلاقها.

هذه في الحقيقة أكاذيب واسرائيليات باطلة لكن الامام الصادق عليه السلام يشرح قصة نزول هذه الآية بالشكل الذي ذكرته.[2]

(1) الأحزاب: ٣٧.

(2) أنظر: بحار الأنوار ٢٢: ١٧٧؛ التبيان ٨: ٣٤٣.

زواج في السماء:

ثم يذكر الإمام عليه السلام أنه يوجد ثلاث نساء في التاريخ كان الله تعالى قد تولى زواجهنّ في السماء.

أوّلاً: زوّج حواء من آدم.

وثانياً: زينب بنت جحش من رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث يقول تعالى ﴿فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها﴾.

الثالثة: فاطمة الزهراء عليها السلام من عليّ عليه السلام.

طبعاً حينما يسأل السائل ويقول أنتم الشيعة تدعون أن الله زوّج فاطمة من علي بالسماء هذه القضايا خيالية، لا، ليس كذلك، القرآن الكريم صريح، حيث أن الله تبارك وتعالى يقول لنبيه في زواج زينب بنت جحش «زوجناكها» فما هي المشكلة في أن الله تعالى يزوّج فاطمة من علي في عالم السماء، يعني أن القرار أُتخذ هناك، طبعاً حينما نقول أن زواجهم في السماء يعني القرار، قرار زواج حواء من آدم، ورسول الله من زينب بنت جحش، وقرار زواج فاطمة من علي أيضاً هذا قرار إلهي خارج عن اختيارات الإنسان.

محل الشاهد في هذه القصة هي أن القرآن الكريم يقول أن الله هو المنعم على الناس، لكن لا توجد مشكلة في أن تقول أن المعلم له نعمة عليَّ، وأبي في البيت ربّاني وله نعمة عليّ، هذا لا يتنافى مع قوله تعالى ﴿وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ تلك نعمة كبرى أولى ابتدائية، وهذه نعمة فرعية وهي ترجع الى الله تبارك وتعالى، إذن أئمتنا عليهم السلام هم أولياء النعم، كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله له نعمة في هذه القصة، أئمتنا أيضاً لهم نعمة، هذا كله في البحث الأول التوحيدي العقائدي.

ننتقل إلى البحث الثاني.

البحث الثاني: ما هي النعمة؟

حينما نقول «وقادة الأمم وأولياء النعم»، أي نعمة لأهل البيت عليهم السلام علينا؟

ربما يسأل أحد ويقول: ما هي النعمة للإمام الحسين عليه السلام؟ ما هي نعمة الامام الصادق عليك؟ هل رأيت الإمام الصادق، وهل رأيت الإمام الحسين؟ كلا لم تره، إذن كيف تقول: «أولياء النعم»؟ ما هي هذه النعمة؟

القرآن الكريم يشرح لنا ما هي النعمة الكبرى.

نعمة الهداية:

هناك نعمة مادية: الطعام، الشراب، الملابس، الأموال، هذه كلها نعم من الله تعالى، لكن هناك نعمة كبرى، هي الأصل وهي الأهم وهي النعمة الحقيقية، النعمة الحقيقية هي شيء آخر، النعمة الكبرى نقرؤها في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾[1] **ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم الغدير للناس، هل أعطاهم راتباً أم وليمة أم أعطاهم غنائم، حينما جمعهم في حر الظهيرة بحيث كان يتقي الناس من الشمس بدوابهم، بأمر الله تبارك وتعالى، حينما نزل قوله تعالى:** ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.[2]

قصة الغدير:

كان ذلك في السنة العاشرة للهجرة، آخر سنة لرسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن انتهى من حجة الوداع، لما عاد وتفرّق الناس وهم يزيدون على مائة ألف، بعد أن تفرّقوا في الأحياء وتباعدوا نزل قوله تعالى ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما

---

(1) المائدة: ٣.

(2) المائدة: ٦٧.

بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فنادى المنادي أن يا أيها الناس ارجعوا فإن رسول الله لديه بيان واعلان مهم ختامي لمسيرة الحج، ارجعوا.

فعاد الناس وجمع لرسول الله ﷺ سروج قُمِمْنَ، يعني لا يوجد منبر ولا يوجد جبل يصعد عليه، جمعت سروج الخيل فوق بعضها، (قممن: يعني جمعن) رتّبوا منبراً للنبي ﷺ. فدعا رسول الله علياً: يا علي ادنُ مني، والملأ محتشدون، ١٠٠ ألف محتشدون بالرواية المتواترة الثابتة عند الشيعة والسنة.

علي واقف الى جانب رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ صعد يخطب: «أيها الناس أوشك أن ادعى فأجيب» يمكن بعد أيام أو أسابيع أو شهور الله تعالى يدعوني ويأخذ أمانته فأجيبه «وإني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»، وقال ﷺ: «ألست أولى بكم من أنفسكم» أنا سيدكم ومولاكم قالوا: بلى يا رسول الله.

فأخذ بيد عليّ عليه السلام ورفعها حتى بان بياض أبطيهما، وقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه» لم يكتف بهذا رسول الله، أمر أن تنصب خيمتان، لاحظوا المراسيم الرئاسية، هذه مراسيم غير عادية، نصبت خيمة لرسول الله ﷺ ونصبت خيمة لعليّ، لا توجد أي خيمة ثالثة، يا علي أجلس في الخيمة الثانية، أيها المسلمون، يأمر حتى النساء وهذه من القضايا الملفتة للنظر، أمر رسول الله الرجال أن يسلّموا ويبايعوا علياً بأمرة المؤمنين، وأمر النساء أن يدخلوا على علي تلك الخيمة، فسلم يومئذ جميع المسلمين (السلام عليك يا أمير المؤمنين) حينئذ نزل قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ هذا حديث آخر، يعني أن الإسلام بدون ولاية عليّ لا يقبله الله تعالى، صريح القرآن يقول اليوم رضيت لكم الاسلام ديناً، أما اسلام بدون ولاية فلا أرضى.[1]

---

(1) أنظر قصة الغدير في: بحار الأنوار ٣٧: ١٣٨؛ مستدرك الحاكم ٣: ١٠٩؛ ...

يعنـي الإسـلام بـدون هـذا اليـوم وهـذه الولايـة مجـرد عـن عمقـه وعـن جـوهره وعـن الولايـة الحقيقيـة، ذاك الاسـلام اسـلام قشـور، إذا نبقـى مـع هـذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾.

مـا هـي النعمـة؟ هـل رسـول الله أعطـاهم طعامـاً أو أمـوالاً، كـلا، إنمـا أعطـاهم ولايـة فقـط، إذن النعمـة فـي القـرآن الكـريم هـي غيـر النعمـة الماديـة، هـي نعمة الإيمان والهداية والولاية.

النعمة على عيسى عليه السلام:

نقـرأ هـذا الأمـر فـي آيـة أخـرى مـع عيسـى عليه السلام، لاحظـوا قولـه تعـالى: ﴿يـا عِيسَـى ابْـنَ مَـرْيَمَ اذْكُـرْ نِعْمَتِـي عَلَيْـكَ﴾(1) **الآن أسـأل القـرآن الكـريم، أيهـا القـرآن مـا هـي النعمـة التـي أعطاهـا الله تعـالى لعيسـى حتـى يقـول أذكـر نعمتـي عليـك؟ هـل أعطاه قصوراً أو أولاداً أو أموالاً؟**

القـرآن هـو يجيـب: ﴿يـا عِيسَـى ابْـنَ مَـرْيَمَ اذْكُـرْ نِعْمَتِـي عَلَيْـكَ وَعَلـى والِـدَتِكَ إِذْ أَيَّـدْتُكَ بِـرُوحِ الْقُـدُسِ تُكَلِّـمُ النَّـاسَ فِـي الْمَهْـدِ وَكَهْـلاً وَإِذْ عَلَّمْتُـكَ الْكِتـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَالتَّـوْراةَ وَالإِنجِيـلَ﴾ **إذن النعمـة علـى عيسـى عليه السلام هـي نعمـة الهدايـة والولايـة، وهـي نعمـة الإيمان والاصطفاء وإنزال الكتاب وتعليم التوراة والإنجيل، هذه هي النعمة.**

فرعون أيضاً كان لديه نعمة كبيرة، قصور وأموال.

قـارون كـان عنـده قصـور وأمـوال ﴿مـا إِنَّ مَفاتِحَـهُ لَتَنُـوأُ بِالْعُصْـبَةِ أُولِـي الْقُـوَّةِ﴾(٢) **العصـبة يعنـي العصـابة الكثيـرة مـن اثنـي عشـر أصـحاب قـوة لا يسـتطيعون أن يحملـوا مفـاتيح كنـوز قـارون، مـع ذلـك القـرآن الكـريم لـم يعبّـر عنهـا بأنهـا نعمـة، وإنمـا يـأتي إلـى عيسـى ابـن مـريم الـذي لا يملـك شـيئاً يقـول:** ﴿اذْكُـرْ نِعْمَتِـي عَلَيْـكَ

---

(1) المائدة: ١١٠.

(2) القصص: ٣٩٤.

وَعَلى والِدَتِكَ﴾ **تلك نعمة أن الله تعالى يجعل انساناً نبياً، يجعله عالماً أو مصلياً وصائماً هذه نعمة عظيمة** ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ﴾ **(الأعراف: ٤٣) هذه نعمة.**

﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ **(الحمد: ٧) من هم الذين أنعمت عليهم؟ هل هم أهل أوروبا وأهل أمريكا والدول الثرية في العالم في سويسرا وألمانيا؟** ﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾**، الآن أثرى دول العالم قد تكون هي الدول الغربية من حيث الثراء، لكن نحن لا ندعو الله تعالى بأن نقول اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أعطيتهم القصور، أولئك لا خلاق لهم. صراط الذين أنعمت عليهم يعني: نعمة الإيمان.**

هذا نقرؤه في آية ثالثة بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ **(النساء: ٦٩) يعني أحدنا يقول يا ليتنا كنّا مع الامام الحسين وأنصر الحسين وأكون من أصحابه، القرآن الكريم يقول أنت في هذا الزمان تستطيع أن تكون من أصحاب الحسين** ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ﴾ **(النور: ٥١)** ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ﴾. **إذن النعمة هنا نعمة الهداية الكبرى، أهل البيت اذن هم أولياء النعم.**

خطبة الإمام عليّ عليه السلام:

الإمام علي عليه السلام يقول: «بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء... اليوم أنطق لكم العجماء... غرب رأي امرئي تخلّف عني، ما شككت في الحقّ مذ أريته، لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه، بل أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال».[1]

---

(1) نهج البلاغة ١: ٣٨/ خ ٤.

يعني أنه يقول عليه السلام: أنا إذا كان عندي اليوم قلق وخوف فإنه ليس خوفاً على نفسي، بل هو مثل خوف موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾[1] يعني موسى لم يخف على نفسه وإنما خاف على أمته من الضياع والضلال، لم يوجس موسى خيفة على نفسه، بل أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال.

«بنا اهتديتم في الظلماء»، ولهذا أهل البيت عليهم السلام هم أولياء النعم، لأن النعمة الكبرى وهي نعمة الهداية والإيمان كانت بهم عليهم السلام.

«بنا اهتديتم في الظلماء» هذا المعنى نقرؤه في الزيارة الجامعة في أكثر من عشرين مرة، يعني بكم يا أهل البيت حدث كذا وكذا، حدث أنا أقرأ لكم الآن بعض هذه المقاطع التي تربط النعمة الكبرى بأهل البيت عليهم السلام:

«بكم علّمنا الله معالم ديننا وأصلح ما كان فسد من دنيانا.

وبكم تمت الكلمة وائتلفت الفرقة، وبكم تقبل الطاعة المفترضة.

بكم بدأ الله وبكم يختم.

و بكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وبكم ينزل الغيث».

وإذا كان الدين هو النعمة الكبرى على العباد، إذن ولي هذه النعمة هم الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

الفقر معنا:

هذا شخص في زمن الإمام العسكري عليه السلام، ونحن في يوم أمس كنا في ذكرى شهادة الإمام الحسن العسكري، في الثامن من ربيع الأول عام ٢٦٠ أو ٢٦١ هـ كانت شهادته عليه السلام، هذا شخص اسمه الحسن بن ميمون في زمن الإمام العسكري كان شيعياً فقيراً، كتب إلى الإمام رسالة: يا ابن رسول الله أنا فقير أحتاج إلى مساعدة، ثم لما كتب رسالة راجع نفسه وندم على ما كتب،

---

(1) طه: ٦٧.

قال: لماذا كتبت للإمام رسالة، أليس يقول إمامنا الصادق عليه السلام، الفقر معنا خير من الغنى مع غيرنا، والقتل معنا خير من الحياة مع عدونا.

على كل حال ذهبت الرسالة الى الامام العسكري، الإمام أجابه وعرف ما في نفسه، فقال له في الجواب:

«إن الله عز وجل يخصّ أولياءنا إذا تكاثفت ذنوبهم بالفقر، وقد يعفو عن كثير».

«كما حدثتك نفسك الفقر معنا خير من الغنى مع عدونا، ونحن كهفٌ لمن التجأ إلينا، ونور لمن استبصر بنا، وعصمة لمن اعتصم بنا، من أحبنا كان في السنام الأعلى، ومن انحرف عنا فإلى النار».[1]

الحقيقة أني أغبطكم وأهنئكم على هذا التفاعل مع حديث أهل البيت عليهم السلام ومع معارف ومجالس أهل البيت.

على كل حال نحن في ذكرى شهادة الإمام الحسن العسكري وولاية إمام العصر # ، في مثل هذا اليوم أصبح إمام زماننا المسؤول بعد شهادة الإمام الحسن العسكري، ومنه بدأت الغيبة الصغرى، ثم الغيبة الكبرى ونحن الآن في الغيبة الكبرى لإمام زماننا، اللهم عجل فرجه واجعلنا من أنصاره.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(1) مناقب آل أبي طالب ٣: ٥٣٥؛ بحار الأنوار ٥٠: ٢٩٩.

المحاضرة التاسعة:

أبواب الإيمان بالله

«وأبواب الإيمان»

هل الدين والإيمان بالله تعالى يحتاج إلى أبواب؟ أم أنّ الطريق إلى الله سالك مفتوح ولا يحتاج إلى أبواب، كما يقال: إنّ الطريق إلى الله على عدد أنفاس الخلائق؟ أي أنفاس الإنسان هي خطوات إلى الله، فإذا كان كل انسان يصل إلى الله فلماذا يحتاج الإيمان إلى أبواب؟ وما معنى هذه الأبواب؟

أهل البيت عليهم السلام أبواب الإيمان:

هذا المعنى مؤكد في الروايات و المفاهيم الدينية، وكما قرأناه في هذا النص من الزيارة الجامعة، وكما جاء تأكيده في مكان آخر بقوله: «من أراد الله بدأ بكم، و من وحّده قُبِلَ عنكم» أي يأتي من طريقكم. إذن إرادة الله وعبادته والوصول إليه لا تكون إلاّ عن طريقكم، والقرآن يقول: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها﴾[1] فإذا كان للإيمان أبواب فيجب أن ندخل منها لكي يكون الدخول صحيحاً وسليماً.

يقول القرآن أيضاً: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[2] أي اتخذوا قناة و طريقاً وأداة توصلكم إلى الله، لا تأتوا وحدكم بعنوان أننا مؤمنون ومتقون ولكن بدون دليل ووسيلة.

عبادة إبليس:

تقول الرواية أنّ إبليس عبد الله ثلاثة آلاف سنة لا يُدرى هل هي من سنيّ الدنيا أو الآخرة، ولما أمره الله بالسجود لآدم بمعنى الخضوع للإنسان أبى

---

(1) البقرة: ١٨٩.

(2) المائدة: ٣٥.

وامتنع، وقال: الهي إعفني من السجود لآدم ولك عليّ أن أعبدك عبادة ما عبدك بمثلها أحد.

فقال الله تعالى: «إنما أريد أن أُعبد من حيث أريد، لا من حيث تريد»[1] هذه الرواية تفيد أن المطوب هو أن نعبد الله تعالى ونصل إليه بالطريق الذي رسمه لنا.

إن ما طرحه القرآن الكريم في قصة السجود لآدم هو طرح رمزي، فالقرآن له ظاهر وباطن، والسجود لآدم ليس بالضرورة أن يكون مثل سجودنا، بل ربما كان بمعنى الخضوع لآدم وهو خليفة الله ونبيه. أبى إبليس وقال: إلهي أعبدك عبادة لا يعبدك مثلها أحد ولكن اعفني من السجود لآدم، إنّي لا أتحمل أن تضع عليَّ نبياً أو وزيراً أو إماماً أو ولياً وأريد أن أكون أنا السيد، فصعب عليه أن يخضع لآدم وإن كان نبياً. فأوحى الله له بأنّي أريد أن أُعبد كما أشاء لا كما تشاء.

إلتقيت بشاب من شبابنا العراقيين الذين هاجروا إلى أوربا، وكان قد تقوقع على نفسه ولم يخرج من البيت لمدة سنتين، ولعل لذلك أسباباً صحيحة، ولكن لاحظوا إلى أين يُجر الإنسان؟ صمم أن يتعلم الطريقة الهندوسية (اليوكا) في العبادة والرياضة. كان يحدثني عن ذلك ويضحك على نفسه بعد أن اكتشف خطأه، وكان له أستاذ لبناني في هذا المجال، ويقول: كان إذا دخل علينا صديق فجأة وجدنا قد وضعنا رؤوسنا على الأرض وأرجلنا إلى أعلى لمدة ساعة أو ساعتين ونحن في حالة عبادة ورياضة! هذه ليست عبادة في الحقيقة، فإنّ الله يريد أنّ يُعبد كما يشاء لا كما يريد الهندوس أو غيرهم.

من هنا تأتي فكرة إنّ الإيمان يحتاج الى لوازم، لأنّ الله تعالى له حجتان: العقل، والأنبياء عليهم السلام، ولكن هل يكفي العقل وحده ولا حاجة إلى النبي، لأن العقل هو الباب إلى الله فلا حاجة إلى أبواب أخرى للإيمان؟

---

(1) راجع نص الرواية في: بحار الأنوار ١١: ١٤٠/ ح ٧.

الوصول التكويني والإيماني:

الجواب: هناك وصول تكويني إلى الله، وهناك وصول إيماني. أما الوصول التكويني فهو بمعنى نهاية مسيرة البشر والخلق كلهم إلى الله تعالى، فالجميع يصلون إلى الله: العاصي والمطيع، الكافر والمؤمن، فما ورد من أنّ الطرق إلى الله على عدد أنفاس الخلائق تعني أنّ الانسان بنفسه سائر نحو آخرته، أنفاس المرء خطواته إلى أجله قبل بذلك أم لا، جالساً كان أو نائماً، مطيعاً أو عاصياً، مؤمناً أو فاسقاً، كافراً أو مسلماً.

أما الوصول الإيماني فالمقصود به الوصول بارادتنا وعبادتنا إلى الله تعالى، وحديثنا عن الوصول الإيماني إلى الله هل يحتاج إلى الأنبياء والأوصياء أم لا؟

هل العقل كاف في الوصول الإيماني إلى الله؟

الجواب: إنّه غير كاف.

فالعقل غير كاف في المعرفة التفصيلية بالله وشريعته، أي فيه عجز علمي. فالعقل يقول هناك خالق ولكنه غير قادر على اكتشاف هذه المفاهيم: إنّه تعالى سميع بصير، يجيب الدعاء، قابل التوب، غافر الذنب، قديم الاحسان، ذو العلم والفضل، وشديد العقاب.

إن أقصى ما يكتشفه هو أنّ الله خالق لهذا الكون، أما بالصورة التي تبيّنها الشريعة الإسلامية والمعرفة الدينية التي يبيّنها الأنبياء عليهم السلام فإنّه غير قادر على ذلك. أي هناك عجز علمي.

كما إن العقل غير قادر على تنظيم طبيعة علاقتنا مع الله تعالى. يُروى أن موسى عليه السلام سمع امرأةً عجوزاً تقول: إلهي، لو كنت أراك لكنت أغسل رأسك وملابسك.

قال: يا أمة الله لا تكفري بالله.

فأوحى له الله: دعها يا موسى فإنّ هذا ليس كفراً، تريد أن تعبّر عن حبها لله ولكن لا تعرف كيف.

إنّ هـذه المعـاني القرآنيـة: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾،[1] ﴿سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[2] ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾،[3] وقولـك: بحـول الله وقوتـه أقـوم وأقعـد فـي الصـلاة، وبسـم الله الـرحمن الـرحيم حينمـا تشـرب المـاء، والحمـد لله بعـده، مثـل هـذه العلاقـة والمعرفة بالله لا يعطيها الفلاسفة.

الله سبحانه يسمع قولك: سبحان ربي العظيم وبحمده في الركوع، وسمع الله لمن حمده بعده، إنّ هذا جمال الايمان الذي لا يقدر العقل وحده وهكذا الفيلسوف أن يكتشف ذلك، إنّه يحتاج الى أن يبعث الله برحمته نبياً يخبرنا عن الله ﷻ بأنّ هناك جنة فيها كذا وكذا. كما يعجز العقل عن التشريع لحياة الإنسان، وهكذا النظم الحاكمة في العالم فهي عاجزة عن إعطاء تشريع صحيح للعباد أيضاً.

جاء الإسلام وقال بأنّ أحكام الأحياء هكذا، وأحكام الأموات هكذا، وبر الوالدين يكون بهذا النحو، وليس كما ارتأت فتاة في ألمانيا أن تحتفظ بأمها بعد وفاتها في ثلاجة ولما اكتشفوها قالت بأنّي أحبّها وأريد أن لا أُفارقها.

العقل البشري عاجز عن الوصول إلى المعارف التفصيلية بالله تعالى ونمط العلاقة به، كما أن العقل البشري عاجز عن رسم التشريع الصحيح لحياتنا الاجتماعيّة.

وهنـاك عجـز ثالـث لـدى العقـل وهـو عجـزه عـن أن يـدلنا علـى القيـادة الصحيحة والمواقف السياسية والاجتماعية الصحيحة، وأيـن هـو الحق وأيـن هـو الباطل؟ هنا نحتاج إلى أبواب الإيمان.

روي عـن النبـي ﷺ قولـه لعمـار بـن ياسـر: «تقتلـك الفئـة الباغيـة، وأنـت مع الحق، والحق معك، يا عمار إذا رأيت علياً سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيـره فاسـلك مـع علـيّ ودع النـاس، إنـه لـن يـدليك فـي ردى ولـن يخرجـك مـن

(1) التوبة: ١٢٨.
(2) آل عمران: ٣٨.
(3) الحج: ٦١.

الهـدى».[1] فرسـول الله ﷺ أعطـى تشـريعاً ومقياسـاً ميـدانياً لمعرفـة الحـق، وإلاّ فـإنّ أهـل الشـام كـانوا يصلّون كأهـل العـراق وجيشـه يصلّي كجيش العـراق. هـذا المقياس يشبه إشارات المرور في الشوارع فبدونها يضيع السائق.

الكندي والتناقض الفكري:

قـام الفيلسـوف إسـحاق الكنـدي فـي العـراق أيـام الإمـام العسـكري عليه السلام بتـأليف كتـاب فـي تناقضـات القـرآن! فمـثلاً قولـه تعـالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2] ينـاقض قولـه تعـالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[3] فطلـب الإمـام العسـكري عليه السلام ذهـاب أحـد تلاميـذه إلـى الكنـدي لينصـحه ويناقشـه ويصـرفه عـن تـأليف هـذا الكتـاب. فقـال أحـدهم: نحـن مـن تلامذتـه كيـف يجـوز منا الاعتراض عليه في هذا أو غيره.

فقال له أبو محمّد عليه السلام: اتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ فقال: نعم.

قـال: فصـر إليـه وتلطـف فـي مؤانسـته ومعونتـه علـى مـا هـو بسـبيله، فـإذا وقعت المؤانسة في ذلك فقل: قد حضرتني مسألة اسألك عنها؟

فإنه يستدعي ذلك منك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز ان يكون مراده بما تكلم به منه غير المعاني التي قد ظننتها انك ذهبت إليها؟

فإنه سيقول: إنه من الجائز، لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه، فتكون واضعاً بغير معاينه.

فصـار الرجـل إلـى الكنـدي وتلطـف لـه إلـى ان القـى عليـه هـذه المسـألة، فقال: أعد عليّ.

---

(1) بحار الأنوار ٣٨: ٣٢؛ كنز العمال ١١: ٦١٣.

(2) القيامة: ٢٢ و٢٣.

(3) الأنعام: ١٠٣.

فاعاد عليه فتفكر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغا في النظر.[1]

الشيخ محمّد جواد مغنيّة:

رحم الله العلامة الشيخ محمّد جواد مغنية كانت له همّة عالية في التأليف، شرع بتأليف كتاب في (هفوات العلماء) فنصحه الشهيد آية الله العظمى السيد محمّد باقر الصدر بعدم التورط به، صحيح أنّ لهم هفوات ولكن لا يصلح لشخص أن يترك كل شيء ويكتب في هذا الموضوع، فالله يحب الساترين، ثم ما هي فائدة هذا الكتاب قال له الشهيد الصدر: إنّ هذا الكتاب لا تتوفق فيه، وفعلا كان كذلك، إذ أنّ الله يحب دينه ويحب العلماء.

الإيمان يحتاج إلى نوافذ وأبواب، ولذلك جاء الأنبياء باعتبارهم أبواب إلى الله تعالى.

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً . وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً﴾[2] فلا بدّ من سراج وضوء.

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾[3] إنه ليس بامكان العقل أنّ يكتشف هذه البشارة، إن العقل لا يستطيع وحده أن يدرك أنّ هناك منكراً ونكيراً بعد الموت وجنة وناراً، ولا بدّ من أنبياء يخبرون عن الله بهذه الحقائق.

إيمان مالك بن نويرة:

ذات يوم كان النبي ﷺ جالساً، فجاء أعرابي وقال: علّمني الإسلام.

قال: تشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله، وتصلي

---

(1) بحار الأنوار ١٠: ٣٩٢/ باب ٤١/ ح ١.
(2) الأحزاب: ٤٥ و٤٦.
(3) الأحزاب: ٤٧.

وتصوم وتؤدي الزكاة وتحج البيت، وتوالي وصيي هذا من بعدي الجالس وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، و... ثم ودّعه.

كان السائل هو مالك بن نويرة، وقبل أنّ يخرج من المسجد قال النبي صلى الله عليه وآله: «من أراد أنّ ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا الرجل».[1]

وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ووصول أبي بكر إلى الخلافة أرسل الجباة لجمع الزكاة، وصلوا إلى مالك بن نويرة وطلبوا منه الزكاة، فقال: لمن أدفع الزكاة؟

قالوا: لأبي بكر.

قال: لا أعطيكم الزكاة، بل لعليّ بن أبي طالب، ونزلوا ضيوفاً عنده، ثم ذبحه خالد بن الوليد بحجة خروجه من الإسلام لعدم تقديمه للزكاة!

وللمزيد من التنكيل وضع خالد _ كما يروي أبناء العامة _ رأس مالك تحت أثافي القدر وأحرقوه بالنار، قيل: إنّ شعر هذا الرجل لم يحترق وما أصابت النار وجهه.

ما هو تفسير ذلك؟

إنّ هذه كرامة، فإنّه مظلوم، وإنّه ولي من أولياء الله.

ولكن يأتي الشيطان ويزين لهم حب الدنيا، فيكتبون في التاريخ: وكان مالك بن نويرة كثيف الشعر ولذا لم يحترق وجهه بالنار، لاحظوا الظلم في التأريخ، لا يقولون أنّ هذه كرامة وأنّه مظلوم قد ذبحه خالد بن وليد.

إن مشكلة مالك بن نويرة أنه أراد أن يدخل البيوت من أبوابها، وقد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله بطاعة عليّ والبيعة له، وأبى غير ذلك فقتلوه ظلماً.[2]

---

(1) الفضائل/ابن شاذان: ٧٥.

(2) أنظر: الفضائل لابن شاذان: ٧٥؛ الصراط المستقيم ٢: ٢٨٠؛ بحار الأنوار ٣٠: ٣٤٣ و٤٨٨.

الإصرار على الكفر:

حينما قال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، جاء أحد المنافقين وقال: يا رسول الله: أمرتنا أنّ نصلي فصلينا، وأمرتنا أنّ نصوم فصمنا، وأمرتنا أن نزكّي فزكّينا. وأمرتنا أنّ نحج فحججنا. الآن تأمرنا باطاعة ابن عمك عليّ فهذه لا نقبلها، إن كان هذا منك لم نقبله، وإن كان من الله فاسأل الله أن يرمينا بحجارة، فما أكمل كلامه حتى رماه الله بحجر وصرعه، جاء هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾[1].[2]

الحسين عليه السلام باب الإيمان:

كان الحسين عليه السلام باب الدخول للإيمان، ومدخل الوفود والعروج والوصول إلى الله.

كان أصحاب الرسول ﷺ والتابعون كثيرين في زمان الحسين عليه السلام لكن الباب إلى الله كان هو الحسين.

من يريد تشخيص التكليف لا بدّ أن يبحث بمن يتعلق ولمن يتبع؟

ولذا قال الحسين عليه السلام: من لحق بي منكم استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح.[3] أي لا يتصور أنّ من لم يلحق بنا يفتح الله له، فإنّه من الخاسرين أيضاً، لأنّ الحسين هو باب الإيمان.

محنة أصحاب الحسين عليه السلام:

يوم عاشوراء امتحن الحسين أصحابه إمتحاناً صعباً.

نقرأ هذا في التاريخ، ولكن شدة الإمتحان لا يعرفها إلاّ المجرب،

---

(1) المعارج: ١ - ٣.

(2) أنظر: شرح الأخبار ١: ٢٣١؛ بحار الأنوار ٣٧: ١٦٧؛ ...

(3) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٣٠؛ بحار الأنوار ٤٥: ٨٧.

محنة أصحاب الحسين هي أنّ أمامهم ثلاثون ألف مقاتل يصلّون ويصومون وفيهم من أصحاب رسول الله ﷺ، والحسين عليه السلام معه سبعون مقاتلاً.

هذه المحنة تحتاج إلى بصيرة وعزم وعشق، والحسين عليه السلام قال لهم لا ذمام لي عليكم فهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً. ثم إنّ القتال كان حقيقياً فمن يستعد له؟

ولذا تراجع الكثير ممن كانوا معه عليه السلام ولم يبق إلاّ القلة، ولذا صاروا سادات الشهداء لأنّ المحنة كانت يومئذٍ أقصى ما يمكن تصوره.

لم تكن المحنة محنة بدنية من العطش والقتال فإنّهم كانوا قد مارسوا ذلك، بل محنة الشك في الحقيقة وأبواب الإيمان.

كان كلما يرخصهم الحسين عليه السلام لم يقبلوا ذلك.

قال لجون: إنّك تبعتنا طلباً للعافية وأنت أجير فاذهب، ولو كان جون يخطأ قليلاً لفارق الحسين عليه السلام ولكن شملته الرحمة والنور والعطف الإلهي، لا ندري أي عمل صالح قد عمله ليجعله الله من سادات الشهداء؟

هذا اختيار إلهي وليست القضية عقلية، فلولا التوفيق الإلهي ما كنا لنهتدي، العقل لا يصل إلى هذه المقامات. فكّر هذا العبد الأسود الذي لا قيمة له في المجتمع الظالم فقال: يا أبا عبد الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم؟ لا والله لا أُفارقكم حتّى يختلط دمي بدمكم. إنّ ريحي لنتن، ولوني لأسود، لعل الله يطيّب ريحي بكم ويبيّض لوني أمامكم يوم القيامة.

أذن له الحسين عليه السلام فقاتل ثم خرَّ صريعاً، جاءه الحسين عليه السلام، أنظر ماذا صنع وكم هو عظيم؟ عجباً لهذه الأخلاق. فرغم القتال الشديد والعطش والجيش أمامه ولكن الأصول الأخلاقية والرحمة جعلت الحسين عليه السلام ينسى كل ما يواجهه، وأقبل إليه وجلس عنده ووضع خده على خده.

فقال جون: من مثلي وابن رسول الله واضع خده على خدي؟ هذه موهبة عظيمة من الله.[1]

---

(1) أنظر ما جاء حول جون في: مثير الأحزان: ٤٧؛ بحار الأنوار: ٤٥؛ اللهوف في قتلى الطفوف:

١٣٢.

المحاضرة العاشرة:

الأمانة الإلهيّة

«وأمناء الرحمن»

المقصود من «أمناء الرحمن» هو أن الله تبارك وتعالى له أمانة على الأرض وله أمناء ائتمنهم على تلك الأمانة، كما ورد «ائتمنكم على سرّه واسترعاكم أمر خلقه».

ما هي هذه الأمانة الإلهية؟ ومن هم الأمناء؟ ولماذا صار أهل البيت عليهم السلام هم الأمناء؟

إنّها بحوث عقائدية تأريخية سياسية مهمة، نتناول رؤوس النقاط منها بشيء من التشعب للاستفادة من بعض القصص التأريخية والإقتصار على دلالاتها العلمية والسياسية.

ما هي الأمانة؟

لله سبحانه وتعالى أمانة، وهذا بحث قرآني.

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّماوات وَ الأَرْض وَ الْجبال فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الإنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[1] **فالجميع امتنعوا عن حمل هذه الأمانة، وهناك بحث في أنّ عرض الأمانة هل كان على السموات، أو أهل السموات وهم الملائكة؟ وهل كان على الأرض، أو أهل الأرض وهم الإنس؟ ربما يكون الاظهر هو جميع ذلك، فالسماوات وأهلها، والأرض وأهلها هي التي عُرضت عليها الأمانة.**

ما هي الأمانة؟

هل هي العقل، أو التكليف، أو الشريعة، أو ولاية أهل البيت عليهم السلام كما

---

(1) الأحزاب: ٧٢.

في الكثير من الروايات، أم هي بمعنى يتناسب مع الكثير من هذه المعاني، أي هي الإرتباط الإرادي بالله تعالى والتوحيد الإرادي والعبودية الإرادية؟

إنّ كانت هذه الأمانة هي عبادة الله لأمكن القول إنّ السموات والجبال والأرض تعبد الله أيضاً، قال تعالى:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الأَرْضِ﴾.[1]

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.[2]

﴿قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾[3] **بعد ما خاطب الله السموات والأرض:** ﴿ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾.

إذن العبودية والتوحيد لله ليس من خصائص الأنسان، فإنّ السموات والأرض تشترك في ذلك أيضاً حسب النصوص القرآنية، فالجميع يسبحون لله سبحانه فلماذا قال تعالى: ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها﴾.

يختلف الدين هنا عن النظريات المادية التي تعتقد أن الكواكب والنجوم والرمل والحصى كائنات لا عقل لها ولا إدراك، فالدين يقول بأن لها عقل وإدراك بمستوى من المستويات وهي تعبد الله تعالى وتسبح له ﴿وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.[4]

ما هي الأمانة التي حملها الإنسان ولم تحملها السماوات والأرض والجبال؟

من مجمل القرائن والدلالات يُفهم أنّها العبودية الإرادية لله تعالى، أي التوحيد الإرادي.

كل الكائنات تعبد الله، ولكن الإنسان له خصوصية أخرى هي أنه يعبد بارادته، ويمكن أن يعصي، بعكس الجبال والسموات حيث لا قدرة لها على

---

(1) الجمعة: ١.

(2) الإسراء: ٤٤.

(3) فصلت: ١١.

(4) الإسراء: ٤٤.

المعصية فإنّها تسير وفق قانون، فلا يمكن للشمس أن تخرج عن دورتها الكوكبية وهكذا الأرض والقمر ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1] أي انّها تطيع إطاعة عمياء، وعبوديتها لله عبودية حتميّة فلا قدرة لها كالإنسان على المعصية بفعل من الشهوة والغريزة وإغراء الشيطان وإغوائه.

الإنسان له إرادة واختيار، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[2] فله أن يعصي وله أن يطيع.

طلب الله سبحانه من الإنسان الطاعة بدون إرغام، قال تعالى: ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾[3] بل أراد الله أن يكون الإنسان مخلصاً لله تعالى بارادته من خلال الاستجابة لدعوة الأنبياء عليهم السلام والعقل وأداء العبادات.

الإنسان أهل لحمل الأمانة:

عرض الله سبحانه العبودية والتوحيد بالإرادة على السماوات، فقالت لا إرادة لنا فإنّنا مسيّرات غير مخيّرات، وهكذا الشمس والقمر والأرض ولا قدرة لنا على عصيان جبار السموات والأرض، بخلاف الإنسان الذي يملك الإرادة في الطاعة وفي المعصية.

سينتج من هذا الإختيار الإرادي حالة من النفاق والشرك والإيمان. أي ستكون عند الإنسان ثلاث حالات: فهو إما مؤمن أو كافر أو منافق، أما الجبل فلا يمكن أن نقول إنّه كافر أو منافق فإنّه مطيع لله تعالى.

ولكن الإنسان لمّا حمل هذه الأمانة لم يفِ بها، فقد حصل هناك كافرون ومنافقون ومؤمنون، فبعضهم وفوا بالأمانة وبعضهم لم يفِ.

---

(1) الأنبياء: ٣٣.
(2) البلد: ١٠.
(3) الرعد: ٣١.

قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[1] **إذ لا قدرة للجبل على المعصية بل له خضوع مطلق، والله لم ينزل القرآن على الجبل ، بل على الإنسان** ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] **الجبل ليس له إرادة كالإنسان ولذا لم يكرمه الله بحمل الأمانة وأنزلها على الإنسان.**

أهل البيت قمة الأمناء:

يعني هناك بشر تحملوا الأمانة وكانوا أمناء، وأهل البيت عليهم السلام هم قمة الأمناء، البشر كلهم مكلفون بحمل الأمانة ولكن ليس كلهم أمناء فبعضهم خونة ومنافقون وكفرة لم يحملوا الأمانة بحقها، وأهل البيت عليهم السلام هم الأمناء الذين تحملوا الأمانة تماماً.

هنا بحث قرآني وعقائدي: هل النبوة والإمامة استحقاق بشري، أم اختيار إلهي، أو نظرية جامعة بينهما؟

كان حاتم الطائي كريماً بحيث يشعل ناراً على الجبل ليراه الضالّ في طريقه ويقصده، وذات يوم جاءه ضيف ولم يكن لديه غير فرسٍ عزيز عليه فذبحه وقدمه لضيفه.

مات حاتم الطائي فجاء أخوه وجلس في محله في المضيف وأشعل النار أيضاً، فقالت له أمه: ماذا تريد؟

قال: أريد أن أكون في مكان أخي.

قالت: هذا المكان ليس لك فلا تتعب نفسك، لأنّك حين كنت رضيعاً لم تكن ترتضع حينما أضع طفلاً آخر على ثديي الآخر أي أنّك أناني، أما أخوك حاتم الطائي فلم يكن يرتضع حتى آتي بطفل آخر أرضعه معه. ومعنى

---

(1) الحشر: ٢١.

(2) السابق.

هـذه القصـة أن حـاتم الطـائي إنمـا بلـغ تلـك المنزلـة مـن خـلال أخلاقيـة عاليـة كـان يتمتع بها وليس أمراً حدث بدون استحقاق.

بحث عقائدي:

هـل النبـوة والإمامـة هـي اسـتحقاق بشـري، أم هـي اختيـار ولطـف محـض من الله تعالى؟ هناك ثلاث نظريات يمكن أن تذكر:

الأولـى: إن النبـوة والإمامـة هـي اسـتحقاق نتيجـة الجهـد والمـؤهلات التـي يمتلكها النبي والإمام.

الثاني: إنها لطف محض من الله تعالى.

الثالثة: إنها استحقاق بشري وعناية إلهية في نفس الوقت.

صحيح أنّ هناك جهداً بشرياً ولكن قبل ذلك هناك عناية إلهية منذ الولادة وقبلها، وفي أصلاب الرجال وأرحام الأمهات، ومنذ خلق الله آدم، ومنذ عرض الله الخلائق عليه في عالم الذر يوم كانت أنواراً مضيئة هم أنوار أهل البيت عليهم السلام.

هذه نظرية التركيب بين الجهد البشري والإختيار الإلهي.

فالجهـد مطلـوب، قـال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1] **أي كـان هنـاك اختيـار إلهـي لآدم ولكنـه نسـي، فـالمطلوب مـن الإنسان العزم والجهد والعمل.**

الحكمة أم النبوة؟

لـم يكـن لقمـان نبيـاً، بـل كـان حكيمـاً وذلـك فـي زمـان داود عليه السلام، والفـرق بينهمـا هـو أن لقمـان كـان حكيمـاً ولـم يكـن نبيـاً، وكـان داود نبيـاً وكـان حكيمـاً أيضـاً. ووفـق قيمنـا الإسـلامية كـان داود أعظـم درجـة مـن لقمـان لأنـه قبـل النبـوة والأمانة وكان له عزم، بينما لقمان اعتذر عن تحمّل مسؤولية النبوة.

---

(1) طه: ١١٥.

في الرواية[1] أنّ الله تبارك وتعالى أهبط جبرئيل عليه السلام وأوحى إلى لقمان: إنّي أريد أن أختارك خليفة، أي نبياً، فقال: إن كان هذا فريضة من الله فإنّي أقبله، إذ أنّ هذا المقام خطير وذلك بأن يكون الإنسان خليفة وإماماً ورئيساً وقائداً، وإن كنت مخيراً فإنّي أعتذر، فحوّل الله النبوة إلى داود، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾[2] وكان داود يقول للقمان: هنيئاً لك لقد استرحت من همّ الخلافة والإمامة، ولكن داود كان أعظم.

وهكذا أمة التشيع هي أهم من الأمم الأخرى لأنّها تحملت موقع الشهادة على الناس وموقع الإمامة وهداية البشر، وهذا موقع عظيم وصعب ويحتاج إلى تضحيات وبذل الدماء.

خصائص لقمان:

في الرواية[3] عن النبي صلى الله عليه وآله أنّ لقمان كان ذا ثلاث خصائص:

الأولى: إنّه كان عبداً كثير التفكر، على خلاف الكثير من الناس، يتكلمون كثيراً ويتفكرون قليلا.

الثانية: حسن اليقين بالله، أي كان على ثقة عالية بالله.

الثالثة: أحب الله فأحبّه الله. وهذه المحبة لها طعم خاص يعرفه المؤمنون.

إنّ الأمانة من الله في الوقت الذي هي شرف هي أيضاً ثقل كبير، ولهذا ما تحملتها السماوات بعظمتها، وهكذا الأرض والجبال، وحملها الإنسان.

---

(1) تفسير القمي ٢: ١٦١ - ١٦٣، في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ...﴾.

(2) ص: ٢٦.

(3) بحار الأنوار ١٣: ٤٢٤.

انحراف بني اسرائيل:

أعطى الله سبحانه لموسى عليه السلام موعداً ﴿وَواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً﴾[1] بأن ينزل عليه الشريعة والكتب ﴿وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ﴾ فصارت أربعين، في هذه الأربعين ليلة كان موسى بعيداً عن قومه وجعل هارون خليفة عليهم، ولكن هذه الأمة اضطربت حينما غاب عنها نبيها، وأخذت تعبد العجل، حيث برز السامري وصنع لهم عجلاً له خوار فعبده الناس، وقال لهم السامري مخادعاً لهم هذا إلهكم وإله موسى فصّدقوه وعبدوا العجل. يقول القرآن الكريم إنّ موسى عليه السلام حينما رجع إلى قومه بعد أربعين ليلة ووجد الأوضاع مضطربة ولم يسيطر عليها هارون قال له: ﴿ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾، أي لم تمشِ على طريقتي، أو لم تخبرني؟ أفعصيت أمري؟

قال: يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي _ والمعروف أنّ موسى كان قويا وشديداً يهابه الناس _ ما استطعت أن أتركهم وألتحق بك وإلاّ لانحرفوا جميعاً فلا تعتب علي.

إن عزيمة موسى عليه السلام كانت أكبر من هارون عليه السلام رغم أن هارون كان نبياً أيضاً ووزيراً لموسى عليه السلام، لكن الأنبياء يتفاضلون في القدرات والكفاءات.

قوة العزيمة في الأنبياء عليهم السلام:

إنّ الله أرسل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وكان جباراً متكبراً.

دخلا عليه وعليهما لباس من صوف وبيدهما العصا وبدون حرس ولا سلاح ولا أموال...

فقالا لفرعون: اذا آمنت بالله فإنّه يديم ملكك، فاستهزأ بهما حين رأى وضعهما، ظاناً أن النبوة بالملك والكراسي والخيل والرجال.

---

(1) الأعراف: ١٤٢.

ولأمير المؤمنين كلمة جميلة حيث قال: «ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم، وضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى...»[1] فحينما يرى الإنسان منظر الإمام عليّ عليه السلام يرى عليه رداءاً رثاً، وحينما ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يراه جالساً جلسة العبيد ويأكل معهم، ولا يشخصه الداخل من حيث الموقع بل من حيث نور وجهه. «وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذىً» أي يتاذى الإنسان حينما يرى الإمام عليّ عليه السلام كان فقيراً إلى درجة أنّه يأكل الخبز اليابس؟ لكن هذا هو الإمام علي عليه السلام قالع باب خيبر، بينما الجيش ذهب مع الخليفة الأوّل ومع الثاني قبله وأعطاهم الرسول صلى الله عليه وآله الراية ولكنهم رجعوا، فما الذي صنعه أمير المؤمنين عليه السلام؟ إنه قلع الباب باصبعه بقوة الإرادة والعزيمة التي تخضع لها الجبال.

اخلاص عليّ بن جعفر:

لاحظوا علي بن جعفر وهو ابن الإمام الصادق عليه السلام وأخو الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، هذا الإنسان الصالح الذي بلغ الثمانين من عمره، إنّه عاصر أيام الإمام الجواد عليه السلام وكان عم أبيه، ومع ذلك كان يقدّم للإمام الجواد عليه السلام نعليه والإمام له من العمر ثمان سنوات.

عاتبه جماعة من ضعفاء القلوب بدلاً من أن يباركوا له هذا التواضع والأخلاق العالية، وقالوا: أنت عم أبيه، وأنت تفعل به هذا الفعل؟

قال: اسكتوا إذا كان الله عز وجل _ وقبض على لحيته _ لم يؤهّل هذه الشيبة وأهّل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه، أنكر فضله؟! نعوذ بالله مما تقولون! بل أنا له عبد.[2]

---

(1) نهج البلاغة ٢: ١٤٥/ خطبة القاصعة (١٩٢).

(2) أنظر: الكافي ١: ٣٢١؛ الاستبصار ٤: ٣٤٠؛ بحار الأنوار ٤٧: ٢٦٦.

ولـذا كـان علـيّ بـن جعفـر مـن العلمـاء المحـدثين لـدى الشـيعة ولـم يكـن من المخالفين.

هـذه الأمانـة أعطاهـا الله للأنبيـاء عليهم السلام وللأوصـياء والأئمّـة مـن بعـدهم، وللفقهاء من بعدهم وهم أمناء الرسل.

النيابة الخاصة و العامة:

لـدينا نيابـة عامـة ونيابـة خاصـة عـن الإمـام المعصـوم عليه السلام. فحينمـا غـاب الإمـام الحجة المنتظر عليه السلام كانت هناك غيبة صغرى عيّن فيها نواباً بأسمائهم، وهم: عثمان بن سعيد العمري، ومحمّد بن عثمان، والحسين بن روح، وعلي بن محمّد، ودامت سبعين عاماً، ثم جاءت فترة النيابة العامة والتي كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد ثَقَّف الشيعة عليها فقال: «فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه، مخالفا لهواه، مطيعا لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه»[١] أي يتبعوه.

ويقـول الإمـام العسـكري عليه السلام: «لا عـذر لأحـد مـن موالينـا فـي التشـكيك فيمـا يؤديـه عنـا ثقاتنـا، قـد عرفـوا بأنّـا نفاوضـهم سـرنا».[٢] أي لا حـقّ لكـم أيهـا الشيعة التشكيك فيما يصدر من الفقهاء.

والشيعة يجب أن يكونوا أمناء لأئمتهم أيضاً.

ليكن معلوماً في ثقافتنا وهي ثقافة أهل البيت عليهم السلام وثقافة الإسلام الأصيل أنّ الإسلام ليس بكثرة الصلاة والصيام، وإنّما بصدق الحديث وأداء الأمانة.

وفـي الروايـة عـن الإمـام الصـادق عليه السلام قـال: «لا تنظـروا إلـى طـول ركـوع الرجـل وسـجوده فـإن ذلـك شـيء اعتـاده فلـو تركـه اسـتوحش لـذلك، ولكـن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته».[٣]

---

(1) بحار الأنوار ٢: ٨٨.

(2) بحار الأنوار ٥٠: ٣١٨.

(3) الكافي ٢: ١٠٥/ح ١٢؛ بحار الأنوار ٦٨: ٨.

أنظروا كم هو وفيّ بالإمانة، من الأمانة على كتاب بسيط إلى الأمانة على القرآن والدين والإسلام والعراق والنجف الأشرف وأمير المؤمنين عليه السلام.

هذه خصوصية النبي صلى الله عليه وآله حيث نسلّم عليه:

«السلام على رسول الله أمين الله على وحيه» ونسلم على أمير المؤمنين عليه السلام:

السلام عليك يا أمين الله في أرضه.

نحن اليوم في العراق أمناء على الإسلام والتشيع وأهل البيت عليهم السلام.

التقييم الشيعي للتأريخ:

يجب أن نفي بهذه الأمانة وندافع عنها، وبذلك ينصرنا الله سبحانه، ولا نكون من أولئك الذين خانوا الأمانة، قال الشاعر:

يا أمةً نقضت عهود نبيها ... أفمن إلى نقض العهود دعاكِ

وصّاكِ خيراً بالوصي كأنما ... متعمداً في بغضه وصاكّ

هذا هو التقييم الشيعي للتأريخ، إنّ هذه الأمة قد خالفت نبيها ولم تف له رغم وصية النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين»[1] وقوله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»[2] وقوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[3] وقوله صلى الله عليه وآله: «إنما فاطمة بضعة مني يرضيني ما أرضاها، ويسخطني ما أسخطها».[4]

يستغرب الإنسان من هذا التأريخ، لا يكاد يصدّق أنّ هذه الأمة التي أوصاها النبي صلى الله عليه وآله بهذه الوصايا علناً حين قال: «فاطمة بضعة مني» «فاطمة

---

(1) أمالي الصدوق: ٥٠٠؛ معاني الأخبار: ٩٠؛ شرح نهج البلاغة ٦: ٣٧٥.

(2) الإرشاد ١: ٣٣؛ الاختصاص: ٢٣٨؛ مستدرك الحاكم ٣: ١٢٧.

(3) الشورى: ٢٣.

(4) شرح الأخبار ٣: ٥٩؛ مناقب ابن شهر آشوب ٣: ١١٢؛ بحار الأنوار ٤٣: ٣٩.

روحي التي بين جنبيّ»(1) وكان يقف ستة أشهر على باب دارها ويقول: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(2) وكانت دار الزهراء عبارة عن غرفة في بيت النبي ﷺ ولكن أدباً وتعليماً للناس يقول لها: «أتأذنين لأبيك؟» رغم هذا كله لم تمض ليالٍ على دفن رسول الله ﷺ وإذا بأمير المؤمنين عليه السلام يقاد مكتوفاً.

هذا قالع باب خيبر وفاتح الفتوح وهو الذي بايعوه بالأمس، وهذه الزهراء عليها السلام يُكَسر ضلعها وتحرق دارها ويُسقط جنينها، العجب من هذه الأمة ماذا فعلت؟

ولهذا كانت الزهراء تخاطب أمير المؤمنين عليه السلام وتقول:

لمن أشتكي إلاّ إليك ومن به ... ألوذ وهل لي بعد بيتك من كهفِ؟

وقد أضرموا النيران فيه واسقطوا ... جنيني فوا ويلاه منهم ويا لهفي

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

* * *

(1) أمالي الصدوق: ١٧٥؛ بشارة المصطفى: ٣٠٦.

(2) الأحزاب: ٣٣.

المحاضرة الحادية عشرة:

ما هي الحجة الإلهية؟

«وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى»

«وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى».

إنّهم عليهم السلام أئمّة الهدى مقابل أئمّة الضلال.

«ومصابيح الدجى» بمعنى المصابيح والأنوار في ظلمات الدنيا والآخرة.

«وأعلام التقى» يعني أنّ التُقى تحتاج إلى أعلام وأشخاص وليس مجرد أفكار وكتب، وأهل البيت هم أعلام التقى.

«وأولي النهى» أي أنهم أصحاب الحكمة.

«والدعوة الحسنى» أي أنّهم عليهم السلام يحملون الدعوة الحسنى لله.

«والمثل الأعلى» يعني أنّهم المثل البشري الأكمل.

والحديث في محاضرتنا هذه حول مفهوم «وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى».

قانون العدالة الإلهية:

لله تعالى براهين وحجج، وقانون العدالة الإلهية هو أنّ الله لا يعذب أحداً من الخلق ولا يحاسب أمة من الأمم ولا قرية من القرى حتى يقيم عليها الحجة والدليل.

قال تعالى: ﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[1] وقال: ﴿وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها مُصْلِحُونَ﴾[2] فلا تجد قرية من القرى يهلكها الله إلاّ إذا كان أهلها ظالمين.

عيسى عليه السلام والقرية المبادة:

تقول الرواية: «بينا عيسى بن مريم في سياحة إذ مرّ بقرية، فوجد أهلها

(1) الإسراء: ١٥.

(2) هود: ١١٧.

موتى في الطريق والدور، فقال: إن هؤلاء ماتوا بسخطة، ولو ماتوا بغيرها تدافنوا، فقال لأصحابه: وددنا أنا عرفنا قصتهم، فقيل له: نادهم يا روح الله، قال: فقال: يا أهل القرية، فأجابه مجيب منهم: لبيك يا روح الله، قال: ما حالكم؟ وما قصتكم؟

قال: أصبحنا في عافية وبتنا في الهاوية.

قال: وما الهاوية؟

فقال: بحار من نار، فيها جبال من نار.

قال: وما بلغ بكم ما أرى؟

قال: حب الدنيا وعبادة الطاغوت.

قال: وما بلغ من حبكم الدنيا؟

قال: كحب الصبي لأمّه، إذا أقبلت فرح بها، وإذا أدبرت حزن.

قال: وما بلغ من عبادتكم الطواغيت؟

قال: كانوا إذا أمرونا أطعناهم.

قال: فكيف أجبتني من بينهم؟

قال: لأنهم ملجمون بلجم من نار، عليهم ملائكة غلاظ شداد، وإني كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما أصابهم العذاب أصابني معهم، فأنا متعلق بشعرة على شفير جهنم، أخاف أن أكبكب في النار.

قال عيسى عليه السلام لأصحابه: إن النوم على المزابل، وأكل خبز الشعير خير كثير مع سلامة الدين».(١)

إن أصحاب هذه القرية ما أهلكهم الله وهم مصلحون، بل كانت لديهم انحرافات. إن الله سبحانه عادل، ومقتضى عدالته أن لا يعذب إلاّ بحجة.

---

(1) بحار الأنوار ١٤: ٣٢٣/ ح ٣٣.

الحجة الظاهرة والباطنة:

والرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام تقول:

«إنّ لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة، وأما الباطنة فالعقول».[1]

ولهذا يقول علماء الإسلام: إنّ الأدلة الشرعية أربعة: العقل، والقرآن والسُّنة، والاجماع.

نعتقد في الشرع أنّ العقل دليل شرعي، أي إذا قال العقل بأن السرقة حرام حتى مع عدم وجود آية أو رواية لدينا على ذلك فإن ذلك كافٍ في الدليل على حرمة السرقة شرعاً. وهكذا الغصب. وأكثر الدين هو في الحقيقة عقل، والوحي مكمل له.

حق الطريق:

فمثلا في الرواية عن الرسول صلى الله عليه وآله: «إياكم والجلوس في الطرقات».

قالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها.

قال: «فأما إذا أبيتم إلاّالمجلس فاعطوا الطريق حقه» _ أي للجلوس في الطريق آداب _.

قالوا: يا رسول الله فما حق الطريق؟

قال: «غض البصر، وكفّ الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».[2]

تأمل في هذا الحديث تجده حكماً عقلياً قبل أن يكون وحياً سماوياً، والحكيم العاقل يؤيد هذه القضايا، فلا حاجة بالضرورة إلى جبرئيل أن يأتي بها، بل إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله اكتشفها بعقله. ولهذا يقول الفقهاء في علم أصول

(1) الكافي ١: ١٦/ ح ١٢.

(2) مسند أحمد ٣: ٣٦؛ كنز العمال ٩: ١٤٠؛ ...

الفقه: «كل ما حكم به العقل حكم به الشرع»[1] كحرمة الكذب والسرقة والغصب، ووجوب إنقاذ الإنسان، والبرّ بالوالدين وما شاكل ذلك.

العقل والحياء والدين:

هبط جبرئيل عليه السلام على آدم عليه السلام وقال: يا آدم إني أُمرت أن أخيرك واحدة من ثلاث، فاخترها ودع اثنتين، فقال له آدم: يا جبرئيل وما الثلاث؟

فقال: العقل والدين والحياء (والحياء يعني القيم الأخلاقية). فاختار آدم العقل، فقال جبرئيل للحياء والدين انصرفا ودعاه، فقال الحياء والدين: إنّا أُمرنا أن نكون مع العقل حيث كان.

فقال جبرئيل: فشأنكما وعرج.[٢]

الحجة يعني الدليل والبرهان، ولكن هناك دليل تعبدي، وهناك دليل عقلي.

الأنبياء والأئمّة المعصومون عليهم السلام هم دليل عقلي وحجة يعرفها العقل والوجدان، والفقهاء هم دليل تعبدي وحجة تدلّ عليها النصوص الشرعيّة.

الأئمّة عليهم السلام حجة علمية:

الأئمّة عليهم السلام حجة علمية وبرهانية ومنطقية، بحيث أن كل من رآهم وسمع حديثهم يذعن لهم، ليس على سبيل القوة والخوف، بل بالدليل العلمي والقناعة الوجدانية.

مناظرة مع الخليفة الأوّل:

ذات يوم جاء أحد الأحبار أيام الخليفة أبي بكر وقال: يا أبا بكر أنت خليفة نبيكم؟

(1) أصول الفقه للمظفر ١: ١٨٩.

(2) الكافي ١: ١٠؛ الخصال: ١٠٢؛ بحار الأنوار ١: ٨٦.

قال: نعم.

قال: نجد في التوراة أن خلفاء الأنبياء أعلم أممهم، فخبّرني أين الله، في السماء أم في الارض؟

قال أبو بكر: دع عنك هذا الكلام، فإنّه كلام الزنادقة، أعزب عني وإلاّ قتلتك.

فولى الرجل مستهزئاً بالإسلام.

فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا يهودي، قد عرفت ما سألت عنه، سأجيبك عنه.

يا يهودي: إنّا نقول أنّ الله عزّ وجلّ أيّن الأين فلا أين له، وجلّ عن أن يحويه مكان وهو في كل مكان...، وإنّي مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم يصدق ما ذكرته لك، فإن عرفته أتؤمن به؟

قال: نعم.

قال: ألستم تجدون في بعض كتبكم أنّ موسى عليه السلام كان ذات يوم جالساً إذ جاءه مَلَكٌ من المشرق فسأله: من أين أتيت؟

قال: من عند الله.

ثم جاء ملك من المغرب، وسأله: من أين جئت؟

قال:جئتك من عند الله.

فقال موسى عليه السلام: سبحان من لا يخلو منه مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان.

قال اليهودي: أشهد أن هذا هو الحق المبين، وأنك أحق بمقام نبيك ممن استولى عليه.[١]

---

(1) أنظر: الإرشاد ١: ٢٠٢؛ الاحتجاج ١: ٣١٢؛ بحار الأنوار ٣: ٣٠٩.

هـذا اسـتدلال علمـي، فالحجـة تعنـي الـدليل العلمـي ولـيس مـا يفـرض بالقهر كما يصنعه الطغاة والجبابرة.

الفقيه حجة تعبدية:

وهناك حجة تعبديّة وهم الفقهاء، فإنّهم حجة الله على الخلق، لكن هذه الحجة قائمة على أساس الروايات، فإنّ الفقيه ليس له معجزة، والعقل وحده لا يكفي للبرهان على ضرورة الرجوع إلى الفقيه والارتباط به والطاعة له.

الرواية تقول: «الفقهاء أمناء الرسل».[1] نحن لا نطالب الفقيه بأن يأتي بقرآن أو عصا موسى، وهو يقول: إنّي لا أشق القمر ولا أحيي الموتى ولا أبرء الأكمه والأبرص، بل انّي بمقتضى تكليفكم من أئمتكم أن تأخذوا الحكم مني.

ويمكن للفقيه أن تكون لديه علوم كثيرة وكرامات، ولكن لا معجزة لديه.

قصة المحقق الكركي:

مثلا: المحقق الكركي ﵀، وكان عالماً إسلامياً وفقيهاً عربياً أيام تأسيس الحكومة الصفوية في ايران سنة ٩١٨ هـ حيث اعتنقت ايران مذهب التشيع، وكانت الحكومة العثمانية في تركيا سنيّة، فأرسل السلطان العثماني إلى السلطان الصفوي سفيره في ايران وقال: لدي اشكال على مذهبكم، ذلك أنه باعلان حكومتكم اعتناق التشيع عام ٩١٨، فحسبنا ذلك بحساب الحروف والجمل فظهر أنّه يعادل (مذهب نا حق) أي مذهبكم مذهب لا حقّ، إذ أنّ (نا) بالفارسية تعني لا.

لم يعرف الملك إسماعيل الصفوي الجواب، فسأل الكثير من الناس فلم يعرفوا الجواب، فسأل المحقق الكركي فقال: نحن عرب ومذهب نا حق تكون بلغتنا: (مذهبنا حق) وحل الاشكال.[2] هذا هو دور العلماء، إنّهم حجة تعبدية، أي نتعبد بآرائهم.

---

(1) أنظر: الكافي ١: ٤٦؛ بحار الأنوار ٢: ٣٦/ ح ٣٨.

(2) أنظر: جامع المقاصد ١: ٣٤.

المقصود من الأولى:

ما هو المقصود من الآخرة والأولى؟

فهل يُقصد من الأولى الدنيا؟ كلا، فقد ذكر الدنيا بالصراحة قبل ذلك حينما قال «وحجج الله على أهل الدنيا».

لا بدّ أن يكون هناك شيء آخر غير الدنيا.

عندنا عالمان: عالم ما قبل الدنيا، وعالم ما بعد الدنيا.

رحم الله العلامة الكبير الفيلسوف المفسر العلامة الطباطبائي ﷺ، له ثلاثة رسائل: رسالة الإنسان ما قبل الدنيا، رسالة الإنسان في الدنيا، ورسالة الإنسان ما بعد الدنيا، وهو يناقش نقاشاً قرآنياً فلسفياً: ماذا كان الإنسان قبل الدنيا وبعدها حسب النظرية القرآنية؟

المقطع المذكور من الزيارة الجامعة يقول: إنّ الأئمّة حجج الله على أهل الدنيا وما قبل الدنيا وما بعدها.

نريد أن نعرف ما معنى: إنّهم حجج الله قبل الدنيا، هل كان هناك إنسان قبل الدنيا؟

ربما تكون البشرية قد بدأت بآدم ولم يكن قبل ذلك إنسان، والمدة الزمنية منه إلى يومنا هذا هي أقل من عشرين ألف سنة في أقصى التقادير.

يمكن أن تستند هذه النظرية إلى قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتى عَلَى الإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾(١) **فالإنسان لم يكن موجوداً قبل خلقه من نطفة. أي يقف التأريخ عند آدم ولا شيء قبله، ثم بدأ خلق الإنسان.**

إنّ ﴿هَلْ أَتى﴾ **في الآية يعني (أتى) أي أنّ (هل) زائدة مثل** ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ

---

(1) الإنسان: ١ و٢.

الْقِيامَـةِ﴾[1] أي أقسم... وجميعنا نستعمل هذه الألفاظ الزائدة في كلامنا. فالآية ـ في ضوء هذا التفسير ـ تقول: أتى على الإنسان مدة من الدهر لم يكن له وجود قبلها، وربما يكون ذلك دالاً على أنه لم يكن للإنسان وجود قبل آدم، والله العالم.

الإنسان قبل الدنيا:

النظرية الثانية: وهي التي يتفق عليها علماء الإسلام، والروايات فيها صحيحة متواترة ومستفيضة ونزل القرآن فيها هي: إنّ الإنسان كان له قبل عالم الدنيا وجود من نمط آخر، وبنشأة وطريقة أخرى، يمكن أن نسميها الطريقة الإجمالية، ثم نزل من ذلك العالم الى هذا العالم. هذه النظرية يسميها المفسرون نظرية عالم الذر.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلِينَ﴾[2] أي قبل أن يخلقكم الله في الدنيا بهذه الخلقة ﴿نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ﴾[3] أي من لحم وعظم، أخرجكم الله جميعا في عالم آخر من أصلاب الآباء، وكان هناك مشهد عظيم فيه مليارات البشر اجتمعوا في ذلك العالم في صفوف، فخاطبهم الله جميعاً وهم يسمعون: ألست بربكم؟

قالوا: بلى.

فقال: أشهدتكم بأنّي ربكم، الآن أميتكم ثم أخلقكم في عالم الدنيا.

والله حينما خلق آدم أخرج من ذريته كل البشر وجمعهم وعددهم بالمليارات ولا يرون بالعين، بل هم بحجم الذر، ولكن في كل واحد منهم خصال فلان بن فلان. فكل ما يحمله أحدكم من صفات وألوان كان موجوداً ومدخراً في قالب النطفة التي لا ترى بالعين. والعلم يثبت ذلك اليوم، سبحان الله الذي خلقهم. كان هذا موجوداً في ظَهر آدم.

---

(1) القيامة: ١.
(2) الأعراف: ١٧٢.
(3) الإنسان: ٣.

هذا الحديث يسهل استيعابه، وما يقال اليوم من أنّ قرص (السيدي) فيه عشرة آلاف كتاب لو كان يقال قبل خمسين عاماً لقالوا هذا كلام مجنون، ولكن العلم اليوم قد حقق ذلك، والله ﷻ قادر على أكثر من ذلك.

إنّنا لا نذكر هذا الاجتماع الذي كان في عالم الذر، بل الله يخبرنا أنّكم اجتمعتم في مكان آخر إلا أنكم نسيتم الاجتماع، ولكن تذكرون بفطرتكم الميثاق الذي أخذه الله عليكم بأن تؤمنوا به وبرسوله وبولاية أهل البيت عليهم السلام، فالإنسان موحّد بالفطرة.

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.(١)

تبلغ روايات عالم الذر والطينة والنور العشرات.

الطينة بمثابة العجينة التي يخبز منها الخباز آلاف الأرغفة في أشكال مختلفة، فالبشر من طينة واحدة ولكن انقسمت إلى صالح وطالح، مؤمن وكافر، ولكلٍ درجات.

هذه الروايات صحيحة وليست ضعيفة، إذن المقصود من (الأولى) هو عالم الذر.

وكان الأئمّة الأطهار عليهم السلام في ذلك العالم أنواراً تتلألأ، ولما رأى آدم النور ساطعاً من صلبه سأل: ما هذه الأنوار؟

جاء الجواب: انظر يا آدم إلى ذروة العرش، فنظر آدم ووقع نور أشباحهم على ذروة العرش، فانطبع فيه صور أنوارهم... فقال الله: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي...(٢)

في ذلك العالم كانوا عليهم السلام حججاً على الخلائق أيضاً.

---

(1) الزمر: ٣٨.

(2) بحار الأنوار ١١: ١٥١/ ح ٢٥.

وهنــاك بحــث قرآنــي يُســمى بحــث الأســماء، قــال تعــالى: ﴿وَعَلَّـمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ﴾[1] **فكانــت تلــك الهويــات والكائنــات هــم الأئمّــة الأطهــار** عليهم السلام**. وقــد اســتغربت الملائكــة مــن الأمــر بالســجود لآدم، وقــالوا:** ﴿وَنَحْـنُ نُسَـبِّحُ بِحَمْـدِكَ وَنُقَـدِّسُ لَـكَ﴾[2] **وأنت تأمرنا بالسجود لإنسان سيكون من ذريته الفاسق والفاجر؟**

قــال ســبحانه: ﴿إِنِّـي أَعْلَـمُ مـا لا تَعْلَمُـونَ﴾[3] **إذ ســيكون مــن ذريتــه الأئمّــة الأطهار وحجج الله على أهل الدنيا.**

يا آدم أنبئهم من هؤلاء، فأنبأهم فقال: هذا رسول الله، وهذا عليّ، وهذه فاطمة و... هؤلاء سادات الوجود، وبذلك استحق آدم أن يسجدوا له، لأن من ذريته سادات الكون بحيث لولا هم ما خلق الله سماءاً مبنية ولا أرضاً مدحية.

تمـر عليـك أحيانـا حادثـة فتقـول: سـبحان الله إن هـذه الحادثـة نفسـها قـد مـرّت بـي ولكـن لا تـدري متـى وقعت، وهـذا الشـخص قـد رأيتـه ولكـن لا تـدري أين، وعلم النفس لم يستطع لحد اليوم أن يحلل ذلك.

تقــول الروايــات: «الأرواح جنــود مجنــدة، مــا تعــارف منهــا ائتلــف، ومــا تناكر منها اختلف».[4]

الاستفهام التعجبي والانكاري:

فــي القــرآن اســتفهامان تعجبيــان مــن الأنبيــاء عــن الحيــاة بعــد المــوت؟

---

(1) البقرة: ٣١ - ٣٣.
(2) البقرة: ٣٠.
(3) البقرة: ٣٠.
(4) الكافي ٢: ١٦٨؛ أمالي الصدوق: ٢٠٩؛ بحار الأنوار ٢: ٢٦٥.

الكافرون ينكرون الحياة بعد الموت، ويقول أحدهم: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[1] **وهذا استفهام نفي وانكار وهو حرام وكفر.**

ولكن الأنبياء وهم معصومون يستفهمون أيضاً، ولكنه استفهام تعجبي وليس استفهاماً انكارياً، مثل سؤال إبراهيم عليه السلام وعزير عليه السلام عن رجوع الأرواح بعد الموت؟

في قصة عزير (٤٦١ قبل الميلاد) الذي أرسله الله إلى بني إسرائيل أيام نبوخذ نصر الذي سلطه الله على اليهود قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ﴾.[2]

قصة النبي عزير:

جاء بنو إسرائيل إلى النبي عزير عليه السلام وقالوا: إنّك تتنبّأ بأنّنا نُقتل جميعاً على يد نبوخذنصر، ألا تسأل ربك عن السبب في ذلك؟

فصام سبعاً ثم سبعاً، لأنه يريد الكشف عن ما وراء الأفق، فإنّ هذه القدرة ليست يسيرة، فالصوم فيه تربية روحية، ولكنه لم يكشف شيئاً بعد الأسبوع الأوّل، فصام الأسبوع الثاني ثم الثالث، إنّ النبي لا يقرأ الكتب، بل يصوم ويصلي فيفتح له ويكتشف الحقيقة، إنّه ليس كابن سينا وإفلاطون.

بعد الأسبوع الثالث انكشفت له الحقيقة، فأوحى له الله تعالى: أن قل لهم: «رأيتم المنكر فلم تنكروه» أي أنّ هذه هي مشكلتكم، فكبرت شجرة المنكر فأكلت كل الأوراق والأشجار الصحيحة. قال تعالى: ﴿كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾.[3]

استأذن عُزير من نبوخذنصر بعد أن أخبره أنه سوف ينتصر على اليهود

---

(1) يس: ٧٨.

(2) البقرة: ٢٥٩.

(3) المائدة: ٧٩.

وقال إني أرجع إلى موطني بابل، في الطريق مرَّ على قرية وكان معه طعام وشراب، فرآى أنّ أهلها ميتون ودورها خراب والسقوف واقعة على الأعمدة، وقف وتعجب من هذا المشهد وقال ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[1] **حيث أنّ العظام مختلطة** ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ **فبعثه الله وسأله: كم لبثت؟**

نظر عزير إلى الشمس فرآها ستغرب قريبا، فقال: ﴿لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، **قال الله تعالى:** ﴿بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾.

﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ **فإنهما لم يفسدا** ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ **فإنّ عظامه أصبحت هشيما وأخبره** ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ **إنّك تتعجب وتقول: أنّى يحيي هذه الله بعد موتها، الآن سوف ترى. أنظر إلى عظام الحمار، أمرها الله فاجتمعت ثم نبت عليها اللحم فأصبحت حمارا.** ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

حجج الله في الآخرة:

نحن المؤمنون لا نشك بيوم القيامة، ولكن كيف يكون أهل البيت عليهم السلام حجج الله في عالم الآخرة أيضاً؟

معناه أننا نحتاجهم هناك أيضاً لإنقاذنا من النار وإدخالنا في الجنة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت».[2]

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويرجئ التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا قول الزاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أُعطي منها لم يشبع وإن مُنع منها لم يقنع».[3]

---

(1) البقرة: ٢٥٩.

(2) الخصال: ٢٥٣؛ بحار الأنوار ٧: ٢٥٨/ ح ١.

(3) نهج البلاغة ٤: ٣٨/ح ١٥٠.

هناك منازل يوم القيامة أولها معاينة ملك الموت.

الثاني: القبر.

الثالث: الحشر.

الرابع: العبور على الصراط.

الخامس: تطاير الكتب.

السادس: الوقوف بين يدي الله.

السابع: تمايز الناس قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[1] ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾.[2]

نحن في هذه المنازل بحاجة إلى الأئمّة الأطهار وشفاعتهم وحضورهم.

رأس الحسين عليه السلام حجة إلهية:

كان رأس الحسين عليه السلام حجة من حجج الله.

روي عن سليمان بن مهران بن الأعمش قال: بينما أنا في الطواف بالموسم إذ رأيت رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم اغفر لي، وأنا أعلم أنك لا تغفر، قال: فارتعدت لذلك ودنوت منه وقلت: يا هذا أنت في حرم الله وحرم رسوله وهذه أيام حرم في شهر عظيم، فلِمَ تيأس من المغفرة؟

قال: يا هذا ذنبي عظيم.

قلت: أعظم من جبل تهامة.

قال: نعم... فإن شئت أخبرتك.

قلت: نعم.

---

(1) الشورى: ٧.

(2) الواقعة: ٨٨ - ٩٤.

قال: اخرج بنا من الحرم، فخرجنا منه.

فقال لي: أنا أحد من كان في العسكر المشؤوم عسكر عمر بن سعد حين قتل الحسين، وكنت أحد الأربعين الذين حملوا الرأس إلى يزيد من الكوفة، فلما حملناه في طريق الشام نزلنا على دير للنصاري، وكان الرأس معنا مركوزاً على رمح، ومعه الحراس، فوضعنا الطعام وجلسنا لنأكل، فإذا بكف في حائط الدير تكتب:

أترجو أمة قتلت حسيناً ... شفاعة جده يوم الحساب

قال: فجزعنا من ذلك جزعاً شديداً، وأهوى بعضنا إلى الكف ليأخذها فغابت، ثم عاد أصحابي إلى الطعام فإذا الكف قد عادت تكتب:

فلا والله ليس لهم شفيع ... وهم يوم القيامة في العذاب

... ثم أشرف علينا راهب من الدير، فرأى نوراً ساطعاً من فوق الرأس، فأشرف فرأى عسكراً، فقال الراهب للحراس: من أين جئتم؟ قالوا: من العراق، حاربنا الحسين، فقال الراهب: ابن فاطمة بنت نبيكم وابن عم نبيكم؟

قالوا: نعم.

قال: تباً لكم، والله لو كان لعيسى بن مريم ابن لحملناه على أحداقنا، ولكن لي إليكم حاجة، قالوا: وما هي؟ قال: قولوا لرئيسكم عندي عشرة آلاف درهم... يأخذها ويعطيني الرأس يكون عندي إلى وقت الرحيل... فأخبروا رئيسهم بذلك فقال: خذوا منه الدنانير وأعطوه الرأس إلى وقت الرحيل...

فأخذ الراهب الرأس فغسله ونظفه وحشاه بمسك وكافور كان عنده، ثم جعله في حريرة ووضعه في حجره، ولم يزل ينوح ويبكي حتى نادوه وطلبوا منه الرأس، فقال: يا رأس والله لا أملك إلا نفسي،

فـإذا كـان غـداً فاشـهد لـي عنـد جـدك محمّـد أنـي أشـهد أن لا إلـه إلا الله، وأن محمّداً عبده ورسوله...[١]

وروي أن الأبيـات وجـدت مكتوبـة فـي كنيسـة مـن كنـائس الـروم، فقيـل لهـم: مـن كتـب هـذا فـي كنيسـتكم؟ قـالوا: قبـل مبعـث نبـيكم بثلاثمائـة عـام. وفـي رواية أخرى: قبل أن يخرج نبيكم بستمائة عام.[٢]

إنا لله وإنا إليه راجعون

* * *

(1) بحار الأنوار ٤٥: ١٨٦.

(2) تاريخ دمشق ١٤: ٢٤٣؛ البداية والنهاية ٨: ٢١٨؛ ...

المحاضرة الثانية عشرة:

معرفة الله تعالى

«السلام على محالّ معرفة الله»

حديثنا هذه الليلة حول هذا المقطع من الزيارة:

«السلام على محالّ معرفة الله».

إنّ أهـل البيـت عليهم السلام هـم الموضـع الـذي حلّـت فيهـا المعرفـة الكاملـة بـالله تعـالى، فقـد وزّعَـت معرفـة الله علـى العبـاد، وكـان النصـيب الأوفـر منهـا عنـد الأنبيـاء وأهـل بيـت النبـوة علـيهم الصـلاة والسـلام، ومـا عـداهم إمـا لـيس لـديهم معرفة، أو تكون معرفتهم جزئية، أو هي بمستوى دون معرفة الحيوانات بربها.

إن كل الوجود له معرفة بالخالق، ويسير سيراً طوعيا في طاعة الله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾.[1]

معرفة الله:

هناك حديث علمي عن معرفة الله سبحانه، حيث نطرح بشأنها عدة أسئلة:

١ _ ما هي مصادر معرفتنا بالله؟

٢ _ هل معرفتنا بالله كاملة أو ناقصة؟

٣ _ ما هي الطرق لمعرفة الله؟

هذه بحوث علمية نخلطها بالروايات وقصص الأنبياء والمواعظ والحِكم.

قصة السيد المسيح:

كـان المسـيح عليه السلام كثيـر السـيح فـي الـبلاد، وذات يـوم كـان مـع ثلاثـة نفـر مـن أصـحابه، فمـرّوا بثلاثـة أحجـار مـن الـذهب، فقـال لهـم إن هـذا يقتـل النـاس، ومضـوا فأخـذ كـل مـن هـؤلاء الثلاثـة مـن أصـحابه يفكـرون بحيلـة يرجعـون بهـا

---

(١) فصلت: ١١.

ويحصلون على الذهب، وبالفعل فقد طلبوا من السيد المسيح الانسحاب عنه واعتذروا له بعذر من المعاذير، فأذن لهم السيد المسيح، فانصرف الأوّل، والثاني، والثالث، والتقوا كلهم عند الأحجار الثلاثة، فقالوا لأحدهم حتى يتخلصوا منه اذهب للمدينة واجلب لنا طعاماً، وفي الطريق لقيه إبليس فقال له: لماذا توزع الأحجار الثلاثة بينكم والأفضل هو أن تأخذها وحدك وتسمّم الطعام لكي تتخلص من صاحبيك، وفعلاً اشترى الطعام وسمّمه، وفي المقابل اتفق الآخران بعد أن انصرف عنهم صاحبهم على قتله إذا عاد ثم اقتسام أحجار الذهب بينهما، ولما رجع إليهما قتلاه قبل تناول الطعام، ثم أكلا الطعام فماتا من أثر السم. فوصل الخبر إلى عيسى عليه السلام فرجع إليهم وهم موتى حوله، فأحياهم بإذن الله تعالى ذكره، ثم قال: ألم أقل لكم إنّ هذا يقتل الناس؟[1] إن مسيرة الأنبياء فيها الكثير من العبر والحِكم.

مصدر معرفتنا بالله:

ما هو مصدر معرفتنا بالله؟

هل هو العين؟ كلا.

وهل هو السمع؟ كلا، لأنّ الله لا يُرى بالعين ولا يُسمع بالأذن.

إن المصدر الأوّل لمعرفة الله عزّ وجلّ هو العقل، والمصدر الثاني هو الوحي، فالعقل يعطينا معلومات إجمالية عن الخالق أو الرب لهذا الوجود، والمعرفة التفصيلية يعطيها الوحي، فنحن نقول على أساسه أن الله سميع، بصير، جميل، كبير، لطيف، خبير، متكبر، مالك، ذو جبروت، على العرش استوى، كان عرشه على الماء، والعقل يؤيد ذلك، ولكنه لا يقول: إنّ الله طويل، لأنّ ذلك يعني أنه جسم أو مادة والله تعالى ليس جسماً ولا مادة.

---

(١) أنظر: أمالي الصدوق: ٢٤٧/ ح ٢٦٧/ ٥.

أنقل لكم بعض ما جاء على لسان أهل البيت عليهم السلام في معرفة الله تجدونه شيئا جميلا للغاية، كقول الإمام: «يا أقرب من كل قريب، يا أحب من كل حبيب، يا أبصر من كل بصير، يا أخبر من كل خبير، يا أشرف من كل شريف، يا أرفع من كل رفيع، يا أقوى من كل قوي، يا أغنى من كل غني، يا أجود من كل جواد، يا أرأف من كل رؤوف».[١]

وتبقى معرفتنا بالله ناقصة، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾،[٢] ومعلوماتنا جزئية وليست كافية عن خالق السماوات والأرض، ولكن هذه المعلومات تكاملت عند النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام، بحيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كُشِفَ لي الغطاء ما ازددت يقينا»،[٣] وعن النبي صلى الله عليه وآله: «يا علي ما عرف الله حق معرفته غيري وغيرك».[٤]

طبقات الناس في المعرفة:

يقول العلامة الطباطبائي رحمه الله صاحب تفسير الميزان في كتاب له اسمه (رسالة الولاية): إن الناس بالنسبة لمعرفة الله والاتصال به على ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: هي تامة الارتباط بالله، وهم أصحاب معرفة كاملة.

الطبقة الثانية: لها ارتباط بالله، لكنه ارتباط غير تام ومنقطع نسبياً.

الطبقة الثالثة: ليس لها ارتباط بالله تعالى، بل هم من الغافلين.

طريق معرفة الله:

هناك طريقان لمعرفة الله هما: طريق الاستدلال العلمي، وطريق الإشراق الروحي.

---

(١) البحار المجلسي ٩١: ٣٩٠؛ مفاتيح الجنان: دعاء الجوشن الكبير.

(٢) طه: ١١٠.

(٣) مناقب آل أبي طالب/ابن شهر آشوب ١: ٣١٧؛ شرح نهج البلاغة/ابن أبي الحديد ١١: ٢٠٢.

(٤) مناقب آل أبي طالب/ابن شهر آشوب ٣: ٦٠.

يقول العلامة الطباطبائي: على مستوى الإشراق الروحي توجد طبقة من الناس لها انقطاع تام إلى الله تعالى بحيث لا يحجبها عنه سمع ولا بصر، وترى بروحها التي لا حدود ولا حواجز تقف أمامها. ولمعرفة الله يحتاج الإنسان إلى انقطاع حتّى يرى بروحه ويعرج قلبه إلى الله وليس عينه، فالإنسان الأعمى لا يرى ولكن روحه هي التي ترى، والرؤية بالروح أقوى من الرؤية بالعين، وقد كان رسول الله ﷺ تام الانقطاع إلى الله بحيث لا يشغله عنه أكل ولا شرب ولا سمع ولا بصر، ولذا كان يرى من خلفه كما يرى من بين يديه، إذ أنّ روحه هي التي تسيطر على ما يحيطه. كانت عينه تنام ولا ينام قلبه، إذن تكون الرؤية والمشاهدة الحقيقية في القلب، فنحتاج أن نعبر هذه السدود وهذا القفص وهو البدن الذي يمنعنا من المشاهدة الحقيقية، قال تعالى: ﴿وَكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماوات وَالأَرْضِ﴾.(١)

ويكون للإنسان أحيانا قلب متوهج بحيث يسمع نداء الله ويبكي من خشيته، وتكون له محبة عجيبة بينه وبين الله «يا أحبّ من كل حبيب» ولهذا نقرأ في الدعاء عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في المناجاة الشعبانية: «الهي هب لي كمال الانقطاع إليك».(٢)

سئل الإمام عليّ عليه السلام: هل رأيت ربك حين عبدته؟

قال: ما كنت لأعبد رباً لم أره، وأوضح ذلك بأنه: لا تدركه العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان.(٣)

نحن نقرأ في تعقيبات الصلاة، وهو دعاء علّمه النبي ﷺ علياً: «سبحان من لا يعتدي على أهل مملكته، سبحان من لا يؤاخذ أهل الأرض

---

(١) الأنعام: ٧٥.

(٢) إقبال الأعمال/ الصدوق ٣: ٩٨/ ح ٦.

(٣) أنظر: الكافي/ الكليني ١: ٩٨/ ح ٦.

بألوان العذاب، سبحان الرؤوف الرحيم، اللهم اجعل لي في قلبي نوراً وبصراً وفهماً وعلماً إنك على كل شيء قدير».[١]

إن التأمل في القرآن والأدعية والأحاديث يكشف لنا معانياً جديدة رائعة، فالدعاء يقول: اللهم اجعل لي في قلبي نوراً فيفتح لي الأفق فأرى عالم الآخرة وعالم القبر. ولا يتم ذلك بدون النور في القلب، أي يجب أن يكون للقلب قدرة إشراق يعبر بها الحدود المادية. إن العين مطلوبة، ولكن إذا كانت الحركة ميتة في داخل القلب فإنّ الإنسان لا يرى أيضاً.

يجب أن نسأل أنفسنا: هل نمتلك النور والبصر في القلب؟

الجواب: نعم، ولكن بمقدار ما عندنا من محبة الله وولاية النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، وإذا كان الإيمان ضعيفاً فقدنا النور والبصر في قلوبنا.

قلنا: إن المعرفة بالله تتم إمّا باستدلال برهاني أو بكشف وإلهام روحي وهو طريق إشراق الروح، قال تعالى: ﴿سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾[٢] ثم أُسري بالنبي ﷺ إلى السماء ﴿فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى * فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى * ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى﴾.[٣]

هل تأملتم هذه الآية؟ إنّها تقول: ما كذب الفؤاد، ولم تقل: ما كذب البصر، أي أنّ ما رآه لم يكن بالعين، بل بالفؤاد ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى * عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى * ما زاغَ الْبَصَرُ وَما طَغى * لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى﴾.[٤]

---

(١) فلاح السائل/ ابن طاووس: ١٦٨.

(٢) الإسراء: ١.

(٣) النجم: ٩ - ١١.

(٤) النجم: ١٣ - ١٨.

الغذاء الروحي:

المدرب الرياضي يقدم تعليمات يومية لمن يدربه، بأن يتناول قدحاً من عصير البرتقال وقدحاً من الحليب وربع كيلو غرام من اللحم وهكذا، فإن العظام تحتاج إلى هذه الكمية من الأملاح، والبصر يحتاج إلى هذا الفيتامين، كل ذلك لكي يكون بدنه مؤهلاً، فهل نحتاج لكي يكون لنا إشراق روحي أكل اللحوم والحليب؟ كلا، نحن نحتاج إلى تربية ورياضة روحية، والإشراق الروحي يحتاج إلى صلاة وصوم واستغفار وتهجد ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾،[1] أي تهجّداً بالليل لكي يكون عندك إشراق، وهذه التربية الروحية التي وصل إلى قمتها الأنبياء عليهم السلام يمكن لغيرهم أن يتدرجوا فيها حتى تكون لديهم تجربة الاشراق.

حقيقة قرآنية:

ويحدثنا القرآن الكريم عن حقيقة عظيمة رائعة ومذهلة، هي أنّ الجنة والنار وعالم الآخرة موجود أمامكم ولكنكم لا ترونه، ولو كشف لكم الغطاء لرأيتموه بالفعل كما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾،[2] أيها الإنسان كان الغطاء على عينيك في الدنيا فلا ترى، فالذي تراه يوم القيامة كان موجوداً في الدنيا لكنك لم تملك الحاسة، وكان بصرك وسمعك محدودا ببعض الأمواج والذبذبات واليوم أصبحت ترى، ولو كانت لديك حالة كشف وإشراق وفتح في القلب لكنت ترى أو تصل على الأقل إلى مرحلة (كأنّ) التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وآله حينما سُئل عن الاحسان في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

---

(١) الإسراء: ٧٩.

(٢) ق: ٢٢.

الْمُحْسِنِينَ﴾[١] بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»،[٢] لأنك لا تستطيع أن تصل إلى مرحلة (إنّ) فترى الله سبحانه كما رآه موسى وإبراهيم.

وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام المتقين بأنهم وصلوا إلى مرحلة (كأنّ) بقوله: «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة ...، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها».[٣]

نحن لا نرى الجنة الآن، لكن يجب أن نصل إلى كمن قد رآها، لا نرى النار، لكن يجب أن نصل إلى مستوى كمن رآها. وأصحاب الحسين عليه السلام وصلوا إلى مرحلة في يوم عاشوراء، نظروا مواقعهم ومقاماتهم في الجنة بعمق الإشراق، قال الحسين عليه السلام لأحدهم وقد بلغه أنّ ابنه قد أسره الروم: خذ المال واستعن به على فكاك ابنك، وأنت في حلّ مني، وكان ذلك عذراً حقيقياً، فرفض ذلك وأبى إلاّ أن يبقى ويستشهد مع الحسين عليه السلام.[٤]

هذا انقطاع كامل، ولذلك يمكن للانسان بقدر ما ينقطع عن الدنيا أن يرى أشياء كثيرة ويتنبّأ بها عن طريق الكشف القلبي.

المسير الأنفسي والآفاقي:

يقول العلماء: إنّ السير والسلوك إلى الله يكون مرة آفاقياً ومرة أنفسياً، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾[٥] السير الآفاقي: هو أن ينظر

(١) البقرة: ١٩٥.
(٢) شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١١: ٢٠٣؛ كنز العمال ١: ٢٧٣/ ح ١٣٥٩.
(٣) نهج البلاغة ٢: ١٦١/ خ ١٩٣.
(4) أنظر: بحار الأنوار ٤٤: ٣٩٤؛ مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٥٦.
(٥) فصلت: ٥٣.

العجائب في الأرض والكواكب والجبال وأعماق البحار ويقول سبحان الله، والسير الأنفسي: يكون من خلال التأمل والغور في أعماق النفس، فيكتشف الإنسان ربه.

يقول القرآن الكريم في قصة موسى: ﴿وَواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[1] **قال الله ﷻ له: انقطع لي ثلاثين ليلة، ثم أضاف إليها عشر ليالٍ وصارت أربعين ليلة حتى تنفتح له الآفاق وتنزل عليه الصحف، وهناك يحصل الكشف الحقيقي.**

وبعد الانقطاع عن الدنيا ومجاهدات روحية قال: ﴿ رَبِّ أَرِني أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَراني وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَراني﴾.[2]

لو أراد الإنسان أن يرى الشمس من قرب فإنّه سوف يحترق بصره، فكيف يرى الله سبحانه؟ عندما تجلى الله للجبل جعله دكاً وانهار ﴿وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً﴾ **وأغمي عليه** ﴿فَلَمَّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾،[3] **لا يمكن أن أراك بهذه العين، ويوم القيامة تزول الحجب ويشرق كل البشر ليعرفوا الله تعالى معرفة حقيقية تامة ليس فيها غموض، وأما في الدنيا فإنّ الناس ضعفاء، يقول عنهم القرآن الكريم:** ﴿يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ﴾،[4] **وذلك لأنّ هناك غلاف يحيط الآخرة، فالآخرة هي باطن الدنيا، فإذا عرف الإنسان الطريق إليها عرف ما بداخلها.**

معرفة أهل البيت عليهم السلام بالله تعالى:

ان من يقرأ سيرة الأئمّة الأطهار عليهم السلام من أهل البيت عليهم السلام ومواقفهم

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) الأعراف: ١٤٣.

(٣) السابق.

(٤) الروم: ٧.

وسولكهم وأحاديثهم وادعيتهم يجد بوضوح أنهم قد بلغوا القمّة في معرفة الله تعالى كما بلغوا القمة في الارتباط به.

اننا لا نحتاج إلى برهان على هذه الحقيقة أكثر من النظر في عبادتهم وارتباطهم بالله تعالى فالتاريخ لا يحدثنا عن أحد كان من عادته أن يغمى عليه وهو في أثناء الصلاة كما حدثنا عن أمير المؤمنين عليه السلام.

والتاريخ لا يحدثنا عن أحد كان يصفر وجهه مرّة ويحمر أخرى إذا هو وقف للصلاة بين يدي الله تعالى كما يحدثنا عن الإمام زين العابدين عليه السلام.

المسألة هنا ليست مسألة كثرة صلاة وصيام، إنما هي مسألة قلب انكشفت أمامه حقيقة فكان قاب قدوسين أو أدنى كما يحدثنا القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وآله في قصة الإسراء والمعراج.[١]

إشراقات حسينية:

في كربلاء تجلّت للحسين عليه السلام كل القيم البشرية والمعرفة الإلهية.

يقول حميد بن مسلم: والله ما رأيت مكسوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً.[٢]

وقال هلال بن نافع: فوالله ما رأيت قتيلاً مضمخاً بدمه أحسن منه ولا أنور وجهاً، ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيئته عن الفكرة في قتله.[٣]

كان للإمام الحسين عليه السلام دعاءان، الأوّل في أوّل يوم عاشوراء، والثاني آخر يوم عاشوراء، ولو درس الإنسان عشرات السنين فإنه لا يصل إلى مستوى دعاء الحسين عليه السلام.

---

(1) البحار ٥٠: ٣١١.

(٢) الإرشاد ٢: ١١١.

(٣) اللهوف: ٧٠؛ البحار ٤٥: ٥٧. وهو غير هلال بن نافع الذي قتل مع الحسين عليه السلام.

يقول المؤرخون: لما رأى الحسين عليه السلام جمعهم كأنه السيل دعا ربه: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته اليك رغبة مني إليك عمّن سواك ففرّجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة».[1]

وفي آخر يوم عاشوراء قال وهو مسجى على التراب وأصبح لا يرى بينه وبين السماء إلاّ الدخان من شدة العطش، وكان في جسمه تسعمائة جرح:

«اللهم متعالي المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء قريب إذا دعيت... وشكور إذا شكرت، وذكور إذا ذكرت، ... احكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرّونا وخدعونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيك...»،[2] وهو مع ذلك كما تقول الروايات يطلب الماء.

يقول أحدهم: رأيت شفتي الحسين عليه السلام يتحركان بكلام لم أفهمه، قلت: لو أن الحسين عليه السلام يدعو علينا هلكنا ورب الكعبة، دنوت منه فسمعته يقول: يا قوم آتوني جرعة من ماء لقد تفتت كبدي من الظمأ.

إنا لله وإنا إليه راجعون

* * *

(١) مقتل الحسين/ أبو مخنف: ١١٥.

(٢) مصباح المتهجد/ الطوسي: ٨٢٧/ ح ٨٨٧/ ٢.

المحاضرة الثالثة عشرة:

أهل البيت عليهم السلام مساكن البركة الإلهية

«ومساكن بركة الله»

حديثنا الليلة عن هذه الفقرة من الزيارة:

«ومساكن بركة الله».

وتعني أن بركة الله سكنت فيهم، فإذا أراد الإنسان أن يصل إلى بركة الله فليتوجه إلى أهل البيت عليهم السلام.

معنى البركة ومصاديقها:

البركة تعني في اللغة: وفرة العطاء وزيادة الخير، فهذه أرض مباركة تعني أن عطاءها وافر وفائض. والبركة تكون في الزمان أو المكان أو الإنسان أو الحيوان أو الشجرة أو غير ذلك.

فيوم العيد يوم مبارك، لأن الله تعالى يعتق فيه من النار مثلما أعتق في كل شهر رمضان.

وليلة القدر ليلة مباركة ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾، **(الدخان: ٣) لأنها ليلة العتق من النار، وتنزل فيها الملائكة والروح، وتقدر فيها المقادير بأن هذا الإنسان سوف يتزوج وهذا يشفى وهذا يمرض وغير ذلك، وهي خير من ألف شهر.**

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله عن شهر رمضان: «أيها الناس، إنه قد أقبل عليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة».[1]

وقد جعل الله المسجد الأقصى مباركاً فقال: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ﴾. **(الإسراء: ١).**

وهكذا الكعبة فقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً﴾. **(آل عمران: ٩٦).**

---

(1) إقبال الأعمال/ ابن طاووس ١: ٢٦.

وجعل عيسى عليه السلام **مباركاً، حيث قال:** ﴿وَجَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا﴾. **(مريم: ٣١).**

وقد تكون أشياء أخرى مباركة كعصا موسى عليه السلام**، حيث كانت فيها ثلاث بركات غيَّرت التاريخ، فمرة قال تعالى:**﴿فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ **(الشعراء: ٦٣) وذلك حينما وصل موسى وقومه إلى النيل وفرعون يطاردهم، فعبر موسى، ولكن فرعون غرق وكان من الهالكين.**

ومرة قال تعالى: ﴿ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ **(البقرة: ٦٠) وذلك حينما ضاع بنو إسرائيل في التيه أربعين سنة واشتكوا العطش إلى موسى** عليه السلام.

ومرة حينما جمع فرعون السحرة ﴿فَإِذا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى﴾ **(طه: ٦٦ و٦٧) فأوحى الله إليه:** ﴿وَأَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا﴾ **(طه: ٦٥ - ٦٩) من ثعابين، ثم أمره أن يأخذها لتعود عصاً مرة أخرى.**

وكان قميص يوسف عليه السلام **ـ وهو قطعة قماش ـ مباركاً حينما قال لإخوته** ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾.(١)

البركة وقانون الأسباب والمسببات:

هناك مناقشة في موضوع البركة.

إننا نعتقد ببركة أهل البيت عليهم السلام**، ونتبرك بالقرآن والأنبياء والزهراء** عليها السلام **والأئمّة** عليهم السلام**، ونطلب بواسطتهم وفرة العطاءات المادية والمعنوية.**

إن أهل البيت عليهم السلام **هم مساكن البركة المطلقة، إذا أردت بركة مادية أو أخروية أو علمية تجدها عندهم، لأن النص يقول: «ومساكن بركة الله».**

---

(1) يوسف: ٩٣.

حينما نعتقد ببركة أهل البيت عليهم السلام لا نصطدم مع قانون الأسباب والمسببات، فكل شيء مبني عليه، ونحن نعتقد به ويؤكده الإسلام، فالأرض لا تنبت إذا لم ينزل عليها المطر.

ولذا جاء في الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «... من الثلاثة الذين يردّ دعاؤهم عليهم... رجل: رزقه الله عزّ وجلّ مالاً فأنفقه في وجوهه ثم قال: يا ربّ ارزقني، فيقول الله عزّ وجلّ: ألم أرزقك؟ ورجل دعا على امرأته وهو ظالم لها فيقال له: ألم اجعل أمرها بيدك، ورجل جلس في بيته وترك الطلب ثم يقول: يا رب ارزقني، فيقول الله عزّ وجلّ: ألم أجعل لك السبيل إلى طلب الرزق؟».[1] فإن الله يقول له اعمل ولا تقل لا يوجد عمل، أطلب العمل والله يوفره لك.

إذن لماذا نطلب البركة من أهل البيت عليهم السلام إذا كانت المسألة خاضعة للأسباب الطبيعيّة؟

الجواب: إننا إذا اعتقدنا أنهم يعطون تلك الحاجة مباشرة وبدون إرادة الله فهذا خطأ، ومرة نعتقد أن ذلك يتم بإذن الله تعالى، وهو يعني أن هناك قوانين في الكون وهناك قانون فوق القوانين، فحينما نتوسل بالأنبياء وأهل البيت عليهم السلام فإننا نريد توظيف هذا القانون، كالاتصال اللاّسلكي الذي يكون فوق الاتصال السلكي والإثنان صحيحان.

إن قانون الإرادة الإلهية الذي يعمل مباشرة هو أن الله عزّ وجلّ إذا أراد شيئاً يقول له: كن فيكون، ولكن ذلك لا يمنع أن يجعل الله تعالى لإرادته بعض الأسباب، كما هو في شأن عيسى عليه السلام حيث قال عيسى عليه السلام: ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.[2]

جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: هل أدلك إلى خير؟

---

(1) الخصال/ الصدوق: ١٦٠/ ح ٢٠٨.

(2) آل عمران: ٤٩.

قال: ما هو؟

قال: تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

قال الأعرابي: هل من شاهد؟

قال: هذه الشجرة. فدعاها النبي ﷺ، فأقبلت تخد الأرض، فقامت بين يديه فاستشهدها، فشهدت كما قال، ورجعت إلى منبتها.[١]

إذن لا توجد مشكلة، والبركة تعتمد على قانون فوق القوانين، وهي تستند إلى إرادة الله.

نقرأ في الدعاء: «اللهم إني اسألك باسمك العظيم الأعظم الأعز الأجل الأكرم الذي إذا دعيت به على مغالق أبواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت، وإذا دُعيت به على مضائق أبواب الأرض للفرج انفرجت، وإذا دعيت به على العسر لليسر تيسرت، وإذا دعيت به على الأموات للنشور انتشرت، وإذا دعيت به على كشف البأساء والضراء انكشفت...».[٢]

هذا اسم الله يعبر قانون الأسباب والمسببات.

قال تعالى عن مريم عليها السلام حينما ولدت عيسى عليه السلام: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾.[٣]

قالوا يا أخت هارون من أين لك هذا الطفل؟ أنت امرأة من عائلة شريفة وغير متزوجة.

فأشارت إليه، فتكلم الطفل، إنه قانون فوق القوانين، قانون (كن فيكون) فلا يحتاج إلى أسباب طبيعية، وسببه هو الإرادة الإلهية.

---

(1) الخرائج والجرائح/ الراوندي ١: ٤٣/ ح ٥٢.

(2) من دعاء السمات الذي يستحب الدعاء به آخر ساعة من نهار يوم الجمعة. أنظر: مصباح المتهجد/ الطوسي: ٤١٧/ ٥٣٨/ ١٤٨.

(3) مريم: ٢٧.

إشكالان وجوابهما:

هناك إشكالان في قضية بركة أهل البيت عليهم السلام:

الأوّل: إن الأئمّة مخلوقون، وهم عباد ضعفاء، فكيف يوفرون لكم الحاجات التي لا يستطيع البشر توفيرها، ويشفون المريض الذي يعجز عنه الأطباء؟

الثاني: الأئمّة أموات، فكيف تتكلمون مع ميت وتطلبون منه العطاء والشفاء؟

الجواب عن الاشكال الأوّل:

إن ذلك صحيح لو طلبنا منهم الحاجة بدون عبوديتهم المطلقة لله تعالى، ولكن نحن نتوسل بهم من خلال أنهم عباد مخلصون قد أذن الله لهم وجعل البركة فيهم، إذن يكون قضاء الحاجة من الله تبارك وتعالى.

فنحن نقول في دعاء التوسل: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك... يا سيدنا ومولانا إنا توجهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله...» وهكذا بعليّ عليه السلام والزهراء عليها السلام و...

إذن نحن لا نريد أن تقضى الحاجة بهم كعباد ولكن من خلال عبوديتهم المطلقة لله، كما جعل الله البركة في عصا موسى عليه السلام وقميص يوسف عليه السلام، فهل أن قميص يوسف هو أشرف من عليّ عليه السلام؟ أو إن عصا موسى لها قدرة التأثير دون الزهراء عليها السلام؟ إنكم إن لم تقبلوا ذلك سوف لا تقبلون القرآن الكريم، إذ أن العصا ليس لها إرادة، في حين أن لهؤلاء إرادة بشرية على الأقل.

والجواب عن الاشكال الثاني:

نحن نعتقد أن هؤلاء ليسوا أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ﴾[1] **إذا كان هذا للشهيد العادي فكيف بالأئمّة وهم أفضل الشهداء؟**

---

(1) آل عمران: ١٦٩.

والإنسـان عنـدما تكـون لديـه بركـة مـن الله تعـالى فهـي موجـودة معـه فـي كـل مكـان، فـإذا كـان الإنسـان فـي مقعـد صـدق عنـد مليـك مقتـدر فإنـه يعنـي أنـه موجود مع الله في كل مكان.

حينمـا أسـلّم علـى أميـر المـؤمنين عليه السلام فإنـه يسـمع كلامـي ويـرد سـلامي ويـرى مقـامي لأنـه عنـد الله، فكمـا نصـلي لله فـإن الإمـام المعصـوم موجـود أيضـاً ويسمع الصوت.

القـرآن الكـريم لا يسـجل هـذه الكرامـة للأنبيـاء عليهم السلام فقـط، بـل إن الشـهيد لـه هـذا المقـام، حيـث يبلغـه السـلام والـدعاء والشـكوى. هـؤلاء الأئمّـة عليهم السلام إذن ليسـوا أمواتـا بـل نحـن نـتكلم مع أحيـاء، وتكـون الاسـتعانة بهـم بـإذن الله تعـالى كمـا يستعين الإنسان بالعصا والكتاب والسكين والدواء، وكل ذلك بإذن الله.

ولهذا نقرأ في الدعاء: «اللهم اجعل صلواتنا بهم مقبولة، وذنوبنا بهم مغفورة، ودعاءنا بهم مستجابا، وأرزاقنا بهم مبسوطة»(١) فالطلب من الله ولكن بواسطتهم عليهم السلام.

ونقـرأ: «اللهـم اجعـل رزقـي بهـم داراً، وعيشـي بهـم قـاراً»(٢) فـالله إذن هـو الذي يفعل الفعل، ولكن بواسطة هؤلاء الكرام عند الله تبارك وتعالى.

قصة الرسول صلى الله عليه وآله في الحديبية:

حينمـا وصـل رسـول الله صلى الله عليه وآله وجيشـه إلـى منطقـة الحديبيـة كانـت قـريش قـد سـبقته إلـى المـاء، ولـم يكـن فـي تلـك المنطقـة غيـر بئـر واحـدة وهـو لا يكفـي جيشـه البـالغ عشـرة آلاف شخصـاً، فـأمر صلى الله عليه وآله بـادلاء دلـو فـي البئـر، ولمـا أخـرج منه مـاءاً قليلاً توضأ منـه، ثـم تمضـمض بـه ثـم مـج المـاء في ذلـك الـدلو وألقاه في البئـر ودعـا الله تعـالى ففـاض البئـر وتفجـر وارتفـع المـاء إلـى سـطح البئـر، فكـانوا

---

(1) مصباح المتهجد/ الطوسي: ٣٥.

(2) إقبال الأعمال/ ابن طاووس ٢: ٦٦.

يشربون الماء من سطحه وهم جلوس، وروّى الجيش كله من ذلك الإناء، فسأله سائل: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا هذا الماء.[1]

هذا المعنى هو الذي نظمه الشاعر في القصيدة المكتوبة حالياً على جدار الحجرة النبوية حيث يقول:

يا من يقوم مقام الحمد منفردا ... للواحد الفرد لم يولد ولم يلدِ

يا من تفجرت الأنهار نابعة ... من اصبعيه فروّى الجيش بالمدد

ربّ الجمال تعالى الله خالقه ... فمثله في جميع الخلق لم أجدِ

أزكى الخلائق أعلى العالمين ذرى ... خير الأنام وهاديهم إلى الرشدِ

بركات السيدة زينب الكبرى عليها السلام:

اليوم هو الخامس من جمادي الأولى، وهو يوم ولادة امرأة مباركة وهي زينب الكبرى عليها السلام، وقد عثرت على أربع بركات لها كمريم والزهراء عليها السلام:

الأولى: إنها حفظت ثورة الحسين عليه السلام ودماء الشهداء، فما تحقق من انتصارات في الكوفة والشام وفي الطريق كان ببركة هذه المرأة العظيمة.

الثانية: تجسد فيها دور المرأة، وقد مثلت النموذج الرائع للمرأة ذات الوعي والحضور السياسي والديني والشجاعة، وحينما يكون للمرأة دور وتأثير في المجتمع نذكر زينب عليها السلام، حيث جسّدت نموذجاً حياً على الأرض لدور المرأة السياسي والثوري والاجتماعي .

الثالثة: إنها كانت وما تزال مركز إشعاع ديني في بلاد الشام.

لدينا اليوم ثلاث دول فيها مركز إشعاع ديني عظيم لأهل البيت عليهم السلام بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة هي: العراق، حيث تحول إلى مهوى أفئدة

(1) أنظر: بحار الأنوار/ المجلسي ٢٠: ٣٤٦.

الناس ببركة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام. والجمهورية الإسلامية، حيث الإمام الرضا عليه السلام. وبلاد الشام، حيث سيدتنا زينب عليها السلام. وبدون هذه المراكز لم يكن ليحدث هذا التحول في العالم أبدا.

كيف تحولت العاصمة الأموية إلى مركز إشعاع ديني رغم أن المسجد الأموي والقصور الأموية موجودة؟

لقد تحولت ببركة زينب الكبرى عليها السلام.

الرابعة: حفظ الإمام السجاد عليه السلام وحفظ الإمامة وامتدادها، وذلك في قصر الامارة حينما أمر عبيد الله بن زياد بقتله، فقالت: والله لا يُقتل حتى أقتل دونه.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

* * *

المحاضرة الرابعة عشرة:

محبّة الله تعالى

«والتاميّن في محبة الله»

الحديث عن هذا المقطع من الزيارة وهو قوله:

«والتامّين في محبة الله»

يعني أن أهل البيت عليهم السلام بلغوا مرحلة الكمال والنهاية في حب الله سبحانه، وهناك مجموعة موضوعات للبحث في هذه العبارة، وسوف نضطر للحديث عن الزهراء عليها السلام أيضاً بمناسبة ذكرى شهادتها.

بحث عقائدي في محبّة اللّه:

هناك بحث عقائدي عن محبة الله ومحبة العباد.

إنّنا نحب الله ويحبنا محبة متبادلة، فما معنى محبة الله للعباد؟

المحبة عندنا تعني حالة نفسية نعبر عنها بالشوق والود والعواطف النفسية تجاه إنسان معين، وهي عاطفة نفسية ذات حقائق معينة.

ولكن حينما يحب الله ويبغض فهل معناه الفلسفي أنّه ذو عواطف نفسية مثل البشر؟

العواطف النفسية عبارة عن انفعالات، وهي تعني أنّ الشخص أثّر فينا وكسبنا وجذبنا إليه، إذن الحب عاطفة ووقوع تحت التأثير، والله حينما يحب ويبغض فهل إنه يقع تحت التأثير؟

هل لديه عاطفة نفسية مثلنا؟

ما معنى ذلك إذن؟

وهناك بحث ثانٍ: ما معنى محبة العباد لله؟

هل يعني أنّا نحب الجنة والحور العين وإثابة الله تعالى أولياءه وأنبياءه؟

هل المقصود هو أنك تحب الجنة؟ ولكن الكافر يحبها أيضاً، أو إن

المقصود أنك تحب الله باعتباره الرب الخالق الرحيم، والعلاقة بينك وبينه علاقة مودة قلبيّة حقيقية؟ أم هناك معنى آخر؟

الجواب: إن محبة العبد لله هي التعلق بحقيقة كبرى، وهي أنه سبحانه خالق الوجود، أصل الوجود، خالق الكون، ولهذا تبكي في المناجاة من خشية الله، وتتذلل في السجود وتغمرك الدموع من محبة الله.

جاء في مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام: «يا نعيمي وجنتي ويا دنياي وآخرتي» يكون الله أحلى من الدنيا والآخرة، هناك شيء خاص اسمه محبة الله هو غير محبة النبي صلى الله عليه وآله وغير محبة المؤمنين، إن محبة الله تعني محبة الحقيقة الكونية الوجودية الكبرى التي نشعر أنها معنا وتؤنسنا «يا أنيسي في وحشتي...يا غياثي عند شدتي»[1] هذه لغة محبة وشوق وعشق، غير مسألة أنّنا نحب رسول الله صلى الله عليه وآله، أو نحب الجنة وأنهارها وحورها.

إن لدى المؤمن عاطفة تجاه خالقه ومعبوده الذي هو معه دائماً.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾.[2]

و﴿أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكى * وَأَنَّهُ هُوَ أَماتَ وَأَحْيا﴾.[3]

إننا نشعر بارتباط مع تلك الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[4] إنّها حقيقة أنّنا إذا مرضنا فإنّه هو الذي يشفينا، نحن نحب تلك الحقيقة الكبرى.

الوجود مغمور بالمحبة:

هناك بحث آخر عرفاني أو ذوقي وهو أنّ لغة العالم الحديث تقول:

(١) الصحيفة السجادية: دعاؤه عليه السلام في مناجاة المريدين/ صفحة ٤١٢.

(٢) الحديد: ٤.

(٣) النجم: ٤٣ و٤٤.

(٤) الشعراء: ٨٠.

إنّ النظام البشري مبني على المحبة والسلم والسلام دائما، ويتحدثون عن غصن الزيتون وحمامة السلام.

والحقيقة أن هذه نظرية كشفها الإسلام وبلغ بها إلى مستوى اعتبار الكون كله عبارة عن إشعاعات المحبة الإلهية قد تجسدت وخلق هذا الكون، ولولا المحبة الإلهية ما كان الوجود والكون، المحبة هي التي امتدت فكان من خلالها هذا الوجود، الكون مبني على نظرية المحبة الإلهية، بسببها خلقنا، وبها بعث الله الأنبياء عليهم السلام وخلق الأشجار والأنهار والشمس والقمر والأفلاك والجنة والنار ونظام الثواب والعقاب والمرض والشفاء.

إنّ الوجود مغمور بالمحبة الإلهية، والكون كله قائم عليها، ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾[1] والإسلام يريد أن يمرر روح المحبة الكونية لدى الإنسان ولكن من خلال إرادة وفعل واع، ويقول: أيها الإنسان أنت مثل هذا الكون يجب أن تكون لديك محبة، وحركتك يجب أن تكون قائمة على أساس المحبة، إن حركة القمر حول الأرض هي تصوير للعشق منذ آلاف السنين، وهكذا الأرض حول الشمس فهي لا تبتعد عنها، والمجرات تطوف في مساراتها عاشقة لهذا الطواف والدوران.

أيها الإنسان بما أنّك خليفة الله في الأرض فيجب أن تنطلق من منطلقات الحب والعشق الارادي فتأتي طواعية، وتصلي وتصوم بإرادتك، وهكذا تفعل الخيرات وتتصدق وتتحرك نحو المحبوب، وهو الكمال المطلق.

إنّ حركة الإنسان في الصلاة والصيام والعبادات الأخرى هي حركة نحو المحبوب وهو الله تبارك وتعالى، لكن الإسلام يريدها حركة إراديّة واعية، تسجد بإرادتك وتقول: «أناجيك يا موجود في كل مكان، لعلك تسمع ندائي، فقد عظم جرمي وقلّ حيائي»[2] لاحظ ذلك تجد أنّه حديث محبّ

(1) هود: ٤١.

(٢) أنظر: الصحيفة السجادية: دعاؤه عليه السلام بعد صلاة الليل / صفحة ١٧٤.

ومحبوبه، وتقول: «يا حبيب من تحبب إليك، ويا قرة عين من لاذ بك وانقطع إليك»[١] هذا أحلى من حديث الشعراء والأدباء، هذه لغة شعرية عجيبة.

الإسلام يريد من الإنسان أن يتحرك وفق المحبة، ولكن أي محبة؟

الحب الحقيقي والكاذب:

هناك محبة وعشق وهوى كاذب. نحن نتحدث عن المحبة، ولكن الغرب أيضاً يتحدث عن المحبة المصلحية والجنسية والهوى والنفعية، الإسلام يتحدث عن نمط آخر من المحبة وهي محبة الكمال المطلق وهو الله تبارك وتعالى، وأمّا حب الطعام والمنام والأشياء الأخرى فهي ليست الهدف لأنها مصلحية وغريزية، الإسلام يريد محبة الكمال، كما جاء في المناجاة الشعبانية: «إلهي هب لي كمال الإنقطاع إليك» لا وجود لمحبوب آخر، كما جاء في هذه الكلمات المنسوبة للإمام الحسين عليه السلام في عرصات كربلاء:

تركت الخلق طراً في هواكا   وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعتني في الحب إربا   لما مال الفؤاد إلى سواكا

الله سبحانه هو المحبوب، إنّها نظرية غير نظرية الحب الجنسي في الغرب، والحب الكاذب هو الذي يفتقد الكمال ويتقلّب كل شهر إلى حب معين، وهكذا حب يكون زائلاً، أما حب المؤمن لله تعالى فيلتقي فيه الإنسان بالله «إلهي... فأنت لا غيرك مرادي، ولك لا سواك سهري وسهادي، ولقاؤك قرة عيني، ووصالك مُنى نفسي»[٢] وهذه فلسفة الحب الكوني (نظرية الحب) ولهذا نقول «بسم الله الرحمن الرحيم» في صلواتنا وأعمالنا، إنّها شعار المحبة في الإسلام، وصفة الرحمن الرحيم تتدفق عطاءً وحباً، إنه الرؤوف الحنان، المنان، الودود.

---

(١) أنظر: الصحيفة السجادية: دعاؤه عليه السلام في دخول شهر رمضان/ صفحة ٢١٨.

(2) أنظر: الصحيفة السجادية: دعاؤه عليه السلام في مناجاة المريدين ليوم الجمعة/ صفحة ٤١٢.

حينما تقرأ دعاء كميل: «اللهم إنّي أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء» فإنّه يعني أنّ الحب الإلهي وسع كل شيء، تجده في شروق الشمس وغروبها، في الأمطار والنبات وجري الأنهار، وفي أنين المريض، إنّه حب يجذب قارون عندما خسف الله به الأرض، وكان يستغيث فأعرض عنه موسى عليه السلام حتى هلك، تقول الرواية: إنّ الله سبحانه عاتب موسى عليه السلام على ذلك، وقال له: استغاث بك قارون فلم تغثه، فوعزتي لو استغاث بي لأغثته وعفوت عنه.[1]

الحديث عن الرحمة الإلهية حديث واسع، في كل مكان يجب أن تشعر أنّك محفوف بالرحمة الإلهية، حينما تأكل وحين تنام حيث أنّ روحك تعرج إلى الله فهي عنده وفي جواره، ولهذا يستحب للمؤمن _ كما تقول الروايات _ أن يتوضأ وينام لأنّ نفس الإنسان تعرج إلى الله فإذا كان طاهراً قرب فسجد تحت العرش، وإن كان غير طاهر سجد قاصياً...[2] هذا بحث عرفاني وذوقي.

المحبة الدينية تختلف عن المحبة اللادينية أو محبة الهوى، هناك فرق بين الهدى والهوى، فالهوى باطل لأنّه يعني المحبة الغريزية والمصلحية، ولهذا يأمرنا الإسلام أن نجرّ أهواءنا الغريزية إلى محبة الله «واجعل هواي في طاعتك» لتكن محبتي في الطاعة، وهكذا ليكن سفري للزيارة والحج وليس للسياحة الفاسدة إلى الغرب، وليكن الحديث عن الله والطاعة والقرآن وأهل البيت عليهم السلام، وهذا هو معنى «واجعل هواي في طاعتك».

أنتم كان بإمكانكم الجلوس في المقهى، ولكن جئتم إلى هنا لأنّ هواكم

---

(1) روضة الواعظين: ٥٠٣؛ جامع البيان ٢٠: ١٤٣؛ زاد المسير ٦: ١١٤.
(2) أنظر: فيض القدير ٤: ٣٨١.

أصبح في طاعة الله. الحب الإلهي هو الذي جلبكم، فلا تتصوروا أنّه حب لي، إنّه حب لله بالأصل قد جذبكم لهذه المحاضرة والحسينية، إنّكم لا تحصلون هنا على شيء مادي، إنّكم تتذوقون شيئاً آخر هو حب الله «أنا جليس من ذكرني».

روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «مكتوب في التوراة التي لم تغير: أن موسى عليه السلام سأل ربه فقال: يا رب أقريب أنت مني فأناجيك، أم بعيد فأناديك؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى أنا جليس من ذكرني».[1]

ولهذا كان الوصف الذي اختص به نبينا صلى الله عليه وآله الذي بلغ قمة الكمال الإنساني هو أنّه (حبيب الله)، وكان إبراهيم عليه السلام (خليل الله)، وموسى عليه السلام (كليم الله)، لكن صفة نبينا أعظم وأجمل من الكليم والخليل، فإنّه (الحبيب).

«والتامّين في محبة الله...».

نحن نعتقد أنّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام بلغوا مرحلة الكمال في حب الله، حيث أنّهم لا يحبون شيئا سوى الله تعالى محبة تامة، ونحن لدينا محبة ولكنها مخلوطة، نحب الله ونحب عبد الله، نحب الدنيا ونحب الآخرة، ولهذا يقول القرآن: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[2] إنّكم مؤمنون ولكن يوجد فيكم شيء من الشرك، تحبون الله ولكن مع حب الدنيا.

الحب الإلهي للوجود:

يقول العلماء: إنّ هذا الوجود يبدأ بحب الله وينتهي بحبه، بداية الخلق هي حب الله، وعودة الخلق إلى الله عبارة عن العودة إلى المحبوب، وإنّ حب المخلوقين بعودتهم تكويناً إلى الخالق هو علاقة وجودية، وتوصلوا إلى نظرية هي غاية في العمق تفيد أن لا محب ولا محبوب إلاّ الله.

---

(١) الكافي ٢: ٤٩٦.

(٢) يوسف: ١٠٦.

حديث قدسي:

يقول الحديث القدسي:

«كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف».[١]

يقول القرآن الكريم: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾،[2] فإذا أَخذ الإنسان من ناصيته (مقدم شعر الرأس) فإنه يخضع ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وكل الكائنات على صراط مستقيم لأنّها في قبضة الله، ولكن البعض يمشي مكبّاً على وجهه. كل الكائنات تتحرك نحو محبوبها وهو الله وتريد الرجوع إليه، حتى الكافر في نظر العرفاء يطلب القوة والعزة والسلطان وهي أمور لله، يطلب العافية وهي من الله، يطلب الكمال وهو الله، ولكن يشتبه في العناوين وفي أن الذي يطلبه هو الله، يتصور أنّه المال والسلاح.

قصة الشاب وملك الموت:

يُروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ النبي داود عليه السلام جلس إلى جانبه شاب رثّ الثياب، فدخل ملك الموت فجأة وأخذ يحدّق في هذا الشاب كثيراً، فسأله داود عن مهمته؟ قال: سأقبض روح هذا الشاب بعد أسبوع.

فسأل داود الشاب هل أنت متزوج؟

قال: لا، إني فقير.

فقال عليه السلام: هل تريد الزواج؟

قال: كيف؟

قال: خذ هذه الرسالة إلى كبير من كبراء بني إسرائيل وكتب له فيها أن يزوّجه ابنته، وتعهد له بمصروفات الزواج، وأمره أنْ يرجع إليه بعد أسبوع.

---

(1) البحار/ المجلسي ٨٤: ١٩٩؛ شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٥: ١٦٣.

(2) هود: ٥٦.

فرح الشاب بذلك وتزوج، ورجع إليه بعد أسبوع فسأله: كيف كنت؟

قال: في جنة ونعيم.

ثم إن مَلَك الموت لم يأت، فأمره داود بالرجوع إلى زوجته والبقاء أسبوعاً آخر، ذهب الشاب ثم رجع فسأله: كيف كنت؟

قال: بخير.

قال: انتظر، فانتظر ولكن لم يأت مَلَك الموت، فأمره بالرجوع والبقاء أسبوعاً ثالثاً، وهكذا الأسبوع الرابع.

ولما جاء ملك الموت سأله داود: ما أبطأك عنه؟

قال: يا نبي الله، إنّ الله رحمه لرحمتك إياه، فمدّ الله في عمره ثلاثين سنة.[1]

أقسام المحبة أربعة:

١ _ المحبة التامة، وهي محبة الأنبياء والأوصياء، وذلك بأن لا يوجد في القلب إلاّ محبة الله كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «حتى لم يحبّوا سواك».[2]

٢ _ المحبة الغالبة، وهي محبة المؤمنين، وتعني أنّ محبة الله توجد معها محبة الطعام والراحة والمال، ولكن إذا حصل تزاحم بينهما كأن تقول الدنيا للإنسان إنّه وقت النوم والاستراحة، والله يقول استيقظ أنّه وقت الصلاة، هنا يجب أن تكون محبة الله أقوى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.[3]

٣ _ المحبة المغلوبة، وهي محبة ضعيفة حيث تكون محبة غير الله أقوى، وفيها إذا حصل تزاحم بين حب الله والدنيا يغلب حب الدنيا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾.[4]

---

(1) أنظر نص الرواية في: البحار/ المجلسي ٤: ١١١/ ح ٣١.

(2) من دعاء للإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة. أنظر: البحار للمجلسي ٩٥: ٢٢٦.

(3) البقرة: ١٦٥.

(4) الجمعة: ١١.

٤ ـ الحب الباطل، لا وجود فيه لحب الله، بل يحب الإنسان أوهاماً، قال تعالى: ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾،[1] **كالكافر يعبد أموالاً وسلطاناً من دون الله ولكنه لا يحصل على شيء.**

أقسام الطهارة:

ولهذا يقول العلماء: إنّ الطهارة على أربعة أقسام:

١ ـ الطهارة من النجاسات.

٢ ـ الطهارة من المعاصي.

٣ ـ طهارة القلب من سوء الأخلاق كالبخل والحسد و...

٤ ـ طهارة القلب من الأغيار (ما عدا الله تعالى) أي لا يوجد محبوب إلاّ الله.

حبّ الأم من حب الله:

يروى أنه كان في بني إسرائيل عابد يقال له جريح، وكان يتعبد في صومعة، فجاءته أمه وهو يصلي، فدعته فلم يجبها، فانصرفت، ثم أتته ودعته فلم يلتفت إليها، فانصرفت، ثم أتته ودعته فلم يجبها ولم يكلمها، فانصرفت وهي تقول: أسأل إله بني إسرائيل أن يخذلك، فلما كان من الغد جاءت فاجرة وقعدت عند صومعته قد أخذها الطلق، فادعت أن الولد من جريح، ففشا في بني إسرائيل أن من كان يلوم الناس على الزنا قد زنى، وأمر الملك بصلبه، فأقبلت أمه إليه تلطم وجهها، فقال لها: اسكتي إنما هذا لدعوتك، فقال الناس لماسمعوا ذلك منه: وكيف لنا بذلك؟ قال: هاتوا الصبي، فجاءوا به فأخذه فقال: من أبوك؟ فقال: فلان الراعي لبني فلان، فأكذب الله ما قالوا في جريح، فحلف جريح أن لا يفارق أمه.[٢]

---

(1) النور: ٣٩.

(2) البحار للمجلسي ١٤: ٤٨٧/ باب ٣٢/ ح١.

الحب الملتـزم:

وعليـه يجـب أن يـرتبط الحـب بأحكـام الشـريعة، فـلا يصـح الحـب لله مـع العلاقـات السـيئة مـع الأم والأب، ومـع عـدم الالتـزام بـالحلال والحـرام، وإلاّ فـإنّ الإنسان يصل إلى حالة يقول فيها:

أنا مـن أهـوى ومـن أهـوى أنا　　　نحـــن روحـــانِ حللنـــا بـــدنا

فـــإذا أبصـــرتني أبصـــرته　　　وإذا أبصـــرته أبصـــرتنا[١]

ويقـول: (أنـا والله متحـدان)، وإذا قيـل قـم للصـلاة يقـول: مـا هـي الصـلاة لقـد جاوزت مقام الصلاة، وقد وصلت مرحلة اليقين كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[2] وأنتم المساكين لم تصلوا إلى اليقين، فاذهبوا إلى الصلاة!

يقـال توجـد فـي بعـض منـاطق العـراق طريقـة الكسـنزانية ترجـع إلـى انحرافـات عـن الشـريعة الإسـلامية وابتعـاد عـن طريـق القـرآن، وقـد يكـون مظهرهـا حـب الله، لكـن الفـرق بينهـا وبـين الحـب الإسـلامي هـو أنّ الأخيـر فيـه التـزام بالشـريعة والعلاقـات مـع المخلـوقين، وحـب الـدراويش يتحـول إلـى حـب غيـر ملتزم والى حالة من الاباحية.

النهي عن الحب الصوفي:

يـروى أن داود عليه السلام خـرج ذات يـوم إلـى الصـحراء متعبـداً، فـأوحى الله إليه: ما لي أراك وحدانياً؟

قال: إلهي اشتدّ الشوق مني إلى لقائك، وحال بيني وبين خلقك.

فـأوحى الله إليـه: إرجـع إلـيهم، فإنـك إن تـأتني بعبـد آبـق أثبتـك فـي اللـوح

---

(1) وهـو مبالغـة فـي التقـارب والاتحـاد بـين المحبـوب والحبيـب، وقـد سـلك هـذا المسـلك جماعة من الصوفية القائلين بالحلول...

(2) الحجر: ٩٩.

حميداً.[1] أما أن تبقى وحيداً في الصحراء بعيداً عن الناس على طريقة الدراويش والصوفيين فإنّه خطأ.

الطريقة الصوفية تختلف عن الطريقة الإسلامية، والحب الصوفي يختلف عن الحب الإسلامي.

وربما يسأل أحدكم: يقول العلماء ينبغي تطهير السر والقلب من الأغيار، فهل أنّ حب الدنيا حرام؟ إنّ الإنسان يحب أن يمتلك بيتا وزوجة وسيارة وتلفزيون فهل هذا حرام؟ هل هذا من حب الدنيا؟ هل يتضارب حب الدنيا مع حب الآخرة؟

عن رسول الله ﷺ: «حبب إليّ من دنياكم: النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة»،[2] فهل يتضارب هذا الحب مع حب الآخرة؟

الجواب: لا.. طبعاً.

قصة العلاء بن زياد الحارثي:

سافر الإمام عليّ عليه السلام ذات يوم إلى البصرة، فدخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده فلما رأى سعة داره قال عليه السلام له: ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، أما أنت إليها في الآخرة كنت أحوج؟ (ثم استدرك بقوله): وبلى، إن شئت بلغت بها الآخرة تقري فيها الضيف وتصل فيها الرحم...

فقال: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم.

قال عليه السلام: وما له؟

قال: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا.

فقال عليه السلام: عليّ به؟ ولما جاء خاطبه: يا عَديّ نفسه لقد استهام بك

---

(1) البحار/ المجلسي ١٤: ٤٠/ ح ٢٦.

(2) الخصال/ الصدوق: ١٦٥/ ح ٢١٨.

الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى أنّ الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك.

قال عاصم: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك.

قال عليه السلام: ويحك إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمّة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كي لا يتبيغ (أي: يهيج به ألم الفقر فيهلكه) بالفقير فقره.[1]

المتحابون في الله:

في الرواية عن الإمام السجاد عليه السلام: «إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين نادى منادٍ: أين المتحابون في الله، فيقوم عنق من الناس (إنهم الذين كانوا يحضرون في المجالس الحسينية والدينية ويزورون الحسين عليه السلام ويحضرون صلاة الجماعة والجمعة).

فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنة بغير حساب.

قال فتلقاهم الملائكة: فيقولون إلى أين؟

فيقولون: إلى الجنة بغير حساب.

فيقولون: فأي ضرب أنتم من الناس؟

فيقولون: نحن المتحابون في الله.

فيقولون لهم: وأي شيء كانت أعمالكم؟

قالوا: كنا نحب في الله ونبغض في الله.

قال: فيقولون: نعم أجر العاملين».[2]

والمحبة في الإسلام تحتاج إلى عمل، ولذا يقول الإمام عليّ عليه السلام: «لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجئ التوبة بطول الأمل، يقول في

---

(1) نهج البلاغة ٢: ١٨٧/ ٢٠٩.

(2) الكافي/ الكليني ٢: ١٢٦/ح ٨.

الـدنيا بقـول الزاهـدين، ويعمـل فيهـا بعمـل الـراغبين، إنْ أُعطـي منهـا لـم يشـبع، وإن مُنع منها لم يقنع».[1]

غزوة خيبر:

وكان أمير المؤمنين عليه السلام مثالاً للحب التام لله سبحانه، ففي معركة خيبر كان اليهود متحصنين في حصن عظيم، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله في اليوم الأوّل أبا بكر قائداً على الجيش، ولما خرج إليهم مرحب إنهزم المسلمون يجبّن بعضهم بعضاً، وفي اليوم الثاني أرسل عمر بن الخطاب فانهزموا كذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرّار غير فرّار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه» وكان عليّ عليه السلام مريضاً بالرمد الشديد، فقال ضعاف القلوب سيعطي الراية لرجل آخر، وفي اليوم التالي نادى: أين عليّ؟

قيل: إنّه مريض.

فقال: عليّ به؟

جـاؤوا بـه وهـو لا يبصـر بعينيـه، فوضـع صلى الله عليه وآله مـن ريقـه علـى عينيـه فارتـد بصيراً وأعطاه الراية.

فأقبل إلى مرحب فسأله: من أنت؟

قال: أنا الذي سمتني أمي مرحباً.

فقال عليّ عليه السلام: أنا الذي سمتني أمي حيدرة.

رجـع مرحـب وأغلـق بـاب الحصـن، فتلقـاه النـاس مـا الخبـر؟ قـال: أنـا لا أقاتـل هـذا، فقـد أخبرتنـي أمـي أنّـه يقتلنـي رجـل اسـمه حيـدرة، فجـاء إبلـيس إليـه وقـال: يـا مرحـب، أصـبحت تسـمع كـلام النسـاء، مـن قـال أن حيـدرة يقتلـك؟ فـأغراه حتـى بـرز إليـه، فضـربه إمامنـا أميـر المـؤمنين عليه السلام ضـربة واحـدة ففلقـت الصخرة والطاس وقطعته نصفين وخرّ صريعاً.

---

(1) نهج البلاغة ٤: ٣٨/ ١٥٠.

ولما رأى اليهود ذلك أغلقوا باب الحصن وكان ضخماً لا يفتحه إلا أربعون رجلاً، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام _ باجماع المؤرخين السنة والشيعة _ إلى تلك الباب ووضع إصبعه في فتحة فيها وقلعها ورماها أربعين ذراعاً.[١]

يقول الشاعر:

يا قالع الباب التي عن هزّها	عجزت أكفّ أربعون وأربعُ...
أأقول فيك صميدع كلا ولا	حاشى لمثلك أن يقال صميدعُ[٢]

عصمة الزهراء عليها السلام:

كانت الزهراء عليها السلام حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته وروحه التي بين جنبيه[٣] كما كان يقول صلى الله عليه وآله، ونحن بمناسبة ذكرى شهادتها نريد أن نتناول عدة بحوث:

البحث الأوّل: عصمة الزهراء عليها السلام.

نحن شيعة أهل البيت عليهم السلام نعتقد بعصمة الزهراء عليها السلام كما نعتقد بعصمة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام. والحد الأدنى للعصمة هو عدم مخالفة أوامر الله ونواهيه، ولها مراتب أعلى حتى تصل إلى مرتبة عدم الخطأ مطلقاً بحيث ينظر المعصوم بعين الله سبحانه.

العصمة بالاجماع هي أن لا يذنب الإمام ولا يعصي ولا يخطأ في تطبيق الشريعة الإسلامية حتى غفلةً.

والدليل على عصمة الزهراء عليها السلام هو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾،[٤] ويجمع علماء السنة والشيعة على

---

(1) أنظر: أمالي الصدوق: ٦٠٤ / ح ٨٣٩/١٠؛ صحيح مسلم ٥: ١٩٥.

(2) الهاشميات والعلويات: ١٤٠/ القصيدة السادسة من القصائد العلويات السبع.

(٣) أنظر: أمالي الصدوق: ١٧٥؛ الأعتقادات للشيخ المفيد: ١٠٥.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

أنّ رسول الله ﷺ حصر أهل البيت عليهم السلام في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال ﷺ: هؤلاء أهل بيتي، وكانت زوجة النبي أم سلمة واقفة وقالت: وأنا معهم يا رسول الله؟

قال ﷺ: أنت على خير، وذلك في الحديث المبارك المعروف بحديث الكساء، وهو حديث متواتر وثابت حتى أنّ عائشة ترويه.[١]

إنّ الزهراء عليها السلام قد طهّرها الله سبحانه وتعالى حسب آية التطهير، فكما يدل قوله: ﴿يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[٢] على تطهير واصطفاء مريم عليها السلام، فكذلك تطهير واصطفاء الزهراء عليها السلام فإن آية التطهير هي أحد أدلة العصمة.

أمّا الروايات الشريفة فإنّ في السنّة الأكيدة المتواترة اليقينية الثابتة عند السنة والشيعة ما يؤكد عصمتها، ومن جملتها قوله ﷺ: «فاطمة بضعة مني، وهي روحي التي بين جنبي، يسوؤني ما أسائها ويسرني ما سرها»[٣] أي إنّ رضا فاطمة يساوى رضا الله تعالى، وغضبها يساوي غضبه، وهذا يعني أنّها لا تخطأ إرادة الله ولا تبتعد عما يحبه الله تعالى.

لا يمكن للزهراء عليها السلام أن ترضى بمعصية، لأن الله لا يرضى بها، وكل غضب عند الزهراء عليها السلام هو حالة إلهية، ويعني أنّها بعيدة عن مسّ الشيطان، وعليه فإنّ عبارة: «يرضى الله لرضاها» هي أقوى دليل واضح على عصمة من يقال عنه هذا الكلام، كالمؤشر للحرارة، فإنّه مقياس يُعرف به درجة الحرارة ويُعتمد عليه والمفروض أنّه لا يخطأ.

الزهراء عليها السلام مقياس لرضا الله سبحانه، فلا يخطأ هذا المقياس.

---

(1) أنظر: بحار الأنوار ١٠: ١٤١، و١٧: ٣٥٩...؛ مسند أحمد ٤: ١٠٧؛ سنن الترمذي ٥: ٣٠؛ ...

(2) آل عمران: ٤٢.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٢٩: ٣٢.

ومن جملة ما ورد في الروايات هو قوله ﷺ: «فاطمة سيدة نساء العالمين»[١] ويعني أنّها سيدة على مريم وخديجة وجميع النساء، فإذا قال تعالى عن مريم في القرآن الكريم ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾ وفاطمة سيدة على مريم، إذن لا بدّ أن تكون فاطمة أكمل من مريم، ومن الثابت بالاجماع لدى الفريقين أنه ﷺ قال: «فاطمة سيدة نساء العالمين»[٢] وقال ﷺ: «أما ترضين يا بنية أنك سيدة نساء العالمين»، فقالت: يا أبة فأين مريم بنت عمران؟ قال ﷺ: «تلك سيدة نساء عالمها».[٣]

وفي رواية ثالثة متفق عليها أيضاً قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولكن لم يكمل من النساء إلاّ أربع: مريم وخديجة وفاطمة وآسية بنت مزاحم»[٤] ويعني أنّ الله أبعد عنهنّ النقص والهوى الشيطاني، ويعني أنهنّ بلغن الكمال في محبة الله وطاعته.

الأنبياء لديهم كمال في الروح، وربما لا يصاحبه كمال في البدن، وإلاّ فإن أيوب عليه السلام الصابر المحتسب كان مريضاً أربعين عاماً.

يجب أن نفهم هذه النصوص النبوية كمنهج علمي صحيح، ولا نحملها على أساس المجاملة الأدبية والتعبير عن العواطف الأبوية. قد يقول قائل: إنّ النبي ﷺ يحب الزهراء عليها السلام ولهذا يتحدث عن عواطف أبوية وليس عن حقائق. إن هذا القول تحريف وبخس لكلام النبي ﷺ، إذ يعني ذلك أنّ قوله: «يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها» ليس له قيمة علمية بل إنّه عواطف، وهذا ظلم لرسول الله ﷺ إذا فهمنا الأحاديث النبوية على هذا الأساس.

كان هذا منهج الذين خالفوا رسول الله ﷺ، ولم ينفع معهم مديح

---

(١) أنظر غاية المرام/ السيد هاشم البحراني ٧: ٤٠.

(2) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ١٣٥.

(3) تاريخ دمشق ٤٢: ١٣٤؛ سير أعلام النبلاء ٢: ١٢٦.

(٤) أنظر جامع البيان للطبري ٣: ١٨؛ مجمع البيان للطبرسي ١٠: ٦٥.

الزهـراء عليها السلام وعلـيّ عليه السلام لأنّهـم كـانوا يقولـون هـذه عواطـف، وإنّ النبـي صلى الله عليه وآله يغـالي فـي أهـل بيتـه، وإنّ هـذه العواطـف ليسـت شـرعية وغيـر مبنيـة علـى أسـس علميـة. ولـذا حينمـا قـال صلى الله عليه وآله: آتـوني بـدواة وكتـف حتـى أكتـب لكـم كتابـاً لـن تضلوا بعدي قال قائلهم: إنّ الرجل ليهجر![1] أي أنّ كلامه غير موزون!

إننـا نفهـم نصـوص النبـي صلى الله عليه وآله تطبيقـاً لقولـه تعـالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى﴾[2] هـذه العواطـف إلهيـة حينمـا يقـول: «فاطمـة بضـعة منـي، يرضـى الله لرضـاها ويغضـب لغضـبها» وليسـت إنفعـالات نفسـية وتعبيـرات أدبيـة لـيس لهـا مـدلول شـرعي، وإلاّ سـوف لا يبقـى شـيء مـن القـرآن الكـريم والسـنّة النبوية، ولا يبقى الحلال حلالاً ولا الحرام حراماً، والعياذ بالله من ذلك.

ثـم إنّ النبـي صلى الله عليه وآله كـان يقـف علـى بـاب الزهـراء عليها السلام ويقـرأ قولـه تعـالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[3] تسعة أشهر،[4] والعـرب يومئـذ لا يـذكرون أسـماء بنـاتهم، بينمـا النبـي صلى الله عليه وآله ابتعـد عـن هـذا العـرف العربـي وكـان يقـوم ويقعـد قـائلاً: فاطمـة ريحـانتي، فاطمـة بضـعة منـي، فاطمة روحي التي بين جنبّي، وقد سمع الناس ذلك.

وعليـه فحينمـا يقـول القائـل: إذن كيـف هجمـوا بعـد أيـام مـن مماتـه علـى دارهـا وأحرقوهـا، وكسـروا ضـلعها، وأسـقطوا جنينهـا، وضـربوها بالسـياط؟ هـل هذا ممكن، أم هي إضافات تاريخية؟

أخـذ بعضـهم يحـاول تخفيـف الفاجعـة والجريمـة ويقـول: مـن العيـب عنـد العـرب أن يهجـم شـخص علـى امـرأة، هـل تصـدقون أنّ فلانـاً

---

(١) أنظر: الإمامة والسياسة ١: ١٩؛ مروج الذهب ٢: ٣٠١؛ صحيح مسلم ٢: ١٢٥٧ - ١٢٥٩.

(٢) النجم: ٣ و٤.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(4) بحار الأنوار ١٦: ٢٠٣، و٢٥: ٢١٢، و٣٥: ٢١٤.

هجم على الزهراء عليها السلام وهو عربي؟ لكن التاريخ يقول إنّ هذه الجريمة قد وقعت، فكيف نفسرها؟

لا يمكن تكذيب ذلك، فإن الزهراء عليها السلام قد مُنعت من البكاء وهجموا عليها، واقتادوا عليّاً مكبّلاً وهدّدوه بالقتل، فلماذا يكذّب الإنسان الواقع والتاريخ، ثم إنّ القوم قطعوا رأس الحسين عليه السلام وهو سيد شباب أهل الجنة وحملوا رأسه على رمح، وساقوا بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا، فهل يكذب التاريخ ذلك؟

لقد منعوا الزهراء عليها السلام من البكاء بروايات الشيعة والسنّة، لأنّها لم تكن مجرد بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، بل لأنّها حملت الرسالة بعده وكانت صوتا للدفاع عن الحق ولا زال هذا الصوت موجوداً، إذن كان عرش الإنحراف في خطر فلا بدّ أن يخمدوا هذا الصوت، فمادام صوت الزهراء عليها السلام موجوداً فإنه يعني وجود رسالة لكل الثائرين بأنّ هناك ظلماً وغصباً وانحرافاً، فلا بدّ من خنق صوتها قتلاً وضرباً وحرقاً.

لماذا نستغرب ذلك، فإن الذين استحوذ على قلوبهم الشيطان يقول قائلهم: يا خيل الله اركبي ودوسي صدر الحسين عليه السلام وهو قتيل على أرض كربلاء، تفسير ذلك هو أنّ الملك عقيم.

مصيبة الزهراء عليها السلام:

الزهراء عليها السلام كانت مدافعة عن عليّ عليه السلام فيجب أن يكسر هذا الدفاع لدى المنحرفين والطغاة والغاصبين، ولهذا منعوها من البكاء، وكانت قد أخذت على نفسها أن تبكي أباها رسول الله ليلاً ونهاراً، وكان لا يمر أحد في المدينة إلاّ ويسمع أنينها إذ أن قبر النبي صلى الله عليه وآله وبيتها متصل، وكان كل من يأتي من البادية إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله يسمع أنينا فيسأل عنه، فيقال له: إنّها الزهراء عليها السلام، فيسأل ما الذي جرى؟ ولا بدّ أن يذهب إليها ليسألها، وإذا دخل دارها سوف يعرف ما جرى.

أقبلوا إلى عليّ عليه السلام وقالوا: يا أبا الحسن إنّ الزهراء قد آذتنا ببكائها، وبدلاً من

أن يرسلوا نساءهم ليعزّوها ويقلن نحن في خدمتك، قالوا له: قل لها: إما أن تبكي ليلاً وإما نهاراً، فأخبرها بذلك، فقالت: لا أدع البكاء في الليل والنهار، هي أيام وأنا مرتحلة إلى أبي فإنّه ينتظرني، ولما رأى إصرارها كان ينقلها مع الحسن والحسين عليهما السلام إلى خارج المدينة حتى تبكي هناك ثم يرجعها.

وذات يوم رأى احمراراً في وجهها من الشمس، فعرف أن هناك شجرة كانت تستظل بها فعمدوا إليها وقطعوها حتى لا يبقى لها ظل، فعمل لها بيتاً سماه: (بيت الأحزان).

وما هي إلاّ أيام حتى أصبحت الزهراء عليها السلام ناحلة الجسم يُغشى عليها ساعة بعد ساعة، فدعت عليّاً وأوصته بوصاياها: يا أبا الحسن إذا أنا متّ فادفني ليلاً، ولا تدع أحداً من هؤلاء القوم يشهد جنازتي.

ولأي الأمور تُدفن ليلا بضعة المصطفى ويعفى ثراها؟

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

* * *

المحاضرة الخامسة عشرة:

الاخلاص التوحيدي

«والمخلصين في توحيد الله»

حديثنا الليلة عن هذا المقطع من الزيارة:

«والمخلِصين في توحيد الله».

وهو يعني أن أهل البيت عليهم السلام مخلصون في توحيد الله تبارك وتعالى، والتوحيد هو الأصل الأوّل من أصول الدين.

التوحيد يعني أن لا إله إلاّ الله، ولا خالق إلاّ الله، ولا محيي ولا مميت إلاّ الله، وكل الأديان والنبوات تتفق على هذا المبدأ.

التوحيد العلمي والعملي:

التوحيد يكون على مستويين: التوحيد العلمي، والتوحيد العملي، والديانات وخاصة الإسلام لا تكتفي بالتوحيد العلمي النظري، فالإنسان قد يعتقد بذلك ولكنه ربما لا يصلي ولا يصوم وليس له التزام عملي.

إنّ مجرد الاعتقاد بالنظرية لا فائدة فيه، فحتى إبليس يعتقد بالتوحيد العلمي النظري، فهو يعتقد أنّ الله خالق الكون ولكنه لا يملك توحيداً عملياً.

إنّ الإسلام والأديان كلها تريد المستوى الثاني من التوحيد، ولهذا فإنّ القرآن الكريم يصف النصارى وهم يؤمنون بالله بأنهم يفتقدون التوحيد العملي، حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، أي أنهم لا يعبدون الله على مستوى الطاعة العملية، بل يعبدون رهبانهم وهذه عبادة الشيطان.

قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.[1]

قال إبراهيم عليه السلام لأبيه ـ وهو عمه في الواقع ـ ﴿يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ

---

(1) التوبة: ٣١.

الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾.[١] حيث نلاحظ أن إبراهيم وصف طاعة الشيطان بأنها عبادة الشيطان.

إنّ الإسلام يريد من العباد صلاة توحيدية، فإنّها هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهكذا الصوم.

ولذا حين سمع رسول الله ﷺ ذات مرة امرأة تسب جارية لها قدّم لها طعاماً، فقالت: أنا صائمة.

فقال لها: «كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك، إن الصوم ليس من الطعام والشراب»،[٢] أي أن المطلوب هو الصوم العملي التوحيدي.

وفي حديث عن النبي ﷺ وهو من روائع الأحاديث:

«إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره قبّل الشيطان بين عينيه، وقال: هذا وجه لا يفلح أبداً».[٣]

أيها الشباب: انتبهوا إلى أنفسكم فهناك مجال للتوبة والله تواب رحيم، فإذا بلغتم الأربعين تصعب عليكم التوبة.

كنز الغلامين:

في قصة موسى عليه السلام والخضر حينما أقام الخضر جداراً كان على وشك الانهيار، فاعترض موسى عليه السلام بأن أهل القرية لم يكرموك فليسقط الجدار، فقال له: إن الجدار لغلامين يتيمين وكان أبوهما صالحا، وتحت الجدار كنز لهما فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «أما إنه ما كان ذهبا ولا فضه، وإنما كان أربع

---

(1) مريم: ٤٤.

(2) أنظر: الكافي/ الكليني ٤: ٨٧/ باب أدب الصائم/ ح ٣.

(3) مشكاة الأنوار/ الطبرسي: ٢٩٥.

كلمات: «لا إله إلا أنا، من أيقن بالموت لم يضحك سنّه، ومن أيقن بالحساب لم يفرح قلبه، ومن أيقن بالقدر لم يخش إلاّ الله».[1] وهذا هو التوحيد العملي.

إذا كان الإنسان يؤمن بالقضاء والقدر الإلهي فإنّه لا يخشى شيئاً في الوجود إلاّ الله، لأنّه مقدر القدر ولا يدبر الأمر إلاّ هو، فلماذا يخاف غير الله إذن؟ وهذا هو التوحيد العملي.

من أيقن بالموت حينما يتذكر الموت يخشع قلبه، ويكون بعيداً عن مجالس البطالين الذين لا حزن ولا خوف في قلوبهم من الله ولا همّ الآخرة.

ومن أيقن بالحساب لم يفرح.

كان الأنبياء والأئمّة عليهم السلام يبكون، كان الإمام زين العابدين عليه السلام يقول: «أبكي لخروج نفسي، أبكي لظلمة قبري، أبكي لضيق لحدي، أبكي لسؤال منكر ونكير إياي، أبكي لخروجي من قبري عريانا ذليلاً حاملاً ثقلي على ظهري، أنظر مرة عن يميني وأخرى عن شمالي وإذ الخلائق في شأن غير شأني».[2]

يستحب أن نقرأ كل يوم عشراً:

«أعددت لكل هول لا إله إلاّ الله، ولكل همّ وغمّ ما شاء الله، ولكل نعمة الحمد لله، ولكل رخاء الشكر لله، ولكل أعجوبة سبحان الله، ولكل ذنب أستغفر الله، ولكل مصيبة إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولكل ضيق حسبي الله، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله، ولكل عدو إعتصمت بالله، ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلاّ بالله»[3] وهذا في الحقيقة هو تلقين النفس، وتذكير القلب دائماً باستحقاقات التوحيد العملي.

---

(1) الكافي/ الكليني ٢: ٥٨/ باب فضل اليقين/ ح ٦.
(2) من دعاءه عليه السلام في كل ليلة من سحر شهر رمضان. الصحيفة السجادية: ٢٢٦ - ٢٣٤.
(3) البحار/ المجلسي ٨٤: ٥/ باب ٤٧.

إن التذكير بما بعد الحياة الدنيا هو توحيد عملي، والكنز الذي تركه ذلك الرجل الصالح لهذين اليتيمين كنز عظيم.

أوصيكم بخمس:

ويشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى التوحيد العملي في كلمة يقول فيها: «أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلاً» أي تستحق أن تسافروا لأجلها.

«لا يرجونّ أحد منكم إلاّ ربّه، ولا يخافنّ إلا ذنبه، ولا يستحينّ أحد إذا سُئل عمّا لا يعلم أن يقول لا أعلم، ولا يستحينّ أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه، وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه».[1] إنّ روح الإيمان هو الصبر وهو الذي يوجّه الإيمان كما أن الرأس هو الذي يوجّه البدن.

ذروة التوحيد:

يذكر العرفاء والعلماء أنّ أعلى مرتبة في التوحيد هو أن يصل الإنسان إلى التوحيد الذاتي والأفعالي والصفاتي، وهو يعني أن لا موجود إلاّ الله، ولا واصف ولا موصوف إلاّ الله، إنّ الشمس والقمر وأنا وأنت كلنا إشعاعات من نور الله، الأصل هو الله، ولا فاعل إلاّ الله، فهو المحيي والمميت والشافي والنافع والرازق، وكل ما يوجد في الإنسان من هذه الصفات يكون امتداداً لذات الله.

فضل الإمام عليّ عليه السلام:

يقول الإمام الخميني رحمه الله: «والله لو اجتمع الإنس والجن على أن يكبّروا تكبيرة واحدة مثل تكبيرة أمير المؤمنين عليه السلام ما استطاعوا»،[2] فحينما يكبّر ينطق الله على

(1) نهج البلاغة ٤: ١٨/ خ ٨٢؛ شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١: ٣٢٤.
(2) الأربعون حديثاً/ الإمام الخميني قدس سره.

لسانه، في ليلة الهرير من معركة صفين كان عليه السلام يكبّر وفجأة اختفى صوته، فقلق المؤمنون عليه فربما أصابه شيء، بحثوا عنه وإذا به يصلي صلاة الليل بين الصفين والسهام تمرّ من فوقه ولا تصيبه، لقد عرج إلى الله فلا يرى مقاتلين ولا قتالاً ولا سهاماً، ولما اعترضوا عليه بقولهم: هل الآن وقت الصلاة أجابهم: على ماذا نقاتلهم؟[١]

المخلِص والمخلَص:

نعود إلى العبارة: «والمخلِصين في توحيد الله»، المخلِص يعني أن تكون نية الإنسان هي وجه الله، والقرآن يطرح مفهوماً أكمل من (مخلِص) وهو (مخلَص) ويعني أنّ الله استخلصه واجتباه واصطفاه.

في سورة ص يقول الشيطان: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.[٢]

وفي سورة يوسف يقول القرآن الكريم: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.[3]

ويقول عن موسى عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾.[4]

ولذا نقرأ في الزيارة الجامعة في وصف الأئمّة الأطهار عليهم السلام: «والمخلَصين في توحيد الله» فإنّ أهل البيت كانوا مخلِصين ومخلَصين في توحيد الله.

والقرآن الكريم يشير إلى إخلاص أهل البيت عليهم السلام في سورة الدهر

(1) أنظر: البحار/ المجلسي ٨٠: ٢٣؛ والوسائل/ الحر العاملي ٤: ٢٤٦/ ح ٥٠ و٥١، عن إرشاد القلوب للديلمي: ٢١٧.

(2) ص: ٨٢ و٨٣.

(3) يوسف: ٢٤.

(4) مريم: ٥١.

بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلى حُبِّه مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّه لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً﴾ ﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾.[1]

هذه أيام شهادة الزهراء عليها السلام، لقد كانت نموذجاً للإخلاص والتوحيد العملي، وفي الروايات أنها كانت إذا قامت في محرابها تزهر لأهل السماء كما تزهر النجوم لأهل الأرض.[٢]

وعن الإمام الصادق عليه السلام: إذا قامت في محرابها هبطت عليها ملائكة تناديها وهي قائمة في المحراب بالنداء الذي نادت به مريم عليها السلام: إن الله اصطفاك وطهرك.[٣]

وقال عليه السلام: إذا قامت في محرابها هبط عليها سبعون ألف قبيل من الملائكة يقولون: «يا فاطمة إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين».[٤]

إخلاص يوسف عليه السلام:

نرجع إلى مفهوم (مخلَص) في قصة يوسف عليه السلام حين قال الله عنه ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ **حيث بلغ القمة في التوحيد العملي.**

---

(1) الدهر: ٨ - ١٢.

(2) سئل الإمام الصادق عليه السلام عن فاطمة لِمَ سُميت زهراء؟ فقال: «لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض». معاني الأخبار/ الصدوق: ٦٤/ ح ١٥.

(3) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنما سُميت فاطمة محدّثة لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين...». علل الشرائع/ الصدوق ١: ١٨٢/ ح ١.

(4) قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: أهي (فاطمة) سيدة نساء عالمها؟ فقال: «ذاك لمريم بنت عمران، فأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة إن الله اصفاك ...». أمالي الصدوق: ٥٧٥/ ح ١٨/٧٨٧.

إن أوّل كلمة قالها حينما راودته التي هو في بيتها ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوابَ وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ قالَ مَعاذَ اللّهِ﴾ **أي العياذ بالله، ولم يقل أعوذ بالله، أي لم يجد لنفسه فعلاً ووجوداً.**

وقال: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ﴾ **أي الفضل منه، وليس للملك الذي قال لزوجته أكرمي مثواه، هذا هو التوحيد العملي، وقال القرآن:** ﴿كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.[1]

إن الله إذا استخلص إنسانا دفع عنه السوء والفحشاء.

عندما فقد يعقوب عليه السلام **ابنه يوسف** عليه السلام **ثم بنيامين قال:** ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[2] **أي صبر ليس معه شكوى، وكانت نتيجة الصبر أن رجع يوسف وأخوه إلى يعقوب، ونتيجة التقوى هي أن أصبح يوسف** عليه السلام **ملكاً على مصر، وقال لأخوته حينما جاؤوا يطلبون منه حنطة وشعيراً:** ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهذا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. **(يوسف: ٩٠).**

كلما أراد خصومه به سوءً لم يستطيعوا.

أراد إخوته قتله فألقوه في البئر فحفظه الله.

وقالوا لأبيهم لماذا تذكر يوسف، وأرادوا أن يكونوا هم المعزّزون، فازداد أبوه حباً له بدل النسيان.

وقد باعه إخوته بعد ما أُخرج من البئر بثمن بخس دراهم معدودة لكي لا يرجع إلى أبيهم، ولكنه أصبح وزيراً للمالية.

وفي بيت الملك ﴿راوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ﴾، **(يوسف: ٢٣) فقال: معاذ الله، ولما فشلت ودخل الملك** ﴿قالَتْ ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ﴾، **(يوسف: ٢٥) ولكن السجن كان سبباً لأن يكون يوسف مقرباً**

---

(1) يوسف: ٢٤.

(2) يوسف: ٨٣.

للملـك بعـد تفسـير رؤيـاه، وصـمّم علـى أن يعطيـه موقعـاً فطلـب أن يعقـد اجتماعـاً بينـه وبـين زوجتـه والنسـاء لرفـع الشـبهة عنـه وتبـرء سـاحته، ثـم اختـار وزارة الماليـة، قـال: ﴿اجْعَلْنـي عَلـى خَـزائِنِ الأَرْضِ﴾. (يوسـف: ٥٥) اعترفـت زليخـا بأنهـا هـي التـي راودته عن نفسه وقالت: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾. (يوسف: ٥١).

وأرادوا تلويـث سـمعته فطهـرت ﴿وَأَرادُوا بِـهِ كَيْـداً فَجَعَلْنـاهُمُ الْأَخْسَـرِينَ﴾، (الأنبيـاء: ٧٠) وأرادوا أن يكـون ذلـيلا فأصـبح عزيـزاً، وأصـبح قميصـه ذا مـدلول، حيث قال لإخوته: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾.[1]

أهل البيت عليهم السلام هم المخلصون:

إن أحـد صـفات أهـل البيـت عليهم السلام هـو الإخـلاص فـي التوحيـد، الإخـلاص هـو شـرط صـحة العبـادة، فـإذا كانـت العبـادة بـدون إخـلاص فهـي غيـر مقبولـة، وقمّـة الإخـلاص ومنتهـاه شـرط فـي النبـي والإمـام عليه السلام، أي أن المطلـوب فـي النبـي والإمـام هـو الإخـلاص الأكبـر، فكلمـا كـان الإنسـان مرجعـاً دينيـاً أو إمامـاً أو نبياً لزم منه إخلاص أكبر حسب مقامهِ.

الإخـلاص ذو مراتـب، مـن المرتبـة الـدنيا إلـى العليـا، وإذا حصـل الخلـل فيه فإن الله يحاسبه لأن موقعه يتناسب مع إخلاصه.

عقوبة يوسف عليه السلام:

ولهذا تقول الرواية: لما قال يوسف عليه السلام لصاحبه ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾،[2] أوحى الله إلى يوسف: من أراك الرؤيا التي رأيتها؟ فقال: أنت يا ربي.

قال: فمن حبّبك إلى أبيك؟ قال: أنت يا ربي...

---

(1) يوسف: ٩٣.

(2) يوسف: ٤٢.

قال: فمن صرف عنك كيد امرأة العزيز والنسوة؟ قال: أنت يا ربي.

قال: فمن ألهمك تأويل الرؤيا؟ قال: أنت يا ربي.

قال: فكيف استغثت بغيري ولم تستغث بي وتسألني أن أخرجك من السجن، واستغثت وأمَّلت عبداً من عبادي...[1] فكان نتيجة ذلك أن لبث في السجن بضع سنين.

هذه المسألة عادية بالنسبة لنا ولا تتنافى مع الإخلاص، ولكنها ليست كذلك بالنسبة للأنبياء والأئمّة عليهم السلام.

قصة يعقوب عليه السلام:

في الرواية عن الإمام السجاد عليه السلام: إن يعقوب كان كريماً يفتح مضيفه ويذبح يومياً خروفاً وينادي منادٍ: من كان صائماً فإفطاره عندي، ومن كان مفطراً فغداؤه عندي، في يوم من الأيام أغلق المضيف، فطرق أحد الضيوف الباب فَلم يجبه أحد، فبات جائعاً ذليلاً باكياً يشكو إلى الله، فأوحى الله إلى يعقوب: لأعاقبنك، وانتظر بلائي، ألا تعلم أن بلائي أسرع إلى أوليائي منه إلى أعدائي، وكان يعقوب خائفاً، وفي تلك الليلة رأى يوسف رؤياه في المنام ﴿إِذ قالَ يُوسُفُ لأَبيهِ يا أَبَتِ إِنّي رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيتُهُمْ لِي ساجِدينَ﴾.[2]

ولما أصبح الصباح أخبر أباه يعقوب الذي كان ينتظر البلاء وهو حسد إخوة يوسف له، وفعلوا به ما فعلوا إلى أن عاد إليه بعد أن ابيضّت عيناه من الحزن.[3]

والسبب أن الله ينتظر من الأولياء قمة الإخلاص، وأهل البيت عليهم السلام ينتظرون من شيعتهم أن يكونوا قدوة في الصبر والإخلاص.

---

(1) أنظر: تفسير العياشي ٢: ١٧٦/ ح ٣.

(2) يوسف: ٤.

(3) أنظر نص الرواية في تفسير العياشي ٢: ١٦٧/ ح ٥.

الإخلاص شرط قبول الأعمال:

الإخلاص شرط لقبول أعمالنا، والإخلاص العالي شرط في النبوة والإمامة، إذ هناك من يعبد الله على حرف، أي على شك في نبوة النبي.

القرآن يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[1] **يعني أن هناك من يعبد الله على شك في نبوة نبينا ﷺ، فإذا أصابه خير قال الحمد لله، وإذا أصابه شر قال هذه فتنة وهذا الوضع غير جيد.**

وكلما تعمّق الإخلاص تأتي مرحلة الإستخلاص، وقد عبّر القرآن عنها بلفظ ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ **حينما حكى عن الشيطان قوله:** ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.[2]

كيف نكون مخلَصين؟

يبين القرآن الكريم الجواب على ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3] **أي أن الذي يخلص من تسلّط الشيطان ويكون مقبولاً ومرضياً عند الله هو الذي يتوفر فيه الشرطان: الإيمان والتوكل، فالإيمان + التوكل = العبودية.**

وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[4] **أي إن الذين آمنوا وكانوا يتوكلون وهم عبادي ليس لك عليهم من سلطان ولا قدرة، إذن أصل القضية هي عبوديتنا لله.**

---

(1) الحج: ١١.
(2) ص: ٨٢ و٨٣.
(3) النحل: ٩٩.
(4) الحجر: ٤٢؛ والإسراء: ٦٥.

قصة بشر الحافي:

في رواية أن الإمام الكاظم عليه السلام مرَّ على دار، فخرجت جارية لتلقي القمامة، فسألها لمن هذا البيت؟ قالت: لمولاي بِشر، فأرسل عليه السلام رسالة فورية إلى قلب بِشر، قال لها : مولاك حرٌّ أم عبد؟

قالت: مولاي حر.

قال: صدقت، لو كان عبداً لاستحى من مولاه، فذهبت إلى سيدها وقصت عليه ما جرى، فهام على وجهه وراء موسى بن جعفر عليه السلام، حيث فهم الرسالة والتقى به، وبعدها أصبح زاهداً حتى سمي بـ (بشر الحافي) الذي لا يملك شيئاً.(١)

بشارة نبوية:

الأئمّة عليهم السلام لهم رسائل كثيرة لنا، وهنيئاً لنا على ذلك.

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله _ وهي بشارة لكم:

«ما جَلَس قومٌ يَذكرون الله إلاّ ناداهم منادٍ من السماء: قوموا فقد بدّلت سيئاتكم حسنات، وغفرت لكم جميعاً».(٢)

هنيئاً لكم، وأنا أغبطكم حقيقة، وهذا هو كرم الكريم، والله سبحانه أكرم الأكرمين وهو الذي يغفر الذنوب.

الكلام يجر الكلام، حينما عُرج برسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء أكرمه الله تبارك وتعالى إكراماً له ولأمته، وما أُكرم وفد على الله كما أُكرم رسول الله صلى الله عليه وآله، تلك الكرامة التي أعطاها الله هي قوله تعالى:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا

---

(1) راجع منهاج الكرامة/ العلامة الحلي: ٥٩.

(2) البحار/ المجلسي ٩٠: ١٦٢.

لَها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا أَنتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ﴾.[1]

من كرامات الرسول ﷺ:

وفي كتاب الاحتجاج: جاء يهودي إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا عليّ ان سليمان سخر له الله الرياح فبما أكرم الله نبيكم؟

قال عليه السلام: الله أكرم نبينا أن أُسري به مسيرة شهر من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرج به إلى السماء مسيرة خمسين ألف سنة (وهو فوق تصورنا، في أقل من ثلث ليلة حصل النبي ﷺ على الارتباط المطلق بالله عز وجل) يقول ﷺ: «حينما كنت عند سدرة المنتهى سمعت نداء ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾.

قلت: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

قال الله: اجبتك وغفرت لكم.

ثم قال الله: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها﴾.

قلت: ﴿رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا﴾.

قال: أجبتك.

قلت: ﴿رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا﴾.

قال: أجبتك.

قلت: ﴿رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ﴾.

قال: أجبتك.

فرجع رسول الله ﷺ وهو أشرف وفد في الوجود على أشرف موفود.

---

(1) البقرة: ٢٨٥ و٢٨٦.

يقول الإمام عليّ عليه السلام في عطاء الله تعالى لنبيّه في هذه الرحلة: الشدائد التي كانت على الأمم السابقة أسقطها الله عن المؤمنين. فإذا همَّ أحد من أمة رسول الله بسيئة ولم يقم بها لم تسجل عليه، وإذا قام أحدهم بحسنة سجلت له بعشرة، وإذا أذنب أحد وتاب في الأمم السابقة فإن الله لم يقبل توبته إلاّ بالعقوبة في الدنيا، ولكن أمة محمّد صلى الله عليه وآله يقبل الله توبتها في الدنيا والآخرة. وكان في الأمم السابقة يكتب على جبين المذنب مذنباً، ولكن أمة محمد صلى الله عليه وآله ستر الله عليها.[1]

كل ذلك باخلاص نبينا صلى الله عليه وآله وعظمته.

ماذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك السفر العظيم؟

عن الصادق عليه السلام في سند صحيح قال: قال الرسول صلى الله عليه وآله: «لما وصلت إلى بيت المقدس أتاني الخازن بثلاث أوانٍ فيها ماء ولبن وخمر، وسمعت منادياً ينادي: لو شرب الماء غرق وغرقت أمته، ولو شرب الخمر غوى وغوت أمته، ولو شرب اللبن هُدي وهديت أمته.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: فشربت اللبن. وهذه آثاره ممتدة إلى يوم يبعثون، فهداية الأمة بهداية النبي صلى الله عليه وآله الذي لم يخطأ الموقف.

ويقول صلى الله عليه وآله: بينما أنا في العروج وإذا بمنادٍ ينادي عن يميني فلم ألتفت، ومنادٍ عن شمالي فلم ألتفت، وإذا بفتاة تقول: أنظرني، فلم أنظر.

قال جبرئيل: ماذا رأيت في الطريق؟

قلت: سمعت نداءاً عن يميني وعن شمالي، ورأيت امرأة من أمامي. فقال جبرئيل: الأوّل داعي اليهود لو أجبته لتهوّدت أمتك.

وهكذا الثاني (داعي النصارى) لو أجبته لتنصّرت أمتك، وهكذا الفتاة المتزينة (الدنيا) لو نظرت إليها وأجبتها لخسرت وخسرت أمتك.[2]

---

(1) أنظر هذا ونحوه في: الاحتجاج للطبرسي ١: ٣٢٧.

(2) أنظر: تفسير القمي ٢: ٣، عنه البحار/ المجلسي ١٨: ٣٢٠/ ح ٣٤.

رحم الله الإمام الخميني ﷺ، كتب في رسالة إلى كورباتشوف وهو آخر رئيس سوفيتي: «إنني أسمع تكسر عظام جمجمة الشيوعية في العالم» وحينها كان الاتحاد السوفيتي يمثل الدب الأكبر في العالم، وبعده انتهت الشيوعية.

وهكذا نادانا الغرب بالخلاعة والتهتك، لكن الشعب المسلم في العراق قاوم وانتصر، ثم سلطوا علينا الفضائيات المنحرفة والخليعة فصمد الشيعة تجاه ذلك، وها أنتم الآن أقرب إلى المجالس الدينية وإلى دينكم، وهم في الغرب يخافون منا أكثر مما نخاف منهم.

نحن أمة نبينا محمّد ﷺ كلما ينادينا منادٍ عن يميننا وشمالنا لم نجبه، وقلنا نريد الإسلام والقرآن وأهل البيت عليهم السلام والعدالة الإنسانيّة.

إخلاص أمير المؤمنين عليه السلام:

إخلاص الإمام عليّ عليه السلام فوق التصور، يقول في نهج البلاغة:

«وَاللَّهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ... وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا فَقُلْتُ لَهُ ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ أَتَئِنُّ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظَى...

وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ وَ إِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي

فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ وَقُبْحِ الزَّلَلِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ».[١]

هذا هو معنى: «والمخلَصين في توحيد الله».

معالم الإخلاص في كربلاء:

معالم الإخلاص والفناء لله نقرؤها في كربلاء.

الناس على قسمين كما بيّن الإمام الحسين عليه السلام حينما نزل في كربلاء يوم الثاني من محرم في خطبته حيث قال: «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون».[٢]

وقال: «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً».[٣]

أمّا أصحاب الحسين عليه السلام، فهذا برير كان من مشايخ الكوفة رؤي يوم عاشوراء يهزل ولما سئل عن ذلك قال: والله ما أردت الباطل لكن ما هي إلاّ ساعة حتى نعانق الحور العين.[٤] وكذلك كان زهير ضاحكاً يوم عاشوراء.

الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء جمع أصحابه وقال: «إني لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي».[٥]

تصوروا الموقف، عدد الأعداء ثلاثون ألف يحيطون بهم والسيوف مشرعة، والحسين عليه السلام يقول لأصحابه اذهبوا ليس لي عليكم ذمام، تصوروا لو كنا نحن مع الحسين عليه السلام هل نبقى معه أو نتركه؟

---

(1) نهج البلاغة ٢: ٢١٨/ ٢٢٤.

(2) البحار للمجلسي ٤٤: ٣٨٣.

(3) مقتل الحسين/ أبي مخنف: ٨٦.

(4) مقتل الحسين/ أبي مخنف: ١١٥.

(5) مقاتل الطالبيين/ أبو الفرج الأصفهاني: ٧٤.

وقعوا على أقدام الحسين عليه السلام، يقول زهير: لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لأثرنا النهوض معك على الإقامة فيها.[١] فكيف وهي فانية؟ لقد أشرق نور الحسين عليه السلام في قلب زهير.

بعد أن رآهم الحسين عليه السلام صرعى ناداهم: «ما لي أناديكم فلا تسمعون وأدعوكم فلا تجيبون، أنتم نيام أرجوكم تنتبهون».[٢] لم يجبه أحد إلاّ صوت أخته العقيلة زينب عليها السلام.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

* * *

(1) البحار/ المجلسي ٤٤: ٣٨١.

(2) موسوعة كلمات الإمام الحسين/ الشيخ الشريفي: ٤٨٤/ ٤٦٥/ ٢٦٧.

المحاضرة السادسة عشرة:

ما هو الأمر الإلهي؟

«والمظهرين لأمر الله ونهيه»

حديثنا الليلة في هذا المقطع من الزيارة:

«والمظهرين لأمر اللّه ونهيه».

والذي يعني أن أهل البيت عليهم السلام يظهرون أمر الله ونهيه.

معاني أمر اللّه:

هناك ثلاثة معانٍ للأمر الإلهي:

الأوّل: الأمر التكليفي التشريعي.

الثاني: الأمر القضائي التكويني.

الثالث: الأمر الشأني.

الأمر التكليفي:

يتحدث القرآن الكريم عنه في آيات مختلفة كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾،[1] حيث فرض علينا أن نعمل بالعدالة وكلفنا بها، هذا أمر تشريعي وتكليفي.

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾،[2] إنه أمر يطلب فيه الله العدل والإحسان وينهانا عن البغي، هذا أمر تكليفي وتشريعي.

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾،[3] هذا أمر تكليفي وتشريعي.

---

(١) الأعراف: ٢٩.

(٢) النحل: ٩٠.

(٣) النساء: ٥٨.

والأمر التكليفي التشريعي يكون تارة واضح الأسرار من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾،[1] فلا يحتاج إلى معرفة السبب، إنه من الأوامر التشريعية واضحة الخلفيات، ويكون تارة غامضاً في خلفياته ولا نعرف السبب، فتجب هنا الطاعة والتعبّد، وإذا لم نحصل الجواب نقول سمعاً وطاعة، كعدد ركعات الصلاة فإنه من التكاليف التعبدية الواجب إطاعتها، سواء عرفت أم لم تعرف فلسفة أعداد الركعات.

جدل بني إسرائيل:

كان بنو إسرائيل أمة ذات لجاجة وعناد مع الأنبياء عليهم السلام، ويحدثنا القرآن عنهم في قصص كثيرة.

فمثلاً قال لهم موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾،[2] أنه أمر تشريعي تكليفي، ولكنهم لا يعلمون حكمته، وكان عليهم أن يطيعوا بعد أن كان أحد المجرمين قد قتل ابن عم له وألقى جسده على قارعة الطريق في محلة عشيرة محترمة، وقال للناس: إن فلان من أسباط قوم يعقوب هو الذي قتله، فثارت فتنة في بني إسرائيل، وجاءوا إلى موسى، فقال موسى: إني أحل لكم المشكلة ليس عبر الشهود ولكن بالإعجاز الإلهي، عليكم أن تذبحوا بقرة، فقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾،[3] ولكن الله يأمركم بذلك، استمروا في اللجاجة وقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾؟

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾؟

---

(1) البقرة: ٦٧.

(2) السابق.

(3) النحل: ٩٠.

﴿قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النّاظِرِينَ﴾.
﴿قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا وَ إِنّا إِنْ شاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.
﴿قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَ لا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها﴾.
﴿قالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ﴾.[1]

إنهم وجدوا هذه البقرة ذات الشروط والصفات النادرة، صفراء فاقع لونها تسرّ الناظرين، لا عجوز ولا صغيرة، وسالمة لا عيب فيها، وقوية غير ذليلة ولا منهكة، فبحثوا عن هذه البقرة فما وجدوها إلاّ عند شاب، فقال: لا أبيعها إلاّ بوعاء مملوء ذهباً.

عادوا إلى موسى وشرحوا له ما حدث.

قال: هذا بسبب أسئلتكم وجدلكم.

فاضطروا إلى شرائها بهذا الثمن العظيم، وذبحوها وقطعوا ذيلها وضربوا به المقتول، فنطق أن قاتله هو فلان بن فلان وانتهت المشكلة.

يقول المفسرون:

إن هذا الشاب كان عقد معاملة بيع، وجاء إلى أبيه ليأخذ المفاتيح، وكان الأب نائماً والمفتاح تحت الوسادة، فانتظر حتى يستيقظ الأب فانصرف المشتري ولم يحقق الربح وانتهى كل شيء، ولما استيقظ الأب وعرف ما حدث قال لولده خذ هذه البقرة وبعها حتى تحصل على بديل ربحك، فباعها بالذهب حسب القصة السابقة.

هذا نموذج من عناد ولجاجة بني إسرائيل.

وأنزل الله عليهم المن والسلوى، وهما عبارة عن العسل والطير المشوي، فقالوا: نريد باقلاء وعدس! فأعطاهم الله ذلك.

إن مشكلة بني إسرائيل هي عدم قبولهم للتعبّد بالأحكام الشرعيّة،

---

(1) البقرة: ٦٩ - ٧١.

وعدم خضوعهم للتكليف، بينما الواجب على الإنسان هو أن يقبل بما هو التكليف الشرعي سواء عرف أسراره أو لم يعرف أسراره.

الحقيقة أن هناك سؤال استفهامي لا يمنعه الإسلام، كالسؤال: متى تقوم الساعة؟ وجوابه: علمها عند ربي ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾.[١]

لكن هناك أسئلة إزعاجية تدل على عدم الاعتراف بكلام النبي. كقول بني إسرائيل: أتتخذنا هزواً؟ إن قصة بقرة إسرائيل هي نموذج للأسئلة التي يطرحها ضعاف العقول.

ويمكن أن نذكر مثالاً للأحكام التكليفية التعبدية وهو تحريم لبس الذهب على الرجال، فإن بعض الناس لا يقبل بهذا التكليف لأنه لا يعرف أسراره.

الأمر القضائي:

الأمر الإلهي الثاني هو الأمر القضائي التكويني، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[٢]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾.[٣] **فالمقصود بالأمر هنا هو القضاء الإلهي.**

الأمر الشأني:

الأمر الثالث هو الأمر الشأني، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾،[٤] **بمعنى أن الروح شأن من شؤون الله لا يعرفه الإنسان.**

---

(1) الأعراف: ١٨٧.

(2) يس: ٨٢.

(3) القمر: ٥٠.

(4) الإسراء: ٨٥.

إذا عرفنا هذه المعاني الثلاثة للأمر الإلهي نقول: إن المقصود في الزيارة بقوله: «والمظهرين لأمر الله ونهيه» هو الأوامر والنواهي التشريعية الإلهية، وليس المقصود هو الأمر القضائي أو الشأن الإلهي.

هديتان للحاضرين:

أقدم لكم هدية يا من تحضرون هذه المجالس المحبوبة.

الأولى: هي حديث شريف عن رسول الله ﷺ:

«ما من مؤمن يقصد ساعة عند العالم إلاّ ناداه ربه ﷻ: جلست إلى حبيبي، وعزتي وجلالي لأسكننك الجنة معه ولا أبالي».(١)

الحضور في هذه المجالس لا يقاس بكل الدنيا، هذه بشارة لكم.

وهناك هدية أخرى لكم هي قوله ﷺ:

«من خرج يطلب باباً من علم ليرد به باطلاً إلى حق أو ضلالة إلى هدى، كان عمله ذلك كعبادة متعبد أربعين عاماً».(٢)

ثلاث دعوات مستجابة:

أذكر لكم رواية طريفة تقول:

إن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء في الزمن الأوّل: أن لرجل من أمتك ثلاث دعوات مستجابة، فأخبر ذلك الرجل به، فانصرف من عنده إلى بيته، وأخبر زوجته بذلك، فألحت عليه أن تكون الدعوات الثلاث لها، فرضي، فقالت: سل الله أن يجعلني أجمل نساء ذلك الزمان، فدعا الرجل فصارت كذلك، ثم إنها لما رأت رغبة الشبان فيها وتعرضهم لها وايذاءهم إياها جاءت

---

(1) أمالي الصدوق: ٩١/ ح ٦٤/٤.

(2) أمالي الطوسي: ٦١٩/ ح ١٢٧٥/١١.

إلى زوجها وطلبت منه ان يدعو الله ان يجعلها قبيحة، فدعا لها فاصبحت قبيحة، ولما رأت الناس يهزأون بها جاءت إلى زوجها وطلبت منه أن يسأل الله ان يعيدها إلى حالتها الأولى فسأل الله ذلك فعادت إلى حالتها الأولى، فذهبت الدعوات الثلاث ضياعاً.[1]

الارتباط المطلق بالله:

حينما عرج برسول الله ﷺ إلى السماء سأل الله أن يكرمه فقال: يا ربّ أعطيت أنبياءك فضائل فأعطني.

فقال له: أعطيتك فيما أعطيتك كلمتين من تحت عرشي: «لا حول ولا قوة إلاّ بالله، ولا منجا منك إلا إليك»[2] إن هاتين الكلمتين تحملان أعظم معنىً.

إنه يمكن لكل واحد أن يقولهما، ولكن المقصود أن يفنى الإنسان في معنى لا حول ولا قوة إلاّ بالله، أي لا يقدم يداً ولا رجلاً إلاّ بالله، وقد صار رسول الله ﷺ تجسيداً لـ (لا حول ولا قوة إلاّ بالله) فكان لا يريد شيئاً إلاّ ما يريد الله (ولا منجى منك إلا إليك).

خمس صلوات بدل خمسين صلاة:

وبمناسبة المبعث النبوي الشريف أذكر لكم قول رسول الله ﷺ في المعراج: «إن الله قال أني فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة في اليوم والليلة، فلمّا هبط التقى في الطريق موسى عليه السلام فأخبره بذلك، فقال له موسى: ارجع إلى ربك، إن أمتك لا طاقة لها بها، فرجع رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وخرَّ ساجداً وقال: أمتي لا طاقة لها، فخفف عنها عشرة، فرجع وقال له موسى مثل ما قال أوّلاً، فعاد رسول الله ﷺ وقال:

---

(1) الدعوات/ الراوندي: ٣٨/ ح ٩٣. جاءت هذه الرواية بشكل آخر.

(2) تفسير القمي ٢: ١١.

إلهي أمتي لا طاقة لها، فخفف لها عشرة أخرى وهكذا، وما زال يخفف حتى أصبحت خمس صلوات، ولما قال موسى ارجع إلى ربك واسأله أن يخفف فانه ليس لأمتك طاقة عليها استحى رسول الله ﷺ وقال: نصبر على خمس صلوات.

فأوحى الله تعالى له: بما أنك صبرت فإن ثواب هذه الصلوات الخمس هو ثواب خمسين صلاة».[(١)]

مراتب إظهار الأمر التشريعي:

ذكرنا أنّ أمر الله يكون على ثلاثة معانٍ: الأمر القضائي، والأمر الشأني والأمر التشريعي والتكليفي، وقلنا أنّ المقصود من الأمر ظاهراً في هذه الزيارة هو المعنى الثالث، فأوامر الله ونواهيه يظهرها أهل البيت عليهم السلام.

وهذا الإظهار يكون على ثلاث مراتب:

١ _ الإظهار من عالم الغيب إلى عالم الشهادة.

٢ _ الإظهار من السر إلى العلن.

٣ _ الإظهار من العلم إلى العمل.

بعض هذه المراتب هي من اختصاص الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وبعضها للأنبياء والأوصياء والفقهاء، وبعضها لعموم المؤمنين.

المرتبة الأولى: بيان الأحكام الإلهية وتنزيلها وكشفها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة والدنيا، وقد نُزّل القرآن الكريم والتوراة والانجيل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، قال تعالى: ﴿فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى﴾،[(٢)] فلما عُرج برسول الله ﷺ إلى السماء استطاع أن يخرق الحجب ويستكشف الحقائق القرآنية ويحصل على الأحكام الإلهية.

(1) أنظر: أمالي الصدوق: ٥٤٣/ ح ٦/٧٢٧؛ بحار الأنوار ١٨: ٣٣٠.

(2) النجم: ١٠.

إنّنا لا نملك علاقة مباشرة مع الله في مجال كشف الأحكام الشرعيّة، بل الأنبياء هم الذين يكشفون لنا عالم الغيب، والقرآن ترجمة مخففة لما عند الله عبر آلاف المراتب حتى نستطيع فهمه.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾.[1] **القرآن الذي بأيدينا نسخة ميسّرة لكتاب الله.**

قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾.[2]

وقال تعالى ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾.[3]

إنّ رسول الله ﷺ بسط القرآن من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، واستطاع أن يشرحه ليفهمه الناس. قال تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[4] **ولكن تفسيره الظاهري هو طهارة اليد التي تمسه، وتفسيره الأعمق هو أنّ الإنسان العادي لا يستطيع اكتشاف معناه بل المطّهر الذي يستطيع أن يرى جبرئيل عليه السلام. وفي هذه المرتبة قد يشترك الأوصياء مع الأنبياء وذلك من خلال تعليم الرسول ﷺ للوصي، كما قال الإمام عليّ عليه السلام: «حدثني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب»[5] فيكون الوصي المعصوم قادراً على كشف الحقائق المستورة عن سائر البشر.**

المرتبة الثانية: هي إظهار الأمر الإلهي من السر إلى العلن.

لقد كان رسول الله ﷺ غير مكلف بالتبليغ ثلاث سنوات، وكان يعبد

---

(1) الواقعة: ٧٧ - ٧٩.

(2) مريم: ٩٧؛ الدخان: ٥٨.

(3) الحشر: ٢١.

(4) الواقعة: ٧٩.

(5) الكافي ٨: ١٤٧؛ الخصال: ٥٧٢.

الله مع عليّ عليه السلام وخديجة وزيد بن حارثة إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[1] حيث كانت الدعوة الإسلامية خاصة، فصار الإبلاغ عاماً بعد أن نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[2] فجمع صلى الله عليه وآله قريش فقالوا: مالك؟

قال: أرأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقونني؟

قالوا: بلى.

قال: إني نذير لكم.[٣]

هذا هو عمل الأنبياء والأئمّة والفقهاء، وهو إظهار شريعة الله والدعوة إليه.

ولهذا يقول الإمام عليّ عليه السلام: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها...».[٤]

المرتبة الثالثة: الإظهار من العلم إلى العمل، وهو الممارسة التي يقع تكليفها على جميع المؤمنين، نقل الإسلام إلى واقع العمل من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فريضة الأمر بالمعروف:

قال تعالى ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[5] وقد جعل الله تعالى للمؤمنين خمس صفات، حيث قال:

---

(1) أنظر: تفسير القمي ١: ٣٧٨، والآية في سورة الحجر: ٩٤ و٩٥.

(2) الشعراء: ٢١٤.

(3) مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب ١: ٤٤.

(4) نهج البلاغة ١: ٣٧/ خ ٣.

(5) لقمان: ١٧.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾. **ثم قال تعالى:** ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.(١)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو تكليف الجميع، ويشمل الأنبياء والأئمّة والفقهاء وسائر الناس، وهو مسؤولية ثقيلة حيث من الصعب التصدي والدخول في مشادات مع الآخرين، ولقد كانت مشكلة بني اسرائيل هي أنهم ﴿كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ﴾.(2)

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «أما أنهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم ولا يجلسون مجالسهم، ولكن كانوا إذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وأنسوا بهم».(٣)

ولهذا انتقم الله من قوم شعيب، حيث أوحى إليه: «إنّي معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألف من شرارهم، وستين ألف من خيارهم».

فقال عليه السلام: يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟

فأوحى إليه عزّ وجلّ: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي.(٤)

نحن هل أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر؟

روي عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقرب أجلاً ولا يؤخر رزقاً».(٥)

شروط الأمر بالمعروف:

هناك طبعاً شروط لهما:

الأوّل: العلم بالمعروف والمنكر.

---

(1) التوبة: ٧١.

(2) المائدة: ٧٩.

(3) تفسير العاشي ١: ٣٣٥/ ح ١٦١.

(4) الكافي الكليني ٥: ٥٦/ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ ح ١.

(5) الإختصاص/ المفيد: ١٥٩.

والثاني: احتمال التأثير.

والثالث: الأمن من الضرر على نفسه أو أهله بأن لا يعتدي عليك إذا نهيته. ولكن إذا تعرض الدين إلى خطر فيجب الدفاع عنه، كالإمام الحسين عليه السلام الذي قال: «إنّي لم أخرج أشِرا ولا بطِراً ولا مفسداً ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».[1]

فضل شهر شعبان:

دخلنا في شهر شعبان ويستحق أن نسلط عليه الأضواء.

هناك غيب كشفه رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الشهر.

في الكون تحولات مشهودة في الطبيعة، كتحول الليل والنهار والصيف والشتاء، وهناك تحولات غير مشهودة تحدث في هذا الشهر.

من مسؤوليات الأنبياء عليهم السلام:

إن لرسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك الأنبياء أدواراً مهمة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾،[2] انّهم أصحاب مسؤوليات ثلاث:

١ ـ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وهذا هو الدور التربوي.

٢ ـ ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث، وهذا هو الدور التشريعي.

٣ ـ ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم، وهذا هو الدور السياسي.

للنبي دور تربوي وتشريعي وسياسي، والذين آمنوا بهذا النبي هم المفلحون.

---

(1) البحار/ المجلسي ٤٤: ٣٢٩.

(2) الأعراف: ٥٧.

التحول الكبير:

روي عن النبي ﷺ قال: ألا إن رجب شهر الله... ألا إن رجب وشعبان شهراي، وشهر رمضان شهر أمتي.(١)

ولماذا نسب شعبان لرسول الله ﷺ؟ لا ندري ولا نعرف فلسفته. أنظروا إلى التحول العجيب الذي يحدث في شعبان:

١ _ يرسل إبليس جنوده إلى أهل الأرض لإغوائهم، والله يرسل ملائكته لهداية العباد.

وتفتح الجنة أبوابها، وتنزل منها أغصان شجرة طوبى على بيوت المؤمنين، أرضها في عالم الجنة ولكنها تتدلى بأغصانها في عالم الدنيا.

وهناك شجرة الزقوم أرضها في جهنم وتتدلى في شعبان إلى بيوت المنافقين، والعاقّين لوالديهم، وهاتكي الأعراض وفاعلي المنكرات.

من صلى وصام وتصدق، وكفّ أذاه، وتلا فيه آية، وأصلح بين زوج وزوجته، بين جار وجاره، وكفل يتيما فإنّه يتعلق بغصن من أغصان شجرة طوبى.

وعنه ﷺ قال: «كأني أنظر إلى بعض المؤمنين متعلقاً بغصن، وبعضهم بغصنين، وبعضهم بثلاثة، وبعضهم بأربعة أغصان، وبعضهم بأغصانها كلها، إلى أن قال: ... وكل من أتى باب خير تعلّق بغصن من أغصان شجرة طوبى، وكل من أتى باب شر تعلق بغصن من شجرة الزقوم».(٢)

٢ _ استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فمن أراد أنّ تصافحه أرواح

---

(1) أمالي الصدوق: ٦٢٧/ المجلس ٨٠/ ح ١/٨٤٤.

(2) أنظر هذا ونحوه في بحار الأنوار للمجلسي ٩٤: ٦١ – ٦٥/ باب ٥٦ فضائل شهر شعبان/ ح ١؛ وكذلك مفاتيح الجنان: فضل شهر شعبان.

مائة وأربع وعشرين ألف نبي فعليه زيارة الحسين عليه السلام في النصف من شعبان، لأنّهم يحضرون عند قبر الحسين عليه السلام(1) وهذه ظاهرة كونية عجيبة.

٣ _ الصيام، فعن الإمام الصادق عليه السلام من صام أول يوم من شهر شعبان وجبت له الجنة، ومن صام يومين نظر الله إليه في كل يوم وليلة في دار الدنيا ودام نظره إليه في الجنة، ومن صام ثلاثة أيام زار الله في عرشه من جنته كل يوم.(2)

إنّها فرصة اغتنموها لكي تكونوا من ضيوف الله من شهر رمضان.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى هلال شعبان أمر منادياً ينادي في المدينة: يا أهل يثرب إني رسول رسول الله إليكم، ألا أن شهر شعبان شهري فرحم الله من أعانني على شهري ثم قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: «ما فاتني صوم شعبان منذ سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي في شعبان فلن يفوتني أيام حياتي صوم شعبان».(3)

٤ _ وهناك المناجاة الشعبانية المكتوبة في مفاتيح الجنان وهي في غاية العظمة قد التزمها الأئمّة عليهم السلام.

٥ _ في شهر شعبان ولادة الإمام الحسين عليه السلام وأبي الفضل العباس عليه السلام والإمام زين العابدين عليه السلام والإمام الحجة عليه السلام في النصف من شعبان وهي من الليالي المخصوصة التي تقسم فيها الأرزاق وتكتب الآجال.

---

(1) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أحب أن يصافحه مائة ألف وعشرون ألف نبي، فليزر قبر الحسين عليه السلام في نصف شعبان، إن أرواح النبيين يستأذنون الله تعالى في زيارته فيؤذن لهم». مصباح المتهجد/ الطوسي: ٨٣٠؛ كامل الزيارات: ٣٣٤.

(2) ثواب الأعمال/ الصدوق: ٥٩.

(3) إقبال الأعمال/ ابن طاوس ٣: ٢٨٨.

مشاورة الزوجة العاقلة:

هناك نساء عاقلات كنّ السبب لهداية أزواجهنّ.

في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام: إنه كان في بني إسرائيل رجل، فأتاه في منامه من قال له: إن لك نصف عمرك سعة ونصف عمرك شقاء، فاختر أي النصفين شئت، فقال: إن لي شريكاً، فلما أصبح الرجل (فأخبر زوجته) فقالت له: اختر النصف الأوّل، فقال لك ذلك، فأقبلت عليه الدنيا، فكان كلما كانت نعمة قالت له زوجته: جارك فلان محتاج فصله، وتقول قرابتك فلان فتعطيه... فأتاه الرجل في المنام فقال: إن النصف الأوّل قد انقضى فما رأيك؟ (فأخبر زوجته) فقالت له: قد أنعم الله علينا فشكرنا، والله أولى بالوفاء، قال: فإن لك تمام عمرك سعادة.[1]

وهكذا كانت زوجة زهير بن القين، فقد نصحت زوجها فصار من أصحاب الحسين عليه السلام ومن سادات الشهداء عند العرش.

زهير بن القين:

شاهد الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى العراق خيمة، فسأل عنها فقيل: هي لزهير بن القين حيث خرج من الكوفة بعد مجيء عبيد الله بن زياد، فأرسل إليه رسولاً أبلغه سلام الحسين عليه السلام ودعاه إلى خيمته، وكان زهير على مائدة الطعام فسقط ما بيده. كان زهير ذا شخصية كبيرة، فهو من ناحية لا يريد أن يكون من أنصار الحسين عليه السلام، ومن ناحية ثانية كان ذا بصيرة وعقل ويعلم أنّ الحسين عليه السلام على حق.

قالت زوجته: انهض وانظر ماذا يريد الحسين بن فاطمة وابن رسول الله صلى الله عليه وآله، قام زهير وتوجه إلى الحسين عليه السلام، فقال له كلمات رجع بعدها إلى زوجته وقال: إنهضي وارجعي إلى أهلك.

قالت: ما الخبر؟

---

(1) أنظر: البحار/ المجلسي ٦٨: ٥٥/ ح ٦٨، عن مشكاة الأنوار: ٣٠.

قال: ذكّرني الحسين عليه السلام بالغزوة التي كنت فيها وانتصرنا فيها حيث قال سلمان: ليكن فرحكم بنصرة الحسين عليه السلام أشد فرحاً من جمع الغنائم.[١]

صار زهير بن القين من أصحاب الحسين عليه السلام ومن سادات شهداء الجنة، هنيئا لك يا زهير على هذه النعمة.

نعيش ذكرى المبعث النبوي الشريف، وذكرى شهادة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في شهر رجب، وهو شهر العبادة والتقرب إلى الله.

باب الحوائج:

عُرف الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بأنه باب الحوائج، وكان يدعو لقضاء حاجات الناس، إنها أخلاق يجب التعليم عليها.

وفي هذا السياق، سأل علي بن يقطين الإمام الكاظم عليه السلام أن ينسحب من الوزارة، وكان عليّ بن يقطين وزيراً عند هارون الرشيد، فقال له عليه السلام:

«لا تفعل، إن لنا بك أُنساً، ولأوليائنا بك عزاً» ثم أوصاه عليه السلام بوصية قائلاً:

«يا علي بن يقطين كفارة أعمالكم الإحسان إلى اخوانكم، إضمن لي واحدة أضمن لك ثلاثة: إضمن لي أن لا تلقى أحداً من أوليائنا إلاّ قضيت حاجته وأكرمته أضمن لك أن لا يظلك سقف سجن، ولا يدخل الفقر بيتك، وأن لا تذوق حرَّ الحديد، ثم قال عليه السلام: من سر مؤمناً فبالله بدأ، وبالنبي صلى الله عليه وآله ثنّا، وبنا ثلّث.»[٢]

الإمام عليه السلام باب الحوائج، ووصيته قضاء حوائج الناس، وقد اختص

(1) أنظر: الإرشاد/ المفيد ٢: ٧٢.

(2) البحار/ المجلسي ٤٨: ١٣٦/ باب ٦/ ح ١٠.

في زيارات له بمعان خاصة غير موجودة في بقية الزيارات، وهي معان تشرح ما جرى عليه.

منها:

«اللهم وصلّ على وليّك موسى بن جعفر حليف السجدة الطويلة والدموع الغزيرة والمناجاة الكثيرة والضراعات المتصلة، ذي الساق المرضوض بحلق القيود، المعذب في قعر السجون، والمنادى على جنازته بذل الاستخفاف».[١]

وضعت جنازته على الجسر ببغداد، واجتمع مئات الآلاف من الشيعة ثم نادوا: من أراد أن يشهد جنازة الطيب ابن الطيب فليشهد جنازة موسى بن جعفر.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

* * *

(1) البحار/ المجلسي ٩٩: ١٦/ باب ٢/ ح ١٠.

المحاضرة السابعة عشرة:

أهل البيت عليهم السلام حُماة لشيعتهم

«والذادة الحُماة»

والذادة الحماة:

حديثنا الليلة عن هذا المقطع «والذادة الحماة».

وتعني هذه العبارة من الزيارة الجامعة أنّ أهل البيت عليهم السلام يدافعون عن شيعتهم ويدفعون عنهم المخاطر.

إنّنا نطلق على أمير المؤمنين عليه السلام: (حامي الحِمى) ويعني أنّه يحمي من يلوذ به، وهذا ما نعتقد به ويشهد به الناس أنّ أهل البيت عليهم السلام يحمونهم عملياً ويذودون عنهم.

مكانة أهل البيت عليهم السلام:

إنّنا نلاحظ مفهوم «الذادة الحماة» في مجموعة من النصوص في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، كحديث السفينة المتواتر، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى»[1] ونجد ذلك في كتب السنّة المتفق عليها.

ولكي نتصور مفهوم (السفينة) نلاحظ هذه الرواية عنهم عليهم السلام: «نحن أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء»[2] والروايات القائلة: «لولا وجود الحجة من الله لساخت الأرض...»[3] ونلاحظ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ

---

(١) أنظر: الصواعق المحرقة: ١٥٢/ باب ١١/ فصل ١؛ مستدرك الحاكم ٢: ٣٤٢؛ الكافي للحلبي: ٩٧.

(٢) أنظر: كفاية الأثر للخزاز القمي: ٢٩؛ منتخب الأنوار المضيئة/ السيد بهاء الدين النجفي: ٦٠.

(٣) أنظر بحار الأنوار للمجلسي ٧٥: ٢١٣؛ مستدرك سفينة البحار/ الشيخ علي النمازي ٢: ٤٤٥؛ شرح أصول الكافي للمازندراني: ١٢٦؛ غنائم الأيام للميرزا القمي: ٢٩.

اللَّـهُ لِيُعَـذِّبَهُمْ وَأَنْـتَ فِـيهِمْ وَمَـا كَـانَ اللَّـهُ مُعَـذِّبَهُمْ وَهُـمْ يَسْـتَغْفِرُونَ﴾[١] **ويعنـي أنّ هنـاك شرطين لأمان الأرض ومن عليها، وهما: وجود المعصوم، والاستغفار.**

ويـذكر المفسـرون أنّ الله أهلـك الأمـم السـابقة بعـد ذهـاب المعصـوم كمـا يـذكر القـرآن الكـريم عـن قـوم لـوط، فـإنّ إبـراهيم عليه السلام قـد اسـتوحش حينمـا سـمع الملائكـة تقـول: إنّـا رسـل ربـك إلـى قـوم لـوط، وأخـذ يجـادل ـ حسـب الروايـة[٢] ـ ويقـول: إلهـي ارحمهـم ﴿إِنَّ إِبْـراهِيمَ لَحَلِـيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيـبٌ﴾[٣] **يجادلنـا فـي قـوم لـوط، فقـال تعـالى: انّـي لا أعـذبهم إذا كـان فـيهم بيـت مـؤمن واحـد، فلـم يوجـد غيـر بيـت لـوط عليه السلام، فـأمره الله بـالخروج** ﴿أَسْـرِ بِأَهْلِـكَ بِقِطْـعٍ مِـنَ اللَّيْـلِ وَلا يَلْتَفِــتْ...﴾[٤] **وبعـد خروجـه أنـزل الله علـيهم الـبلاء، إذن طالمـا كـان المعصـوم موجوداً فإنّ البلاء لا ينزل.**

صور الحماية:

ويمكن أن نصوّر (الذادة الحماة) في صور أربع:

١ ـ الحماية من الانحراف.

٢ ـ الحماية من الإبادة.

٣ ـ الحماية من الأعداء.

٤ ـ الحماية عند الموت وما بعد الموت.

الحماية الأولى:

وفـي حـديث الثقلـين المتفـق عليـه المتـواتر يقـول النبـي صلى الله عليه وآله:

---

(١) الأنفال: ٣٣.

(2) أنظر: الكافي ٨: ٣٢٨؛ بحار الأنوار ١٢: ١٥٦.

(٣) هود: ٧٥.

(٤) هود: ٨١.

«إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»[1] فلو تمسك الناس بهما ما جرى عليهم من بلاء الظلال والانحراف.

وفي رواية يقول عليه السلام: «يحمل هذا الدين في كل قرن عدول، ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكير خبث الحديد»[2] إذن إنّ لأهل البيت عليهم السلام موقع حماية المذهب والدين من الانحراف.

وفي هذا السياق نجد أنّ أوّل من جمع القرآن هو أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن كان متناثراً، ثم جرت محاولات أخرى للجمع.

وقد دافعت الزهراء عليها السلام عن الدين والأمّة، وهكذا الحسن والحسين عليهما السلام والسجاد عليه السلام، وقد قاموا بحماية الإسلام من المذاهب المنحرفة التي فرضتها السلطة على المسلمين، وقاموا بتأسيس المذهب الصحيح وتصحيح المسار الفكري لدى المسلمين.

الحماية الثانية:

حماية الأرض ومن عليها، فالأنبياء عليهم السلام وأهل البيت عليهم السلام أمان لأهل الأرض، ولولا وجود المعصوم لساخت الأرض،[3] إنّ بقية الله هو حجة الله، والسبب المتصل بين الأرض والسماء.

الحماية الثالثة:

دفع كيد الأعداء، فالناس أصابتهم جراحات كثيرة، لكن الكيد مدفوع عنهم كعدو يريد أن يستأصل التشيع والشيعة فلا يستطيع وهذا ما نلمسه.

---

(١) وسائل الشيعة ٢٧: ٣٤. (ط: آل البيت/ قم).

(٢) أنظر رجال الكشي ١: ١٠/ ح ٥؛ بحار الأنوار للمجلسي ٢: ٩٢.

(3) عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت». الكافي ١: ١٧٩.

كتب الإمام الحجة # رسالة إلى الشيخ المفيد رحمه الله جاء فيها: «نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين... غير ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء».[1]

تصوّروا الفتن التي مرّت علينا قديماً وحديثاً، فقد كان كتاب مفاتيح الجنان ممنوعاً في العراق، وأنت تخاف من أداء الصلاة في المسجد، فكيف بقي الشيعة إلى الآن؟ إنّ هناك إذن عناية خاصة، نحن نعتقد أنّ لأهل البيت عليهم السلام دوراً من خلال شفاعتهم المقبولة في دفع الأعداء. لقد دافع الله عن النجف، حيث كان هناك كيداً اشتركت فيه اتجاهات كثيرة بدعم أجنبي ولم نملك إلاّ الدعاء.

الحماية الرابعة:

وهي المهمة جداً، هي حماية أهل البيت عليهم السلام لمحبيهم عند الموت وبعد الموت، وفي الدنيا والحياة في الآخرة.

هذه هي رؤيتنا الإسلامية.

إنّ هناك شدائد يواجهها الإنسان عند الموت وبعده فيجب أن يستعد لها.

أشد الساعات:

عن الإمام السجاد عليه السلام والإمام عليّ عليه السلام: «أشد ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: الساعة التي يعاين فيها ملك الموت، والساعة التي يقوم فيها من قبره، والساعة التي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى، فإما إلى الجنة وإما إلى النار».

---

(١) تهذيب الأحكام ١: ٣٨؛ بحار الأنوار ٥٣: ١٧٥.

شدائد الموت وما بعده:

وفي الرواية: «إنْ نجوت يا بن آدم عند الموت فأنت أنت والاّ هلكت، وإنْ نجوت يا بن آدم حين توضع في قبرك فأنت أنت والاّ هلكت، وإنْ نجوت حين يحمل الناس على الصراط فأنت أنت وإلاّ هلكت، وإن نجوت حين يقوم الناس لربّ العالمين فأنت أنت والاّ هلكت، ثم قال: والله إن القبر لروضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار».[1]

هذه شدائد نحتاج فيها إلى استعداد، إنّ لأهل البيت عليهم السلام دوراً في حماية أصحابهم يوم القيامة.

فضل زيارة الإمام الرضا عليه السلام:

فعن الإمام الرضا عليه السلام: «من زارني على بعد داري زرته في ثلاثة مواطن حتى أخلّصه من أهوالها: عند تطاير الكتب، وعند عبور الصراط، وعند الميزان»[2] وهذا المعنى نقرؤه عن أئمتنا جميعاً، ففي يوم الأحد نقول في زيارتنا لأمير المؤمنين عليه السلام: «وأنا فيه ضيفك، فأضفني وأجرني»، وفي يوم الاثنين نقول للحسن والحسين عليهما السلام: «هذا يوم الاثنين وأنا فيه ضيفكما ومستجير بكما، فأضيفاني وأجيراني»، والحماية الكبرى تكون يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[3] والقلب السليم هو الذي يفي حق الله جلّ جلاله والرسول صلى الله عليه وآله وآل البيت عليهم السلام.

---

(١) أنظر الخصال عن الزهري: ١١٩؛ بحار الأنوار للمجلسي ٦: ١٥٩.

(٢) أنظر تذكرة الفقهاء/ العلامة الحلي ٨: ٤٥٥؛ تحرير الأحكام/ العلامة الحلي ١: ١٣٢؛ الدروس الشهيد الأول ٢: ١٤؛ رياض المسائل/ السيد علي الطباطبائي ١: ٤٣٤.

(٣) الشعراء: ٨٨ و٨٩.

قال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر، ألا أعلّمك عملاً ثقيلاً في الميزان، خفيفاً على الأبدان؟

قال: بلى.

قال ﷺ: الصمت، وحسن الخلق، وترك ما لا يعنيك.[1]

إنّ الإنسان الذي يتعلم هذه الأخلاق يكون قلبه نورانياً بعيداً عن الثرثرة وصغائر الأمور. إنّ لأهل البيت عليهم السلام دور الحماية عند الموت، يقول الشاعر:

لذ إن دهتك الرزايا	والدهر عيشك نكدٌ
بكاظم الغيظ موسى	وبالجواد محمّد

وقال آخر:

إذا متّ فادفنّي إلى جنب حيدر	أبي شُبَّر أكرم به وشبير
فلست أخاف النار عند جواره	ولا أتقي من منكر ونكير

* * *

(١) أنظر: مكيال المكارم/ الميرزا محمد تقي الأصفهاني ٢: ٢٧٠.

المحاضرة الثامنة عشرة:

من هم أهل الذّكر؟

«وأهل الذِكر وأولي الأمر»

حديثنا في هذه الليلة عن هذا المقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة وهو قوله: «وأهل الذكر وأولي الأمر» يعني أن أهل البيت عليهم السلام هم أهل الذكر أوّلاً، وأولي الأمر ثانياً.

الحقيقة أنّ ها هنا بحوث كثيرة، لكن سنقتصر على بحث واحد، وهو مسألة الذّكر وكيف أنّ أهل البيت عليهم السلام هم أهل الذّكر، لكن عندنا أبحاث أخرى مهمّة في هذا المقطع.

هذا المقطع يتضمّن فقرتين:

«أهل الذكر»، «أولي الأمر»، وهو ما يمكن أن نسمّيه بالاصطلاح الكلامي العقائدي: الولاية الفكريّة والولاية السياسية، وأيضاً ما يمكن أن نسمّيه باصطلاحنا السياسي المعاصر اليوم: السلطة التشريعية والسلطة التنفيذيّة.

لاحظوا: هذه الزيارة الجامعة قبل ألف ومئتي سنة، لكن مضامينها تستوعب الآفاق الاجتماعية والسياسية بشكل غريب، أساساً هذا الربط عجيب بين (أهل الذكر) و(أولي الأمر) يعني يريد أن يقول هم أهل الذكر والفكر، فالسيادة الفكريّة والعلمية لهم، لكن ليس هذا فقط، أهل البيت ليس فقط موقفهم القيادة الفكرية للأمّة الإسلامية، إنّما لهم موقع آخر مهم هو الإمامة السياسية وباصطلاحنا اليوم السلطة التنفيذيّة.

عبارة (أولي الأمر) يعني الأشخاص الذين بيدهم القيادة السياسية، وأهل الذكر يعني أهل المعرفة وأهل الثقافة الذين يأمر القرآن بالرجوع لهم في قوله: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.[1]

---

(1) النحل: ٤٣.

لكن لا تتصوّروا أن أهل البيت فقط مسؤوليّتهم الولاية الفكريّة، وإنّما مسؤوليّتهم الولاية السياسية أيضاً و(أولي الأمر)، قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1] فكان لأهل البيت الولاية الفكريّة والولاية السياسية، بمعنى سلطة تشريعية وسلطة تنفيذيّة.

حديثنا الليلة فقط عن «أهل الذكر» وأن أهل البيت عليهم السلام هم أهل الذكر، وأمّا الحديث عن «أولي الأمر» فسنجعله في محاضرة لاحقة إن شاء الله تعالى.

أوّلاً: ما معنى الذكر؟

ثانياً: كيف صار أهل البيت هم أهل الذكر؟

ثالثاً: ما هو موقع أهل الذكر، ومسؤوليتنا تجاههم؟

هذه ثلاثة أبحاث، وهي أبحاث عقائدية كلاميّة سياسية قانونية اجتماعية، لكن عرضت في زيارة الجامعة بهذه الكلمات المختصرة، ويبقى الإنسان المثقف بالثقافة الإسلامية يعرف كيف يستفيد جميع هذه المعارف من هذه الكلمات الموجزة.

البحث الأوّل: معاني الذكر:

الذكر في القرآن الكريم جاء بعدّة معاني:

المعنى الأوّل: ذكر الله، ونقول هذا صاحب أذكار وهذا كتاب الأذكار، الأذكار غير الذكريات، الأذكار جمع ذكر، يعني ذكر الله في اصطلاحنا الشرعي ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.[2]

﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.[3]

كلمة (الذكر) في المصطلح القرآني بالمعنى الأوّل يعني ذكر الله

---

(1) النساء: ٥٩.

(2) الأحزاب: ٤١ و٤٢.

(3) الرعد: ٢٨.

تبارك وتعالى، تسبيحه، تقديسه، تمجيده ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1] ثمّ هنا آية أخرى تقول ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾[2] رجالاً ونساءاً.

هذا الأمر ألفت نظري، واليوم جاءني هاتف إلى البيت، امرأة من الجيران صالحة قالت: سيدنا أنا تزوّجت سنة سبعين ولي أولاد ولي بنات، لكن يا سيد أنا منذ زواجي أَلِفت الجلوس في الدار أشهر عديدة ولا أخرج من البيت حتّى إلى أولادي وأقربائي وأهلي، وأصبحوا كلهم يعرفون أنني امرأة لا أخرج من الدار، فالسؤال أنّه أنا حتّى إلى زيارة أمير المؤمنين عليه السلام لا أذهب، فما هو رأيك يا سيّدنا ممكن هذا؟!

الجواب: القرآن الكريم يقول: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾ هذا الأمر في الحقيقة مفتاح للحديث عن فهم الإسلام لحركة المرأة وعلاقاتها الاجتماعية وموقعها.

أوّلاً: على مستوى الموقع، إنّه من روائع القرآن الكريم أن لا يذكر الرجل إلاّ وذكر المرأة إلى جانبه، ولا يذكر المؤمن إلاّ وذكر المؤمنة، ولا يذكر الذكر إلاّ ويذكر الأنثى.

ثانياً: كلّما يصف الرجل بصفات حسنة يصف المرأة بتلك الصفات، يصف الرجل بصفات سيّئة يصف المرأة أيضاً بتلك الصفات.

ثالثاً: أحد المواقع التي يعطيها للمرأة هو المشاركة الدينيّة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾.[3]

---

(1) العنكبوت: ٤٥.

(2) الأحزاب: ٣٥.

(3) السابق.

وقال تعالى: ﴿مُسْلمات مُؤْمنات قانِتات تائبات عابِدات سائحات﴾.[١]

المفسّرون يقولون: السياحة هنا بمعنى السفر الديني، يعني الزيارة الذهاب إلى الحج، الذهاب لطلب العلم، الذهاب لزيارة الأئمّة، لمجالس المحاضرة، لمجالس الدرس... هذا يعني السائحين والسائحات.

يعني المرأة يكره لها أن تختلط مع الرجال، هذا صحيح لكن أيّ اختلاط ذاك؟ ذاك الاختلاط غير العبادي، إلاّ أن هناك اختلاط عبادي، مثل الاختلاط في الحج ولهذا المرأة يجب عليها أن تذهب إلى الحج، ولا يجوز لامرأة أن تقول نهى الإسلام عن الاختلاط إذن أنا أجلس في البيت لأنّ الحج فيه اختلاط، صحيح هذا اختلاط، لكن هذا اختلاط عبادي.

الإسلام نهى المرأة عن الاختلاط في الأزقّة والأسواق والشوارع والحدائق، أمّا الاختلاط في مجلس الذكر، في درس القرآن... هذا مندوب، ولهذا كانت النساء تتعلّم عند رسول الله ﷺ ويأتون إلى المسجد النبوي، وكان المسجد قسماً للرجال وقسماً للنساء.

السياحة في القرآن:

يذكر القرآن الكريم موضوع السياحة للرجال والنساء في آية واحدة، السياحة بمعنى الزيارة بمعنى الحركة في دين الله فهي في قوله تعالى: ﴿عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمات مُؤْمِنات قانِتات تائِبات عابِدات سائِحات﴾[٢] **ما خبر هذه القضية؟**

القضية باجماع المؤرّخين في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ

(1) التحريم: ٥.

(2) السابق.

اللَّـهُ لَـكَ تَبْتَغـي مَرْضـاتَ أَزْواجِـكَ وَاللَّـهُ غَفُـورٌ رَحـيمٌ﴾[1] **المؤرّخون من الشيعة والسنّة بما في ذلك البخاري وهو أعظم إمام من أئمة الحديث والرواية عند أبناء العامة وله كتاب اسمه _ صحيح البخاري _ ويعتبر عندهم بعد القرآن من حيث صحّة الروايات باعتقادهم، في هذا الكتاب أيضاً جاءت هذه الرواية في تفسير قوله تعالى** ﴿يا أَيُّهَا النَّبِـيُّ لِـمَ تُحَـرِّمُ ما أَحَـلَّ اللَّـهُ لَـكَ تَبْتَغـي مَرْضـاتَ أَزْواجِـكَ وَاللَّـهُ غَفُـورٌ رَحِـيمٌ﴾ **وهي: أنّ رسول الله ﷺ كان إذا دخل عند زينب بنت جحش وهي إحدى زوجاته تعطيه عسلاً، تقول الرواية: فغارت من ذلك حفصة وعائشة، فتآمرتا على النبي ﷺ وهو ما يعبر عنه القرآن بالقول: (تظاهرا) يعني مؤامرة على النبي، وهذا أذكره كتاريخ عند السنة والشيعة بلا قصد الطعن بموقف، على كل حال فاتفقوا فيما بينهم أنه إذا جاء النبي عندنا نقول له: يا رسول الله ﷺ إنّا نشم في فمك رائحة المغافير، _ وهي مادّة كريهة الرائحة مثل البصل والثوم _ فماذا أكلت؟ ونتفق مع بقيّة الزوجات إذا ذهب إليها النبي تقول له ذلك.**

دخل رسول الله ﷺ على حفصة فقالت: يا رسول الله لعلّك أكلت المغافير؟ قال: لا.

ذهب إلى عائشة قالت: يا رسول الله لعلك أكلت المغافير؟

قال: أنا ما أكلت المغافير إنما أكلت العسل عند زينب بنت جحش، فقلن له: إذن هذا العسل مخلوط بهذه المادة وزينب غشّتك.

رسول الله ﷺ بمقتضى حكمته ودفعاً للفتنة قال جيّد أنا لا آكل العسل عند زينب.

الله تبارك وتعالى أعلمه، ونزل قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

---

(1) التحريم: ١.

ثمّ نزل قوله تعالى يخاطب زوجات النبي الاثنين ﴿إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما﴾ **يا حفصة ويا عائشة إن تتوبا بمعنى الأمر بالتوبة، فإن قلوبكما قد فسدت فتوبا إلى الله** ﴿وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ﴾ **فإذا لم تتوبا، بل تتآمران على هذا النبي الزكي والعبد المقدّس..** ﴿وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ثم قال تعالى ـ وهذا محل الشاهد ـ: ﴿عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَيِّباتٍ وَأَبْكاراً﴾**، السياحة هنا بمعنى الحركة لنصرة دين الله.**(١)

الحركة في إعلاء كلمة الله، مجالس الذكر، مجالس الزيارة، الحج، مجالس المعارف الدينية، هذا كما هو للرجال هو للنساء أيضاً.

محل الشاهد في كل هذا الحديث أنّ الذكر في المصطلح القرآني بمعنى ذكر الله، وهو مشترك للرجال والنساء، والسياحة بمعنى الحركة لاعلاء دين الله، وهو مشترك بين الرجال والنساء.

الإسلام يريد هذا النمط من تحرك المرأة، وحسم القضية حينما قال: (سائحات).

فضل زيارة الحسين عليه السلام:

أذكر لكم بعض الروايات الجميلة الرائعة في زيارة الإمام الحسين عليه السلام لأنها سياحة وحديثنا اليوم عن السياحة الدينية.

الرواية تقول عن زرارة عن أحدهما، ـ أحدهما إذا جاء في الروايات يعني الإمام الصادق عليه السلام أو الباقر عليه السلام ـ وزرارة من كبار المحدثين من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام:

---

(1) أنظر: صحيح البخاري ٦: ٦٨؛ صحيح مسلم ٤: ١٨٤.

قال: «يا زرارة ما في الأرض مؤمنة إلا وقد وجب عليها أن تسعد فاطمة عليها السلام في زيارة الحسين عليه السلام».[١]

وهناك روايات عظيمة جليلة في مسألة فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام إلى حد أنّ فقهاءنا يقولون إن المسألة تصل إلى حد الوجوب، مثلاً العلامة المجلسي يقول: إعلم أنّ ظاهر أكثر أخبار هذا الباب وجوب زيارته عليه السلام، بل كونها من أعظم الفرائض وآكدها، ولا يبعد القول بوجوبها في العمر مرّة.[٢]

ثم قال عليه السلام: «يا زرارة إذا كان يوم القيامة جلس الحسين عليه السلام في ظل العرش، وجمع الله زوّاره وشيعته ليبصروا من الكرامة والنصرة والبهجة والسرور إلى أمرٍ لا يعلم صفته إلا الله، فيأتيهم رسل أزواجهم من الحور العين من الجنّة فيقولون إنا رسل أزواجكم إليكم يقلن إنّا قد اشتقناكم وابطأتم عنا، فيحملهم ما هم فيه من السرور والكرامة على أن يقولوا لرسلهم سوف نجيئكم إن شاء الله».[٣]

لعلّي أحدّثكم في وقت آخر عن زيارة الحسين عليه السلام وفضلها وشرفها...

حديثنا هو حول ذكر الله ونختصر الموضوع.

رزق الشيطان:

قال إبليس يوماً من الأيام: إلهي جعلت لكل واحد من خلقك رزقاً يعيش به، فما هو رزقي؟ فقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[٤] هذا الطعام الذي تأكله إذا لم تقل فيه بسم الله فان إبليس يكون شريكاً معك فيه وكذلك في المطالعة التي تطالع، والنوم الذي تنامه، والسفر الذي تسافر إذا

---

(1) الأصول الستة عشر: ١٣٣؛ البحار ٩٨: ٧٥/ ح ٢٥، عن نوادر عليّ بن اسباط.

(2) أنظر: بحار الأنوار ٩٨: ١٠.

(3) بحار الأنوار ٩٨: ٧٥/ ح ٢٥.

(4) الأنعام: ١٢١.

لم تذكر اسم الله فإن إبليس شريك معك ﴿وَشارِكْهُمْ فِي الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ﴾[1] يعني حتّى التجارة تبيع وتشتري إذا لم تذكر اسم الله إبليس يكون شريكاً معك.

قال: يا رب ليس أحد من خلقك إلا جعلت لهم رزقاً ومعيشة، فما رزقي؟ قال: ما لم يذكر عليه اسمي.[2]

عندنا في بعض الروايات أن هذه الطيور التي يصطادها الصقر أو الصياد الرواية تقول هذا الحيوان يغفل عن ذكر الله يكون رزق هذا الصيّاد.[3]

الشاهد في الأمر هو أن الذكر بمعنى ذكر الله ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.[4] هذا هو المعنى الأوّل.

المعنى الثاني للذكر، هو القرآن يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾.[5]

المعنى الثالث للذكر عبارة عن كل الكتب الإلهية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾[6] فإذن الذكر هو كل الكتب الإلهية.

إذن الذكر بمعنى ذكر الله، وبمعنى القرآن، وبمعنى الكتاب الإلهي.

أهل الذكر في القرآن:

القرآن الكريم في آيتين متشابهتين جدّاً هكذا يقول: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ هذه الآية (٤٣) من سورة النحل،

(1) الإسراء: ٦٤.
(2) كنز العمال ١: ٤٤٤/ ح ١٩١٧.
(3) عن رسول الله ﷺ قال: «ما صيد مصيد إلا بنقص في تسبيحه...» أنظر: كنز العمال ٢: ٢٥٤.
(4) الأحزاب: ٤١ و٤٢.
(5) الحجر: ٩.
(6) الأنبياء: ١٠٥.

نفسها في سورة الأنبياء الآية (رقم ٧) هناك يقول: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ...﴾ **هنا يقول:** ﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

ما هو مقصود القرآن بقوله: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾**؟**

هل المقصود من أهل الذكر اليهود والنصارى؟

هنا الأحاديث تقول في روايتنا عن أهل البيت عليهم السلام: أهل الذكر هم أهل البيت عليهم السلام، أو بالأحرى هم التجسيد الأكمل لصفة أهل الذكر يعني أهل الكتب الإلهية، في الحقيقة أهل البيت جمعوا كل الكتب الإلهية، يعني اليهود والنصارى لا يعرفون التوراة والإنجيل أكثر من الإمام علي عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام، ولهذا أئمّتنا عليهم السلام يفسّرون هذه الآية ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ **يقول الإمام الباقر عليه السلام: _ وأومأ إلى صدره _ يقول: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون.**(1)

الراوي يقول له: إنّ من عندنا يزعمون أنّ أهل الذكر يعني اليهود والنصارى.

قال عليه السلام: «إذاً يدعونكم إلى دينهم» يعني إذا كان أولئك هم المرجع الفكري الثقافي إذن سوف يحرّفوننا عن ديننا، يعني في زماننا هذا وذاك إذا لم نعرف ديننا نسأل اليهود والنصارى عنه، الإمام يقول: إذن يضلّوننا عن ديننا، إن التجسيد الأكمل لأهل الذكر هم أهل البيت عليهم السلام، وأومأ إلى صدره قائلاً: نحن أهل الذكر، نعم اسألوا اليهود والنصارى في تلك المسألة التي نزلت فيها الآية، وهي أن الأنبياء السابقين كانوا رجالاً أو كانوا ملائكة؟ سيقول اليهود ويقول النصارى أولئك أيضاً كانوا رجالاً، هذا هو موضع نزول الآية التي أمرت بسؤال اليهود والنصارى فيها.

البحث الثاني: لماذا كان أهل البيت عليهم السلام هم أهل الذكر؟

الجواب: إنّ أهل البيت هم أهل الذكر بكلّ المعاني التي ذكرها القرآن للذكر.

---

(1) أنظر: الكافي ١: ٢١١.

إذا كان الذكر بمعنى ذكر الله، فأهل البيت هم أهل ذكر الله.

وإذا كان الذكر بمعنى القرآن، فأهل البيت هم أهل القرآن.

وإذا كان الذكر بمعنى الكتب السماوية، فأهل البيت هم أهل الكتب السماوية.

هذا ما سأشرحه لكم موجزاً:

الذكر إذا كان بمعنى ذكر الله فأوّل الناس في ذكر الله هم أهل البيت عليهم السلام.

رسول الله صلى الله عليه وآله وهو سيد أهل البيت يصفه القرآن يقول: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾[1] **رسول الله حسب الوصف القرآني يقوم حوالي ثلثي الليل، يعني إذا كان الليل إثني عشر ساعة مثلاً فإن رسول الله يقوم حوالي ثمان ساعات أو أدنى من ذلك، أحياناً نصفه، أحياناً ثلثه، وأنا اقرأ هذه الآية وأتحسّر وأتقطّع ندماً وأسفاً على نفسي يقول:** ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[2] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾[3] **لا يقول قائل ذاك رسول الله فقط، لا، الذين معه بعضهم من أمثال أبي ذر وسلمان وعلي عليه السلام وما شاكل هكذا كانوا، نحن اليوم أحدنا بالكاد يستيقظ إلى صلاة الصبح، يا أبناءنا يا شبابنا الإسلام بُني بمثل تلك القلوب العظيمة، القرآن ينزل على رسول الله يقول:** ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[4] **كان يقوم بالعبادة حتّى تورّمت قدماه إلى أن جاء القرآن يتسامح معه.**

---

(1) المزمل: ٢٠.

(2) الذاريات: ١٧ - ١٩.

(3) المزمل: ٢٠.

(4) طه: ١ و٢.

نحن اليوم نريد نصراً، نريد غلبةً في كل المجالات السياسية والثقافية، هذا كيف يكون بدون أن نكون مثل أولئك الأولياء الصالحين.

عبادة الإمام زين العابدين عليه السلام:

كان الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام قد جهد في العبادة مالا يفعله بعده أحد، فدخل ابنه أبو جعفر الباقر عليه السلام فرآه قد اصفر لونه من السهر والجوع، وعمصت عيناه من البكاء، وصارت جبهته كركبة البعير، وانخرم أنفه من كثرة السجود، وورمت ساقاه وقدماه من طول القيام في الصلاة، فيقول الباقر عليه السلام: لم أملك نفسي حين رأيته بتلك الحال، فبكيت رحمة عليه، وإذا هو يفكر، فالتفت إليّ بعد حينة دخولي فقال: يا بني اعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة جدي أمير المؤمنين عليه السلام، فأعطيته، فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجراً وقال: من يطيق عبادته.[١]

وقيل له عليه السلام: أين عبادتك من عبادة جدك؟

قال عليه السلام: «عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله».[٢]

هذا زين العابدين عليه السلام يستصغر نفسه وعبادته عند عبادة أمير المؤمنين عليه السلام.

عبادة الإمام عليّ عليه السلام:

أمير المؤمنين عليه السلام يعرفه حتى أعداؤه، فحين استتب لمعاوية الملك في الشام كان حينما يلقي القبض على أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام يسألهم حتّى يستأنس بعظمة الإمام عليّ عليه السلام.

ضرار بن حمزة أحد أصحاب الإمام عليّ عليه السلام يقول له معاوية: يا ضرار صف لي عليّاً.

---

(1) ينابيع المودة ١: ٤٤٦.

(2) بحار الأنوار ٤١: ١٤٩.

ضرار أصبح يقدّم لقطة عبادية عن عليّ عليه السلام يقول: «... فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً... يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل وظلمته.

وكان غزير العبرة طويل الفكرة... وأشهد لرأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين، يقول:

يا دنيا غرّي غيري إليّ تعرّضتي أم إليّ تشوّقتي هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير وخطرك حقير.

آه من قلّة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق».[١]

هذه عبادة أهل البيت عليهم السلام، إذا كان الذكر بمعنى ذكر الله فأهل البيت عليهم السلام هم أول الناس في الذكر.

القرآن عند أهل البيت عليهم السلام:

أمّا إذا كان الذكر بمعنى القرآن، فأهل البيت عليهم السلام هم أهل القرآن أيضاً وقد نزل في بيوتهم فهم أهل القرآن.

يقول إمامنا الباقر عليه السلام: «ما ادعى أحدٌ من الناس أنّه جمع القرآن كلّه كما أُنزل إلاّ كذّاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة من بعده عليهم السلام».[٢]

أهل البيت هم أعلم بالقرآن، إذن فهم أهل الذكر.

إذا كان المقصود بالذكر الكتب السماوية، أيضاً أهل البيت عليهم السلام هم أعلم بالكتب السماوية.

---

(1) العدد القوية: ٢٤٩؛ وأنظر بحار الأنوار ٤١: ١٥ باختلاف يسير في الألفاظ.

(2) الكافي ١: ٢٢٨.

الإمام الصادق عليه السلام يقول: «إنّ عندنا علم التوراة والانجيل والزبور، وتبيان ما في الألواح».[(١)]

ويقول عليه السلام: «وكلّ كتاب نزل فهو عند أهل العلم، ونحن هم».[(٢)]

وروي في قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾[(٣)] هم الأئمة إمام بعد إمام.[(٤)]

من هم أولوا العلم؟ يقول الإمام: «هم نحن» إذن حينما نقرأ في الزيارة «وأهل الذكر وأولي الأمر» فأهل الذكر هم أهل البيت عليهم السلام.

رأس الحسين عليه السلام يقرأ القرآن:

نموذج نقدّمه كتجسيد عملي لاعتبار أهل البيت عليهم السلام هم أهل الذكر.

لا يعرف التاريخ كلّ التاريخ رأساً تحدّث بالقرآن وقرأ القرآن وهو مقطوع عن البدن إلاّ رأس الحسين عليه السلام.

الرأس الذي قرأ القرآن، هذه في الحقيقة معجزة وكرامة، وهذا لا يحتاج معه إلى أن نقدّم شاهداً آخر على أنّ أهل البيت هم أهل الذكر، يقرأ القرآن ورأسه على رمح وقد ساروا به في البلدان ومضت عليه الأيّام.

زيد بن أرقم يقول: في الكوفة رأيت رأس الحسين وسمعته يقرأ قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾[(٥)] قلت: سيدي رأسك والله أعجب وأعجب يا بن رسول الله.[(٦)]

المنهال بن عمر وفي الشام له حديث مماثل.

---

(1) الكافي ١: ٢٢٥/ ح ٣؛ بحار الأنوار ٢٦: ١٨٧.

(2) الكافي ١: ٢٢٦/ ح ٦.

(3) آل عمران: ١٨.

(4) مناقب ابن شهر آشوب ١: ٢٤٤.

(5) الكهف: ٩.

(6) أنظر: الإرشاد ٢: ١١٧؛ بحار الأنوار ٤٥: ١٢١.

سأل الإمام زين العابدين عليه السلام كيف أصبحت وأمسيت يا بن رسول الله؟

قال: أصبحنا في قومنا كمثل بني اسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا... أصبحت العجم تعرف للعرب حقها بأن محمّداً كان منها، وأصبحت العرب تعرف لقريش حقها بأن محمّداً كان منها، وأصبحت قريش تفخر على العرب بأنّ محمّداً كان منها، وأصبحنا أهل بيت محمّد لا يعرف لنا حق. فهكذا أصبحنا.[1]

البحث الثالث: ما هي مسؤوليتنا تجاه أهل الذكر؟

هذا البحث نؤجله إلى محاضرات لاحقة إن شاء الله تعالى.

يقول إمامنا زين العابدين عليه السلام:

ألا ليت أمّي لم تلدني ولم أكن   يراني يزيد في البلاد أسير

إنّا لله وإنّا اليه راجعون

* * *

---

(1) بحار الأنوار ٤٥: ٨٤ .

المحاضرة التاسعة عشرة:

أهل البيت عليهم السلام هم بقيّة الله

«وبقية الله وخيرته»

حديثنا هذا اليوم في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة عن هذا المقطع:
«وبقية الله وخيرته».

أهل البيت عليهم السلام هم بقية الله.

ما معنى بقية الله؟

لماذا كان أهل البيت عليهم السلام هم بقية الله؟ واليوم نطلق هذا اللقب على إمام زماننا # بأنه هو بقية الله.

حديثنا هذه الليلة عن هذا المحور «بقية الله».

شعيب مؤسس الاصطلاح:

أوّل من استعمل هذا الاصطلاح كما يحدثنا القرآن الكريم هو نبي الله شعيب، يعني بحسب الاستعراض القرآني أوّل مؤسس لهذا الاصطلاح هو شعيب على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام، شعيب هذا إما كان بعد زمان إبراهيم أو كان في زمان موسى، هناك للمؤرخين رأيان:

الرأي الأوّل: يقول إن شعيب هذا هو الذي زوّج ابنته إلى موسى، فمعناه هو في زمان موسى وزمان موسى متأخر كثيراً عن زمان إبراهيم.

الرأي الثاني: يقول إن شعيب هذا الذي يتحدث عنه القرآن _ وهو نبي من الأنبياء _ غير شعيب الذي زوّج ابنته إلى موسى، هذا شعيب نبي من الأنبياء بعد إبراهيم، ويوجد شعيب آخر وهو شيخ من شيوخ العشيرة والشخصيات الكبيرة، وهو الذي زوج ابنته إلى موسى في القصة التي يستعرضها القرآن الكريم.

على كل حال، شعيب النبي هذا كان في مدينة اسمها (مدين)، والقرآن الكريم يصطلح على هذه المدينة باصطلاح آخر كما سوف نقرؤه

إن شاء الله تعالى. ودعا قومه وبلّغهم وأنذرهم فلم يطيعوه، فحذرهم من عذاب إلهي فلم يبالوا من ذلك الحذر حتّى نزل عليهم العذاب الإلهي، وهذا العذاب عبارة عن حر وجفاف وقحط شديد، أصبحوا ينتظرون الماء فراراً من الحر، وبعد هذه المعاناة الشديدة من الحصار الإلهي والقحط والحر الشديد جاءتهم غمامة سحابة كبيرة، فرحوا وقالوا الحمد لله جاءت الرحمة وجاء المطر والخير وهذه السحابة نحن نستظل بظلها، هذه السحابة خيّمت عليهم ثم أصبحت تتحرك خارج المدينة. فخرجوا تحتها وقالوا ما زال هذه السحابة خرجت خارج المدينة فلنمش تحتها إلى أن ينزل المطر.

فخرجوا معها يستظلون بظلها، فبينما خرجوا من المدينة كلهم ولم يبق في المدينة لا رجل ولا إمرأة ولا صغير ولا كبير، هذه السحابة أمطرتهم موتاً، فماتوا جميعاً من هذه السحابة.

القرآن الكريم يسمّيه يوم الظلّة، يعني الغمامة التي أظلتهم ثم أمطرت عليهم موتاً إما ماءاً محرقاً حاراً أو مواد كيميائية، أو ما شاكل ذلك، المهم القرآن الكريم يسمّيه يوم الظلة.

أنا في بداية الحديث عن فكرة بقية الله أقرأ لكم هذه الآيات:

﴿وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * وَيا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[1] **المفسرون يفسرون هذه العبارة بأن شعيب قال: أيها الناس الربح من حلال كاف لكم، بقية الله يعني الربح التجاري من الحلال الذي يبقى لكم، الله تعالى سوف يبارك لكم**

---

(1) هود: ٨٣ - ٨٦.

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾.(1)

قالوا له نحن نعرف عنك أنك عاقل رشيد فلماذا تتدخل في شؤوننا السياسية، هذا كلام قوم شعيب، في هذا الزمان أيضاً بعض الناس يقولون هكذا، القرآن يستمر إلى أن يقول ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾.(2) **الصيحة وعذاب يوم الظلة كما في آيات أخرى.**

المصطلح لغوياً:

هذا المصطلح الذي يعني لغوياً ما يبقيه الله تعالى للعباد سواء كان ربحاً مادياً أو ربحاً معنوياً، أو كان انتصاراً عسكرياً أو سياسياً، أو أنه كان ثروة علمية هذا نسميه بقية الله، يعني الشيء الذي يبقيه الله تعالى للناس، وكل عطاء إلهي يمكن أن يقال أنه بقية الله، أنا أتحدّث عن المصطلح على المستوى اللغوي.

لمحة من حياة شعيب:

شعيب من الأنبياء الذين ذكرهم القرآن وأشاد بهم في العديد من الآيات يستحق أن نذكر عنه معلماً من معالم حياته وهو (البكاء من خشية الله).

تقول الرواية: بكى شعيب عليه السلام من حب الله عز وجل حتى عمى، فردّ الله عز وجل عليه بصره، ثمّ بكى حتّى عمى، فرد الله عليه بصره... فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه: يا شعيب إلى متى يكون هذا أبداً منك، إن يكن هذا خوفاً من النار فقد أجرتك، وإن يكن شوقاً إلى الجنة فقد أبحتك.

(1) هود: ٨٦ و٨٧.

(2) هود: ٩٤.

قال: إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك، فأوحى الله جَلَّ جَلالُهُ إليه: أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران.[١]

يعني مازلت أنت بهذا المستوى من العلاقة مع الله تعالى أنا سوف أجعل موسى الذي هو كليم الله يخدمك، والقصة التي يذكرها في القرآن الكريم بناءاً على هذا التفسير، أن موسى عمل عشر سنوات خادماً عند شعيب وذلك حينما سقى موسى للبنتين وأوى إلى الظل ﴿فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾،[٢] تلك البنتان كانتا عند البئر وكان الزحام شديداً فجاء موسى وساعدهن، عندما رجعن إلى شعيب تعجب شعيب أن رجعن بسرعة، قصصن له القصة أنه جاء إلينا شاب طيب قوي وشخصية محترمة جاء وسقى لنا، ﴿قالَتْ إِحْداهُما يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾،[٣] فبعث إليه شعيب وعرض عليه أن يعمل عنده لمدة ثمان سنوات أو عشر وهذا سيكون مهر ابنتي، فوافق وزوّجه شعيب ابنته، هذه خلاصة قصة شعيب.

لاحظوا أن مواقف شعيب كانت تتناول موضوعاً مهماً وهو مسألة العدالة الاقتصادية ﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ﴾ ﴿ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ﴾.

إن كثيراً من الناس يعطي ضريبة للحكومة، لكن لصاحب الزمان لا يعطي ضريبة، لرسول الله لا يعطي، وللمستضعفين الفقراء والجيران لا يعطي ضريبة، الحكومة تأخذ منه ضريبة بالقوة، أما إذا قلت له أعط الخمس والزكاة أو أعط صدقة أو أعط حقوق الله تعالى ورسوله فإنه لا يعطي، هؤلاء أموالهم بالدنيا يخسرونها وأضعافها يخسرون، يعني عنده ألف دينار خمس، بالتأكيد

(1) علل الشرائع ١: ٥٧؛ بحار الأنوار ١٢: ٣٨١.
(2) القصص: ٢٤.
(3) القصص: ٢٦.

سوف يخسر عشرة آلاف ديناراً ويخسر عافيته أيضاً ويخسر سلامة بيته وتجارته، وفي الآخرة أيضاً لهم عذاب أليم، مسألة العدالة الاقتصادية وعطاء حقوق الله وحقوق الناس مسألة مهمة.(١)

مَلَكان في السماء:

أنا أقرأ لكم رواية جميلة.

رسول الله صلى الله عليه وآله في المعراج وهو يقدم لنا مجمل الضوابط والقوانين الإلهية التي يريد الله تعالى أن يتعامل البشر على أساسها.

رسول الله يقول فيما تقوله هذه الرواية: «رأيت ملكين يناديان في السماء: أحدهما يقول: اللهم أعطِ كل منفق خَلَفاً، والآخر يقول: اللهم أعطِ كل ممسك تلفاً».(٢)

هذه في الحقيقة قوانين ورموز رسول الله صلى الله عليه وآله يكشفها لنا، أنه عالم السماء هكذا يتعامل مع الأرض، اللهم «أعطِ كل منفق في سبيل الله خلفاً» يعني ضاعف له وأعطه أكثر، إذا أعطى درهماً أعطه عشرة دراهم، وهذه جربوها أعطوا لله، الله تبارك وتعالى يعطكم أضعافه، وكل من يمسك يده ولا يعطي حقوق الله ورسوله يدعو الملك بقوله: اللهم أتلف أمواله، هذه سنّة كونية وقانون، الملائكة يدعون يعني يسجلون سنّة في الحياة البشرية، ليست المسألة أن يدعونا دعاءً وإنما هذه رموز وأن هناك سنناً، الله تعالى سنَّها للربح والخسارة، سنَها للوضع البشري.

سبع خصال لدخول الجنة:

الرواية الأخرى عن الإمام الكاظم عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من

(1) أنظر: قصص الأنبياء/ الراوندي: ١٥٤؛ بحار الأنوار ١٣: ٢٠.

(2) تفسير القمي ٢: ٧؛ بحار الأنوار ٥٦: ١٧٢.

أسبغ وضوءه، وأحسن صلاته، وأدّى زكاة ماله، وخزن لسانه، وكفّ غضبه، واستغفر لذنبه، وأدّى النصيحة لأهل بيت رسوله، فقد استكمل حقائق الإيمان، وأبواب الجنة مفتّحة له».[1]

هذه سبع خصال، واحدة منها: وأداء زكاة ماله، هذه هي أهمية العدالة الاقتصادية، بحيث أن نبياً من الأنبياء تكون مهمته وعمله ليس هو الإطاحة بفرعون، فبعضهم كان عملهم سياسياً مثل موسى وهارون كان عملهم الإطاحة بنظام فرعون، لكن يوجد نبي مثل شعيب عمله هو الإصلاح الاقتصادي، ويوجد أنبياء عملهم الإصلاح السياسي، شعيب كان عمله الإصلاح الاقتصادي.

نرجع إلى اصطلاح «بقية الله» الذي استخدمه شعيب، نجد أن أئمتنا عليهم السلام استخدموه لأنفسهم، نحن الآن نعتقد أن بقية الله في الأرض هم الأنبياء، وبعد الأنبياء هم الأوصياء، وفي زمن الغَيبة فإن بقية الله هو إمامنا المنتظر # ، يعني هو الذي أبقاه الله رحمة للعباد، أبقى هذا المعصوم رحمة للعباد، ولولا الإمام لساخت الأرض بأهلها.

الإمام المنتظر عليه السلام بقية الله:

الإمام # عندما ولد وحين وضعته أمه وقع على الأرض ساجداً يقرأ قوله تعالى ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[2] أوّل ما نطق به إمامنا # وأول ما ينطق به حين يظهر في مكة المكرمة وقد أسند ظهره إلى البيت يقول: «أنا بقية الله وحجته وخليفته عليكم»، كما في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: أوّل ما ينطق به هذه الآية، ثم يقول عليه السلام: «أنا بقية الله وحجته وخليفته عليكم ولا يسلّم عليه مسلّم إلاّ قال السلام

---

(1) أمالي الصدوق: ٤١٢/ ح ١/٥٣٤؛ بحار الأنوار ٦٦: ١٦٨.

(2) هود: ٨٦.

عليك يا بقية الله في أرضه»[1] هذا الاصطلاح أصبح مختصّاً بإمام الزمان يعني حينما نزور النبي صلى الله عليه وآله نقول: «السلام على رسول الله أمين الله على وحيه» وحينما نزور أمير المؤمنين نقول: «السلام عليك يا أمين الله في أرضه»، أمّا صاحب الزمان فإن الاصطلاح الذي نسلّم عليه به نقول: «السلام عليك يا بقية الله»، هذا الاصطلاح مكرر حتى نصل إلى دعاء الندبة الذي تستحبّ قراءته في الأعياد الأربعة الإسلامية، وتستحب قراءته في يوم الجمعة أيضاً، في هذا الدعاء ورد: «أين بقية الله التي لا تخلو من العترة الهادية»، يعني أن بقية الله لا تخرج عن إطار أهل البيت عليهم السلام، يعني بقية الله ليسوا آل أبي سفيان، وليسوا هم بنو العباس، بقية الله هم أهل البيت فقط.

العلاقة مع إمام العصر عليه السلام:

في الحقيقة موضوعنا اليوم حول مصطلح «بقية الله» يفتح لنا باباً للحديث عن التثقيف على قضية الإمام المنتظر بقية الله الأعظم، هذا التثقيف الذي مارسه رسول الله وأهل البيت عليهم السلام سواء على مستوى العقيدة، أو على مستوى العلاقة.

نحن اليوم نريد أن نسأل عن العلاقة بيننا وبين الإمام المنتظر # ، ما هو النمط الصحيح لهذه العلاقة؟

هناك نمطان للتعامل والعلاقة مع الإمام المهدي # :

النمط الأول: نسمّيه العلاقة الشخصية.

النمط الثاني: نسمّيه العلاقة المبدئية.

علاقتنا مع صاحب الزمان وفق ما علمنا رسول الله وأهل البيت على نوعين، أو لنقل على مستويين:

المستوى الأوّل: علاقة شخصية، لكن يجب أن ترتفع وترتفع وتتحول

---

(1) أنظر: كمال الدين وتمام النعمة: ٣٣١/ ح ١٦.

إلى علاقة مبدئية وهو المستوى الثاني، كلا العلاقتين والمستويين صحيح، لا بدّ من علاقة شخصية، وأيضاً لا بدّ من علاقة مبدئية، الاثنان مطلوبان، نحن لا يصح أن نكون متحجرين ومثاليين.

ماذا يعني متحجّرين ومثاليين؟

يعني يأتي شخص ويقول: هؤلاء العلماء وهؤلاء المراجع غير مهم عندي أن أقبّل يدهم أم لا، أزورهم أم لا، أنا المهم عندي المبادئ وليس المهم الأشخاص. الحقيقة أن هذه حالة مثالية وهذا خطأ.

نحن لا بدّ أن نكون مبدئيين، لكن المبدأ لا يفصلنا عن الأشخاص الّذين يجسدون المبدأ، «النظر إلى وجه عليّ عبادة»[1] لا يصح أن يأتي شخص ويقول: ما علاقتي أنا بعلي بن أبي طالب، أنا علاقتي مع القرآن. لا، هذه الحالة مثالية.

بينما رسول الله يؤكد ويقول: «النظر إلى وجه عليّ عبادة» وأيضاً يقول: «النظر إلى وجه العالم عبادة»،[2] حتى لا نكون مثاليين ونقول نحن فقط نهتم بالمبادئ، لكن هذه المبادئ من أين نأخذها، لا بدّ أنه يوجد أشخاص يجسدون هذه المبادئ، وهذا بحث معاصر ومهم في تقديس (المؤسسة الدينية)، وتوجد حملة علينا من قبل الحداثة الغربية بأن المؤسسة الدينية أنتم تعطونها أكبر من حجمها وتقدسونها، ويجب أن نشطب على هذه المؤسسة الدينية لا مراجع ولا مجتهدين ولا حوزة، لماذا أنا أصلي وراء العالم!؟ من يقول أنه أفضل مني!؟ هذه حالة مثالية تبتعد عن الواقع، لأن المبادئ دائماً يحرّكها الواقع ولا يمكن أن تبقى معلّقة في السماء.

توجد حالة أخرى متحجّرة، وهي أن يقول قائل: نحن نعتقد أن هذا عالم ديني مقدّس فعل ما فعل، لأنه أمير وهو الوالي والحاكم الشرعي، يزيد بن معاوية يشرب

---

(1) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٢؛ بحار الأنوار ٢٥: ٣٢٤.

(2) كنز العمال ٧: ٦٥١؛ بحار الأنوار ١: ١٩٥.

الخمر ويقتل النفس المحترمة ويلعب بالطيور، على كل حال فهذا أمير المسلمين ونحن لا بدّ أن نسمع له ونطيعه، هذا التفكير خطأ أيضاً.

الإسلام الصحيح يقول: المبادئ لا بدّ أن نلاحظها، والأشخاص أيضاً لابد أن نحترمهم، ونحاول أن نقوم بعملية مزاوجة نطبق المبادئ على الأشخاص إذا كانوا ملتزمين بها نقبّل أيديهم ونصلي وراءهم جماعة، وإذا لم يلتزموا بها نعرض عنهم، فنحن بحاجة إلى علاقة مبدئية وعلاقة شخصية.

الآن علاقتنا مع أهل البيت عليهم السلام وعلاقتنا مع العلماء هي علاقة مع المبادئ في نفس الوقت، أيضاً لدينا علاقة شخصية معهم، نحن نحبهم ونجلس معهم ونستمع إليهم، وإذا قالوا نطيعهم، لا نقول لا توجد لدينا علاقة شخصية معهم. إذن المستوى الأول من العلاقة نسميه العلاقة الشخصية، هذا المستوى يجب أن يتطور إلى مستوى علاقة مع المبادئ أيضاً حتى لا نكون أُناساً متحجّرين.

معاوية بن أبي سفيان يصلي بالناس جماعة، بعد ذلك رأى أن هذا العمل صعب عليه وهؤلاء الناس يطيعونه ويقلدونه تقليداً أعمى، قال لهم: أصنعوا لي مقصورة، فعملوا له غرفة وهو في المقصورة لا يصلي _ الله العالم _ ماذا يعمل، والناس يصيحون قد قامت الصلاة وهو جالس في المقصورة، هذه السياسة الأموية وسياسة صدام، سياسة صدام في الحملة الإيمانية أنه أصبح رجلاً رسالياً فكان أن كتب القرآن بدمه، وهذا حرام، على كل حال هذه حالة استغباء الشعوب، واستحمار الشعوب يعني كأن الشعوب غبية بهذا المستوى وصدام يضحك عليهم بهذا الشكل، يتصوّر أن الشعوب غبية، لكن الشعب كان يعرف أن هذا يقوم بعملية مكر وأنه أبعد ما يكون عن الإسلام وعن الدين.

على كل حال، علاقتنا مع صاحب العصر والزمان كيف تكون؟

الآن أقرأ لكم بعض النصوص، حتّى نرى أهل البيت عليهم السلام كيف علّمونا على عقد علاقة شخصية وعلاقة مبدئية.

عمليــة التثقيــف بــدأت مــن رســول الله ﷺ، بإجمــاع الســنة والشــيعة والمحـدثين أنـه ﷺ قـال: «لـو لـم يبـق مـن الـدنيا إلا يـوم واحـد لطـوّل الله ذلـك اليـوم حتـى يبعـث الله رجـلاً مـن ولـدي، يـواطئ اسـمه اسـمي، يملؤهـا عـدلاً وقسـطاً كمـا ملئـت ظلمـاً وجـوراً»[1] القسـط والعـدل فـي مقابـل الظلـم والجـور، هـذه مبـادئ، لـيس المهـم أن يكـون ملكـاً أو أن يكـون حاكمـاً، المهـم مـاذا يعمـل؟ والإسلام ماذا يريد؟ والنبي ما يريد؟

يريـد أن يمـلأ الأرض قسـطاً وعـدلاً، ولـيس المهـم أن يكـون واحـداً مـن ذريتـه خليفـة أو ملكـاً والأرض تكـون بـين يديـه، هـذا مُلـك ومـا قيمـة الملـك؟ النبي يريد أن تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

قــال رســول الله ﷺ: «أمــا والله ليغيــبنّ عــنكم صــاحب الأمــر ولــيخملنّ حتى يقال: مات، أو هلك، في أي وادٍ سلك».[2]

وفي رواية أخرى: «أما والله ليغيبنّ إمامكم سنين من دهركم، ولتمحصنّ حتّى يقال: مات، قتل، هلك، بأي واد سلك؟ ولتدمعنّ عليه عيون المؤمنين».[3]

الإمــام الحســين عليه السلام يقــول فــي الروايــة عنــه: «مــن نصــرنا نصــر ولــدنا القــائم».[4] لأن القضــية لــيس قضــية أشــخاص وإنمــا هــي قضــية مبــادئ، وهــذه المبـادئ مجسـدة فـي الحسـن والحسـين، وهكـذا «مـن نصـرنا نصـر ولـدنا القـائم» نحـن فـي ثقافـة أهـل البيـت أيضـاً نقـول: مـن نصـر نـوّابهم والفقهـاء والمراجـع فقـد نصـر الإمـام صـاحب الزمـان، مـن نصـر الـدين والإسـلام فـي هـذا الزمـان فقـد نصـر صـاحب الزمـان، ولـيس الـذي هـو جـالس وينتظـر متـى يخـرج صـاحب الزمـان

---

(1) الإرشاد ٢: ٣٤١؛ بحار الأنوار ٥١: ٨٤.

(2) الكافي ١: ٣٣٨/ ح ١٣.

(3) الكافي ١: ٣٣٦/ ح ٣.

(4) النجم الثاقب ١: ٣٤١.

ويجمع له أسلحة، هذه أصلاً ليس نصرة حقيقية، وهنا تأتي قصة دعبل الخزاعي.

قصة دِعبل:

دعبل الخزاعي من شعراء أهل البيت عليهم السلام ومن فطاحل الشعراء، حسب الظاهر هذا خوزستاني دزفولي، والآن قبره في دزفول، سافر إلى خراسان حيث كان الإمام الرضا عليه السلام في خراسان لأن العاصمة العباسية هناك، الإمام الرضا عليه السلام دُعي إلى خراسان من المدينة المنورة، هذا الشاعر قطع مسافة تزيد عن ١٥٠٠ كم حتى يلتقي بالإمام الرضا، فلما وصل إلى الإمام الرضا عليه السلام قال: سيدي أنا نظمت قصيدة وقلت في نفسي هذه القصيدة لا ألقيها إلاّ عندك.

قال له اقرأ، فقرأ:

ألم تَرَ أني مذ ثلاثين حِجّةً ... أروحُ وأغدو دائم الحسرات

أرى فيأهم في غيرهم متقسماً ... وأيديهم من فَيئِهم صَفِراتِ

يعني أرى حقوقهم ومنزلتهم مغصوبة.

فلما فرغ قام الإمام الرضا عليه السلام ودخل المنزل وبعث إليه بِصُرّة وفيها ٦٠٠ دينار وهي يومئذٍ تزيد على ٦٠٠٠٠٠ دينار هذا اليوم، قال الرسول الذي بيده النقود: يقول لك الإمام الرضا استغن بها على سفرك واعذرنا، هذه قليلة إن قطعت مسافة ١٥٠٠ كم هذه النقود قليلة بحقك، فلما رأى دعبل الموقف قال: لا والله أنا لم أنظم هذه القصيدة حتّى آخذ مالاً، أنا قلبي متعطش للأئمّة، قال: لا والله ما هذا أردت، قل له: هب لي ثوباً من ثيابك، رجع الرسول إلى الإمام الرضا ونقل له موقف دعبل، الإمام الرضا قال: لا هذه الهدية له وبنفس الوقت أعطيه ثوباً من ثيابي، فأعادها وبعث إليه بجبة، رجع دعبل بهذه الجبّة

ووصل إلى قم، طريق خراسان إلى دزفول يمر على قم، قال له أهل قم: يا دعبل ما القضية؟ قال لهم: البشارة حصلت على جبّة من الإمام، قالوا له: أتعطينها؟ قال لهم أنا معتز بها، كيف أعطيها لكم؟

قالوا له: هذه ألف دينارٌ تعطيها لنا.

قال: لا أعطيها لو تعطوني عشرات الآلاف، لكنهم ربطوه وأخذوا منه الجبة، فكلّمهم، فقالوا: ليس إليها سبيل، ولكن إن شئت هذه ألف دينار، قال: نعم وخرقة منها، فأعطوه الدنانير وخرقة.[1]

وكان من جملة الأبيات التي أنشدها دعبل للإمام الرضا عليه السلام أن قال:

خروج إمام لا محالة خارج	يقوم على اسم الله والبركات
يميّز فينا كل حقٍ وباطل	ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الإمام الرضا عليه السلام لما جاء ذكر الإمام المنتظر، ثم قال: يا خزاعي «يا دعبل نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام؟»، طبعاً هذا كله أسوقه في سياق تثقيف أهل البيت عليهم السلام لنا، وكيف نتعامل مع الإمام المنتظر.

قال دعبل: لا يا سيدي أنا لا أعرفه، إلاّ أني سمعت بخروج إمام منكم يظهر آخر الزمان يطهّر الأرض ويملؤها قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

فقال: «يا دعبل بعدي محمّد ابني وبعد محمّد الجواد ابنه عليّ بن محمّد الهادي وبعد عليّ ابنه الحسن بن عليّ العسكري، وبعد الحسن يكون ابنه الحجّة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، ولو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يوم لطوّل الله ذلك اليوم» إلى أن قال: «وأما متى فأخبار عن الوقت»، نحن ليس لدينا قدرة أن نخبر عن وقت الخروج، ورسول الله صلى الله عليه وآله قد نهى عن

---

(1) انظر نص الرواية في: بحار الأنوار: ٤٩/ ٢٦٠.

ذلك، وقد حدثني أبي عن عليّ عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قيل له في ذلك يعني في وقت ظهوره عليه السلام فقال: «مثله مثل الساعة». ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾.(١)

طوبى لشيعتنا:

في رواية عن يونس بن عبد الرحمن قال: دخلت على موسى بن جعفر عليهما السلام، فقلت له: يا بن رسول الله أنت القائم بالحق؟

قال عليه السلام: أنا القائم بالحقّ، ولكن ذاك القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله عزّ وجلّ ويملؤها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، هو الخامس من ولدي له غيبة يطول أمدها، خوفاً على نفسه، يرتدّ فيها أقوامٌ ويثبت فيها آخرون.

ثمّ قال عليه السلام:

«طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمّة، ورضينا بهم شيعة فطوبى لهم ثم طوبى لهم وهم والله معنا في درجتنا يوم القيامة».(٢)

رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً قال كما روي عن الصادق عليه السلام: «طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتدٍ به قبل قيامه، يتولى وليه ويتبرأ من عدوه، ويتولى الأئمّة الهادية من قبله، أولئك رفقائي وذوو ودّي ومودتي، وأكرم خلق الله عليّ».(٣)

كيف نلتقي به؟

---

(1) أنظر نص الرواية في: كشف الغمة ٣: ١١٦؛ عيون الأخبار ١: ٢٩٨؛ والآية في سورة الأعراف: ١٨٧.

(2) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٦١.

(3) غيبة الطوسي: ٤٥٦.

كيف يرضى عنا؟

الرواية تقول أنه عليه السلام كتب للشيخ المفيد يقول: «لو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليُمن بلقائنا».

أنت تستغيب أو تكذب، لا تنتظر أن تلتقي به وأنت بمثل هذه الأخلاقية «لو أن أشياعنا على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد القديم لما تأخر عنهم اليُمن بلقائنا... فما يحبسنا عنهم إلاّ ما يتصل بنا مما نكره...».(١)

رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من نصر ولدنا الحسين عليه السلام فقد نصر القائم».(٢)

إمامنا الحسين يوم عاشوراء نادى: ألا هل من ناصر ينصرنا، ألا هل من معين يعيننا، ألا هل من ذاب يذبّ عنا.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

* * *

(1) بحار الأنوار ٥٣: ١٧٧.

(2) النجم الثاقب/ النوري ١: ٣٤١.

المحاضرة العشرون:

أهل البيت عليهم السلام نور الله تعالى

«ونوره وبرهانه»

حديثنا هذه الليلة عن هذا المقطع من الزيارة: «ونوره وبرهانه».

وصف أهل البيت عليهم السلام بأنهم نور يتكرّر في عدد كبير من الأدعية والزيارات والنصوص الشريفة.

مثلاً في هذه الزيارة مرّة يقول: «كلامكم نور، وأمركم رشد، ووصيتكم التقوى».

ومرّة يقول: «وأشرقت الأرض بنوركم».

ومرّة يقول: «وأنتم نور الأخيار، وهداة الأبرار، وحجج الجبار».

وفي موضع رابع أيضاً من هذه الزيارة يصفهم يقول: «وبقية الله وحزبه وحججه وعيبة علمه ونوره وبرهانه».

حديثنا هذه الليلة عن هذا المعنى.

ما معنى أن نصف أهل البيت عليهم السلام بأنهم نور؟

وهكذا حينما نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة» يعني هناك امتداد نوري على مرّ الأجيال، وهذا ليس فقط للإمام الحسين عليه السلام، بل لكل الأئمّة ولنبيّنا صلى الله عليه وآله.

إذن سؤالنا هذه الليلة عن معنى وصف أهل البيت عليهم السلام بأنهم نور.

لنقف أولاً عند كلمة النور، المعنى اللغوي لكلمة النور، ثم المعنى العلمي لكلمة النور، ثمّ المعنى القرآني لكلمة النور.

في اللغة ماذا يقصد حينما يقال نور، ارجعوا إلى كتب اللغة، يعرّفون النور، يقولون: إن النور هو عبارة عن الظاهر بنفسه، المظهر لغيره، يعني النور

هـو الشـيء الواضـح الـذي يوضّـح غيـره، طبعـاً هـم يقولـون نحـن عنـدنا نقـص وعجز عن تعريف كلمات واضحة، لا نستطيع أن نوضّحها بشيء أوضح منها.

تعريف كلمة النور:

إن هنـاك كلمتـين أو مفهـومين لا يسـتطيع أحـد أن يعرفهمـا بمـا هـو أوضـح منهمـا حتّـى اللغـة وهمـا: كلمـة نـور، وكلمـة وجـود، هـذه مـن المفـاهيم التـي تعجـز اللغـة عـن تعريفهـا لشـدة وضـوحها، وهـذا بحـث منطقـي حيـث أنّـه مـن شـرائط التعريف كما يذكر ذلك في المنطق أن يكون المعرِّف أوضح من المعرَّف.

هنـــاك معنـــى علمـــي فيزيـــائي للنـــور، حينمـــا يتحـــدّث علمـــاء الفيزيـــاء وتسـألهم عـن كلمـة النـور لا يعطـون تعريفـاً لغويـاً ولا فلسـفياً، بـل يعطـون تعريفـاً فيزيائيـاً وهـو: عبـارة عـن أمـواج ذات درجـات حـرارة معيّنـة ومغنطـة معيّنـة، بحيـث هـذه الأحزمـة الضـوئية أو الأمـواج الضـوئية تـنعكس علـى شـيء فـإذا اصـطدمت بـذلك يكـون لهـا انعكـاس ضـوئي، يعنـي يرجـع الضـوء مـرّة أخـرى عـن طريـق خيـوط اشـعاعيّة يرجـع الـى العـين الرائيـة مـا يسـمّى بالشـبكيّة، حينئـذ الشـبكية تعمـل فيهـا مـع الـدماغ ومـع العقـل مئـات العمليـات الفيزيائيـة فتتشـكّل عمليـة الرؤية والمشاهدة.

علـى كـلّ حـال، التعريـف العلمـي للنـور: أنـه عبـارة عـن أمـواج فـي الهـواء بدرجـة مـن الحـرارة المعيّنـة، إذا اصـطدمت فـي الأرض يـنعكس المـوج مـرة أخرى للعين فتحدث الرؤية.

طبعاً الآن العلـم تطـوّر لكـن بقيـت نفـس النظريّـة، وهـو أنّـه لابـدّ مـن أمـواج ولابـدّ مـن أحزمـة ومـا شـاكل ذلـك، لكـن العلـم اسـتطاع الآن أن يـرى حتّـى فـي الظـلام عبـر عدسـات معيّنـة كمـا فـي الحـروب وكمـا العمـل الفضـائي، لقـد اسـتطاع العلـم أن يـرى فـي الظـلام، وقـد اسـتفاد ذلـك مـن تجربـة الحيوانـات الليليـة التـي

تـرى فريسـتها فـي الظـلام الحالـك. ويعكـس الصـور فـي الظـلام الآن المركبـات الفضـائيّة التي تـذهب إلـى المـريخ مـثلاً، تعكـس لحظـة بلحظـة صـوراً إلـى الأرض مـع أنّ المـريخ قـد يمـر بمنـاطق مظلمـة بعيـداً عـن الشـمس خلـف الأرض، ولـيس ذلـك تجـاوزاً لقـانون النـور، لكـن اسـتفادة مـن نظريّـات فـي الأشـعة والأمـواج تسـتطيع هـذه العدسـة للمركبـة الفضـائيّة أن تعكـس هـذه الصـور عبـر اشـعاعات خاصّة.

الآن روسـيا تفكّـر فـي هـذه الأيّـام أن توجـد سـفرة سـياحية، وهـم يبحثـون عـن سـتّة متبـرّعين لهـا ولـم يحصـلوا إلاّ علـى اثنـين، هـذه سـفرة سـياحية لمـدّة خمسـمائة يـوم خـارج الفضـاء فـي كبسـولة يعنـي مركبـة فضـائيّة تتسـع لسـتة أشـخاص وفيهـا اللـوازم المختصـة وفيهـا حبـوب يسـتعملوها فـي هـذه المـدّة عبـارة عـن خمسـة أطنـان مـن الحبـوب والخضـروات ومـا شـاكل، هـذه جولـة فـي الفضـاء تمرينيّـة تدريبيـة، الآن العلمـاء يرسـلون كبسـولات فضـائية ومركبـات للمـريخ لكـن لـيس فيهـا بشـر ترسـل صـوراً، وهـم يفكّـرون أن يرسـلوا بشـراً لكـن مـع هـذه المسافة الطويلة والمخاطر الكبيرة ليسوا مطمئنين على سلامة هذا البشر.

الآن طرحـوا هـذا المشـروع للسـفرة التجريبيّـة التدريبيّـة، يصـعدون فيهـا سـتّة أشـخاص مغـامرين لمـدّة حـوالي سـنة ونصـف لأنّ الرحلـة مـن الأرض إلـى المـريخ تطـاول سـتة أشـهر فـي سـرعة أسـرع مـن الصـوت، لكـن الـذهاب يطـوّل سـتة أشـهر والرجـوع كـذلك ويحتـاجون ثلاثـة أشـهر جولـة حـول المـريخ حتّـى يأخـذوا صـوراً لكـل المـريخ شـمالاً وجنوبـاً وغربـاً وشـرقاً، إذاً يفترضـون أنّ الإنسـان ينقطـع عـن الأرض لمـدّة خمسـمائة يومـاً فيحتـاجون إلـى عمليـة تجريبيـة هـذه العمليـة تبقـى فـي الفضـاء فيجرّبـون هـل تـنجح أو لا، إذا نجحـت بعـدها يرسـلون الإنسـان إلـى المـريخ، فهـل الإنسـان عنـده قـدرة علـى البقـاء داخـل هـذه الكبسـولة لا يخـرج منهـا، الآن روسـيا بهـذا الصـدد، فمحـلّ الشـاهد أنـه يعكسـون

صوراً إلى الأرض من دون نور، لكن ذلك أيضاً وفق قانون أو عبر أشعّة فوق البنفسجيّة تستطيع أن تراك في الظلمة، وبالحقيقة هم يستفيدون أيضاً من الأحزمة الضوئيّة.

هذا هو المعنى الفيزيائي للنور.

المعنى القرآني للنور:

لكن القرآن الكريم له استعمال آخر للنور.

هل المقصود بالنور في القرآن هذه الأشعة الضوئيّة؟

هل هو المعنى اللغوي الظاهر بنفسه المظهر لغيره؟ أو معنىً آخر يقصده القرآن الكريم؟

القرآن الكريم لديه أكثر من استعمال لكلمة النور.

(الله نور) قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ﴾.[1]

رسول الله نور، قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَداعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنِيراً﴾.[2]

الإسلام نور، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾.[3]

الهدى في مقابل الضلال أيضاً القرآن الكريم يعتبره نوراً يقول: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾.[4]

---

(1) النور: ٣٥.

(2) الأحزاب: ٤٥ و٤٦.

(3) الزمر: ٢٢.

(4) البقرة: ٢٥٧.

طبعاً ليس المقصود هنا النور بمعنى هذا الضوء، وإلاّ فإن الإنسان قد يكون في ظلمة الليل لكن هو بنور الله تبارك وتعالى، إذن هذا النور غير النور الفيزيائي الذي هو عبارة عن أحزمة ضوئيّة وأمواج حراريّة، بل هو معنى آخر.

القرآن نور، يقول تعالى في سورة الشورى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً﴾[1] الله يقول أنا علّمتك القرآن وجعلته نوراً وإلا أنت ما كنت تدري ولا داخل مدرسة والآن تخرّجت من المدرسة الاعدادية أو الجامعيّة وحملت شهادة (بروفيسور) وإنّما أنت أيّها النبي ما كنت تعرف لا الإيمان ما هو ولا القرآن ما هو وإنّما الله تعالى أنزله على قلبك.

القرآن الكريم هكذا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾[2] الله تعالى يقول إذا آمنتم واتّقيتم يعطيكم نصيبين من الرحمة ويجعل لكم نوراً تمشون به.

قد يسأل أحد ويقول: أين هذا النور الذي نمشي به؟

القرآن يقول أنا أعطيكم نوراً تمشون به في الظلمات الحقيقية، هنا طبعاً ليس المقصود لا النور الفيزيائي ولا الظلمات المادية، وإنّما المقصود مشي آخر في طرق أخرى في العبور للسعادة الكبرى نحو الكمال، الإنسان يقطع هذه الظلمات الدنيويّة بنور الإسلام ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾.

قصة النجاشي:

هذه الآية أين نزلت؟

نزلت في قصّة النجاشي وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وجعفر هو رئيس وفد شكّله رسول الله صلى الله عليه وآله من سبعين نفراً في أوّل بعثة سياسية _ باصطلاحنا اليوم _ شكّلها

---

(1) الشورى: ٥٢.

(2) الحديد: ٢٨.

رسول الله لخارج الحدود لتنظيم العلاقات الدوليّة، قريش لاحقتهم وطاردتهم وضيّقت عليهم، رسول الله قال لهم: اذهبوا إلى الحبشة، الحبشة عندهم ملك اسمه النجاشي كان من النصارى، قال ادعوه للإسلام وفي نفس الوقت اطلبوا لجوءاً عنده، بعثة سياسية ولجوء سياسي في ذلك الزمان، القصّة معروفة كيف أنّ جعفراً دخل واجتمع النصارى لكي يحاجوه وكيف أنّ ملك النصارى وهو ملك عاقل متّفهم كيف أذعن للحق حينما سأله عن مسألة حيويّة يومئذٍ جدّاً وحسّاسة وهو عيسى، ما هو نظركم أنتم اتباع النبوّة الجديدة؟

ماذا يقول نبيّكم في عيسى؟

جماعة النصارى يقولون عيسى ابن الله، عيسى ثالث ثلاثة، هذه القضيّة ملك الحبشة ليس مقتنعاً بها، وجعفر قرأ له الآيات المتعلّقة بعيسى ومريم: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1] مريم أيضاً امرأة مقدّسة ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيًّا﴾[2] آيات جميلة تُصوّر نزاهة مريم من ناحية اعتبار عيسى نفخة من روح الله.

هنا آيتان في القرآن الكريم واحدة تقول: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾،[3] وأخرى تقول: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾،[4] النتيجة واحدة أنّ عيسى عليه السلام نفخة من روح الله

(1) آل عمران: ٥٩.
(2) مريم: ١٦ - ٢٢.
(3) الأنبياء: ٩١.
(4) التحريم: ١٢.

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا﴾[1] **على كل حال، تصوير روائي جميل رائع معقول علميّاً لدى الإنسان العاقل، والمثال أيضاً مثال واضح، ولا أحد يقول كيف يكون لأنّ الله مباشرة قال:** ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2] **النجاشي سمع هذه الكلمات وخشع لها ودرت دموعه وأذعن لهؤلاء وأنّ نبيّكم هذا نبي عظيم يتحدّث حديثاً سماوياً ملائكياً.**

تعرفون أنّ الحبشة هي في جنوب المملكة العربية السعودية جنوب الحجاز، وشمال الحجاز سورية، شرق الحجاز العراق، غرب الحجاز البحر الأحمر ومصر، هؤلاء هاجروا في أوّل هجرة وطلب لجوء سياسي وبعثة رسميّة إلى جنوب المملكة السعودية إلى الحبشة.

جيّد أصبح النجاشي إلى جانب هؤلاء المسلمين، وكلّما ناقش النصارى ودخلوا في معركة فكرية مع المسلمين ما استطاعوا أن يواجهوا جعفر بن أبي طالب ومن معه، بعض النصارى آمن به وقالوا نحن نؤمن بهذه النبوّة الجديدة وجاءوا إلى رسول الله بعد أن هاجر إلى المدينة، ولمّا رأوا فقر المسلمين قالوا يا رسول الله نحن أثرياء أتسمح لنا أن نرجع إلى بلادنا ونأتي بأموالنا إلى هؤلاء المساكين، فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وآله فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا﴾[3] **هذه الآية هي من باب التشويق والترغيب لهؤلاء النصارى الذين دخلوا الإسلام. ولكن بعض النصارى الذين لم يدخلوا الإسلام استغلوا هذه الآية وقالوا للمسلمين: إذن نحن أفضل منكم، نحن إذا دخلنا الإسلام لنا أجران وأنتم لكم أجر واحد، وإذا لم ندخل الإسلام لنا أجر واحد ولكم أجر واحد، وهنا حدثت شبهة عند**

---

(1) الأنبياء: ٩١.

(2) آل عمران: ٥٩.

(3) القصص: ٥٢ - ٥٤. أنظر سبب نزول الآية في: مجمع البيان ٧: ٤٤٥؛ تفسير الميزان ٦: ٨٥.

الناس، ويبدو أنّ هذه الشبهة زعزعت الوضع الإسلامي، فنزل قوله تعالى لتطمئن قلوب المسلمين: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١) بمعنى أنكم أيضاً لكم أجران ﴿كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ هذه الآية نزلت في قصّة النجاشي وجعفر بن أبي طالب، وطبعاً جعفر كان يحبّه رسول الله ﷺ حبّاً كثيراً، والحقيقة أنّه يستحق ذلك، وهو من الشخصيّات العظيمة يومئذٍ والذي لم يعد من الحبشة إلاّ عند معركة خيبر، يعني بقي سنين طويلة يمثّل رسالة الإسلام، وأصبح سفير الدولة الإسلامية التي هي في المدينة، فلمّا فتح رسول الله ﷺ خيبر بُشّر بقدوم جعفر، فقال ﷺ: «لا أدري أنا بأيّهما أُسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟».(٢)

الشاهد في هذا الأمر ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً﴾ الإسلام نور، القرآن نور، الهدى نور، رسول الله نور، الله تعالى أيضاً نور، هذه استعمالات قرآنيّة للنور.

بالتأكيد أنّ المقصود هنا ليس هو النور الفيزيائي المادي، الأشعة الضوئيّة، وإنّما هو نور القلب، لأن الإنسان قد يكون أعمى لكن النور موجود في قلبه حيث يعرف الحق بسرعة.

قصة الشاب الموقن:

في مسجد النبي ﷺ التفت رسول الله ﷺ بعد الصلاة وإذا شاب متعب من العبادة، منهك من سهر الليل، الآن بعد الصلاة أيضاً يخفق ويهوي برأسه يريد أن ينام لكن لا ينام وباقي على التسبيح والعبادة، هذا المنظر ألفت نظر النبي ﷺ.

قال: أيّها الشاب كيف أصبحت؟

---

(1) الحديد: ٢٨. أنظر سبب نزول الآية في: مجمع البيان ٩: ٤٠٥.

(2) بحار الأنوار ٤٩: ٢٠٧.

انتبه الشاب قال: يا رسول الله أصبحت موقناً، ولم يقل أصبحت مسلماً ولا مؤمناً فهذه العبارة ألفتت نظر النبي صلى الله عليه وآله.

فقال له صلى الله عليه وآله: إنّ لكلّ شيء حقيقة، فما حقيقة يقينك؟

فقال: يا رسول الله يقيني هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأضمر هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم...

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا عبد نوّر الله قلبه بالإيمان.

ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: الزم ما أنت عليه.

فقال: يا رسول الله أدع لي الله أن أرزق الشهادة معك، فدعا رسول الله له صلى الله عليه وآله بالشهادة، فلم يلبث أن خرج في بعض الغزوات فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر ممن استشهد من المسلمين.

هذه قصّة هذا الشاب، ومحلّ الشاهد هذه العبارة.. «هذا عبد نورَّ الله قلبه بالإيمان».[1]

الحديث طويل في هذا الشأن، وحديثنا عن هذا المقطع من زيارة الجامعة: «ونوره وبرهانه»، ما معنى أنّ أهل البيت عليهم السلام نور الله وبرهانه؟

هناك مقاربة قرآنية أطويها طيّاً سريعاً، إن القرآن محشو بهذا الفعل للنور ولا يستغربه الإنسان ولا يستوحشه، القرآن يحدثنا عن نظرية النور الذاتي، هذه في الدنيا موجودة وفي الآخرة نراها، في الدنيا أولا نتوجّه إليها.

النور الذاتي ما هو؟

نظرية النور الذاتي:

القرآن الكريم يتحدّث عن نظرية النور الذاتي، يقول أوّلاً: يوم القيامة

---

(1) أنظر: الكافي ٢: ٥٣/ ح ٢.

لا يوجد شمس ولا قمر: ﴿لا يَرَوْنَ فيها شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً﴾[1] **وإنّما** ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها﴾[2] **كيف أشرقت بنور ربّها؟**

هنا تأتي نظرية النور الذاتي، يعني المؤمن نفسه ذاتيّاً بلا حاجة إلى كهرباء، ذاتيّاً المؤمن تشع الأرض التي حوله بنوره، فبمقدار الشحنة الإيمانية التي عنده يمتد نوره، إذا كان نوره متوهّجاً جدّاً مثل الأنبياء عليهم السلام والزهراء عليها السلام وعليّ عليه السلام فإن كل أرض القيامة تسطع من نورهم، هذا أيضاً حديث مفصّل، لكن القرآن صريح يقول: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ﴾.[3]

ويقول: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾[4] **المنافقون يوم القيامة يقولون للمؤمنين: فقط اطّلعوا علينا فنحن في ظلمات النار، طبعاً لاحظوا النار المفروض فيها أن تكون مضيئة، لكن القرآن يقول نار القيامة مظلمة سوداء:** ﴿ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها﴾[5] **فعندما يطلب المنافقون ذلك** ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾[6] **هذا أيضاً حديث مفصّل، نظريّة النور الذاتي للمؤمنين، فإذا كان المؤمن عنده نور ذاتي طبيعي فإن رسول الله يكون مصدر اشعاع قوي لذلك النور، في الحقيقة هذا النور الذاتي ينكشف في القيامة، أمّا هو فإنه في الدنيا موجود.**

القرآن الكريم يقول: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾[7] **إذن يوجد نور في**

---

(1) الإنسان: ١٣.
(2) الزمر: ٦٩.
(3) الحديد: ١٢.
(4) الحديد: ١٣.
(5) النور: ٤٠.
(6) الحديد: ١٣.
(7) الحديد: ٢٨.

الدنيا، غاية ما في الأمر المؤمن لم ينتبه إلى ما هو المقصود، وإلاّ نحن الآن بحمد الله وأنتم جميعاً نمشي في ظلمات هذه الأرض الظلمات الشيطانيّة، نحن نمشي بنور واضح ونتقدّم بإذن الله تبارك وتعالى، هذا النور في الدنيا ينعكس يوم القيامة على كل عرصات القيامة، فالمؤمن يمشي وهو مصدر إشعاع بلا حاجة إلى شمس ولا إلى قمر.

نور أهل البيت عليهم السلام:

حينئذٍ سوف نصل إلى هذا السؤال ونختم الحديث، وهو أنّه كيف أصبح أهل البيت عليهم السلام نوراً، ولماذا؟ وما هي النظريّة الإسلامية في هذا الأمر؟

هنا أقول لكم أيضاً بإيجاز: إنّ لدينا عشرات، بل مئات الروايات بما هو ثابت عند علماء أهل البيت وعلماء الإسلام عموماً أنّ أهل البيت عليهم السلام كان أصل خلقتهم من نور، إنّهم خلقوا من نور الله تبارك وتعالى.

القرآن الكريم حينما يقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾[1] إذن نرجع إلى أصل الخلقة، هذه القضيّة مهمّة جدّاً، فيها عشرات عشرات الروايات، لكن أنا مضطر أن أقرأ لكم رواية أو روايتين على الأقل.

الرواية الأولى ـ وأنتم مشمولون بالرواية، وأكتفي بها لطولها:

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «خلقني الله من صفاء نوره فدعاني فأطعته، وخلق من نوري عليّاً فدعاه فأطاعه، وخلق من نوري ونور علي فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق منّي ومن علي ومن فاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه، فسمّانا الله عزّ وجلّ بخمسة أسماء من أسمائه...، إلى أن يقول: ثمّ خلق من نور الحسين تسعة أئمّة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق سماءً مبنيّة أو أرضاً مدحيّة أو هواء أو ماء أو ملكاً أو بشراً، وكنّا بعلمه أنواراً نسبّحه ونسمع له ونطيع.

---

(1) الأحزاب: ٤٦.

فقال سلمان: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي ما لمن عرف هؤلاء؟

فقال ﷺ: من عرفهم حقّ معرفتهم واقتدى بهم فوالى وليّهم وتبرّأ من عدوّهم فهو والله منّا يرد حيث نرد ويسكن حيث نسكن.

قلت: يا رسول الله يكون إيمان بهم بغير معرفتهم فقال ﷺ: لا».[1]

الرواية الثانية التي هي بمثابة تتمّة لها دون أن أطيل عليكم الحديث هي عن أحمد بن حنبل نقلها ابن الدمشقي في كتابه (جواهر المطالب) من أئمّة المذاهب الأربعة عن رسول الله ﷺ يقول:

«كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الرحمن قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام».[2]

هذه الروايات التي نسمّيها روايات النور كثيرة وثابتة، وهي أنّ أوّل ما خلق الله تعالى نور أهل البيت عليهم السلام، هذا أيضاً بحث فلسفي طويل في مسألة الوسائط، وهو أنّ الله تعالى خلق الخلق عبر التدرّج وعبر وسائط.

روايات تقول أنّ هناك طينتين _ أنا أشرح لكم هذه النظريّة وأختم الحديث.

نظرية التجانس والتضاد:

نظريّة جميلة نسمّيها: «نظرية التجانس والتضاد في عالم النشأة الأولى».

يعني في عالم أصل الخلق للبشر توجد قضيّة تجانس وتضاد، وما يجري في الدنيا هو انعكاسات لذلك التجانس والتضاد في أصل النشأة الأولى.

---

(1) بحار الأنوار ٢٥: ٦/ ح ٩.

(2) جواهر المطالب ١: ٦١؛ وأنظر: ينابيع المودّة ١: ٤٧، ٢: ٣٠٧ و٤٩٠؛ ومناقب الخوارزمي: ١٤٥؛ وتاريخ دمشق ٤٢: ٦٧.

الإسلام يعتقد بوجود تضاد بين الحق والباطل ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾[1] هذا تضاد صحيح، هذا ليس معناه ديالكتيك ماركسي ولا أنّ الماركسيّة كشفت لنا شيئاً نحن لا نعرفه، التضاد بين الحق والباطل، بين الظلمة والنور، بين الرحمن والشيطان، بين جنود الرحمن وجنود الشيطان، هذه قضايا يتحدّث بها الإسلام والنبوّات والأنبياء قبل آلاف السنين.

نظريّة التضاد إلى جانبها توجد نظريّة التجانس.

ما هي نظرية التجانس والتضاد في النشأة الأولى؟

إنّ هذا الخلق البشري خلقوا من طينتين، أو لنقل من مصدرين، أو لنقُل من ينبوعين، هذه كلّها تعبيرات يعني هؤلاء خلقوا من مصدر وأولئك خلقوا من مصدر آخر، هناك معدن للمؤمنين ومعدن لغير المؤمنين، المؤمنون بينهم يوجد تجانس، وغير المؤمنين أيضاً يوجد بينهم تجانس ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾[2] والمنافقون والمنافقات أيضاً... هذا التجانس في عالم النشأة الأولى ينعكس في الدنيا.

القرآن يقول هذا التجانس الذي أنتم ترونه في الدنيا بين المؤمنين ومثله بين المنافقين هذا أصله أنّكم أنتم خلقتم من مصدر وطينة ومعدن، وأولئك خلقوا من طينة ومعدن آخر.

الآن يوجد بينكم تضاد، هذا التضاد قديم بين الحق والباطل في عالم النشأة الأولى قبل أن تأتوا إلى الدنيا.

أنتم لا تعلمون، لكن لو تبحثون عن أصلكم تجدون أنّ أصلكم من معدن غير ذاك المعدن الذي خلق منه أعداؤكم.

---

(1) الفرقان: ٣١.

(2) التوبة: ٧١.

أيضاً للتبرك أقرأ لكم هذه الرواية الجميلة، الرواية عن الأصبغ بن نباتة يقول:

«كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام، فأتاه رجل فسلّم عليه ثمّ قال: يا أمير المؤمنين إنّي والله لأحبّك في الله، وأحبّك في السر كما أحبّك في العلانية، وأدين بولايتك في السر كما أدين بها في العلانية، وبيد أمير المؤمنين عليه السلام عود صغيرة فطأطأ عليه السلام برأسه ثمّ نكت بعوده في الأرض، ثمّ رفع رأسه فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حدّثني بألف حديث لكل حديث ألف باب، وإنّ أرواح المؤمنين _ في نظرية التجانس والتضاد باصطلاحنا اليوم _ تلتقي في الهواء فتشام وتتعارف، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها إختلف، ويحك لقد كذبت، فما أعرف وجهك في الوجوه ولا اسمك في الأسماء.

ثمّ دخل عليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين إنّي أحبّك في الله وأحبّك في السر كما أحبّك في العلانية وأدين الله بولايتك في السر كما أدين بها في العلانية، قال: فنكت بعوده الثانية ثمّ رفع رأسه إليه فقال له: صدقت إنّ طينتنا طينة مخزونة أخذ الله ميثاقها من صلب آدم فلم يشذ منها شاذ ولا يدخل فيها داخل من غيرها، إذهب واتخذ للفقر جلبابا...».(١)

كلّ شيء يرجع إلى أصله، أرواح المؤمنين ترجع إلى الإيمان ومصدر الإيمان وهم رسول الله وأهل البيت عليهم السلام، وأرواح المنافقين ترجع إلى مصدر النفاق وهو الشيطان والكفر، كلّ شيء يرجع إلى أصله.

إشراق الأرض بنورهم:

محل الشاهد «وأشرقت الأرض بنوركم» أهل البيت عليهم السلام نور، في عالم النشأة الأولى نور، ويوم القيامة نور، ونرجع للمقاربة القرآنيّة أنّ المؤمنين

(1) أنظر: الاختصاص: ٣١١؛ بحار الأنوار ٢٥: ١٤/ ح ٢٧.

يـوم القيامـة لهـم نـور ذاتـي فضـلاً عـن النبـي وأهـل بيتـه علـيهم الصـلاة والسـلام، وهـذه نظريّـة النـور الـذاتي الايمـاني التـي يشـرحها القـرآن ويؤكّـدها فـي أكثـر مـن موضع من المواضع.

القـرآن يقـول ﴿وَأَشْـرَقَتِ الأَرْضُ بِنُـورِ رَبِّهـا﴾[1] ولكـن الروايـة مـاذا تقـول فـي زيـارة الجامعـة: «وأشـرقت الأرض بنـوركم» لأن نـوركم هـو نـور الله تعـالى «وأنـتم نور الأخيار وهداة الأبرار».

والحمد لله رب العالمين

* * *

(1) الزمر: ٦٩.

فهرست الموضوعات

* * *